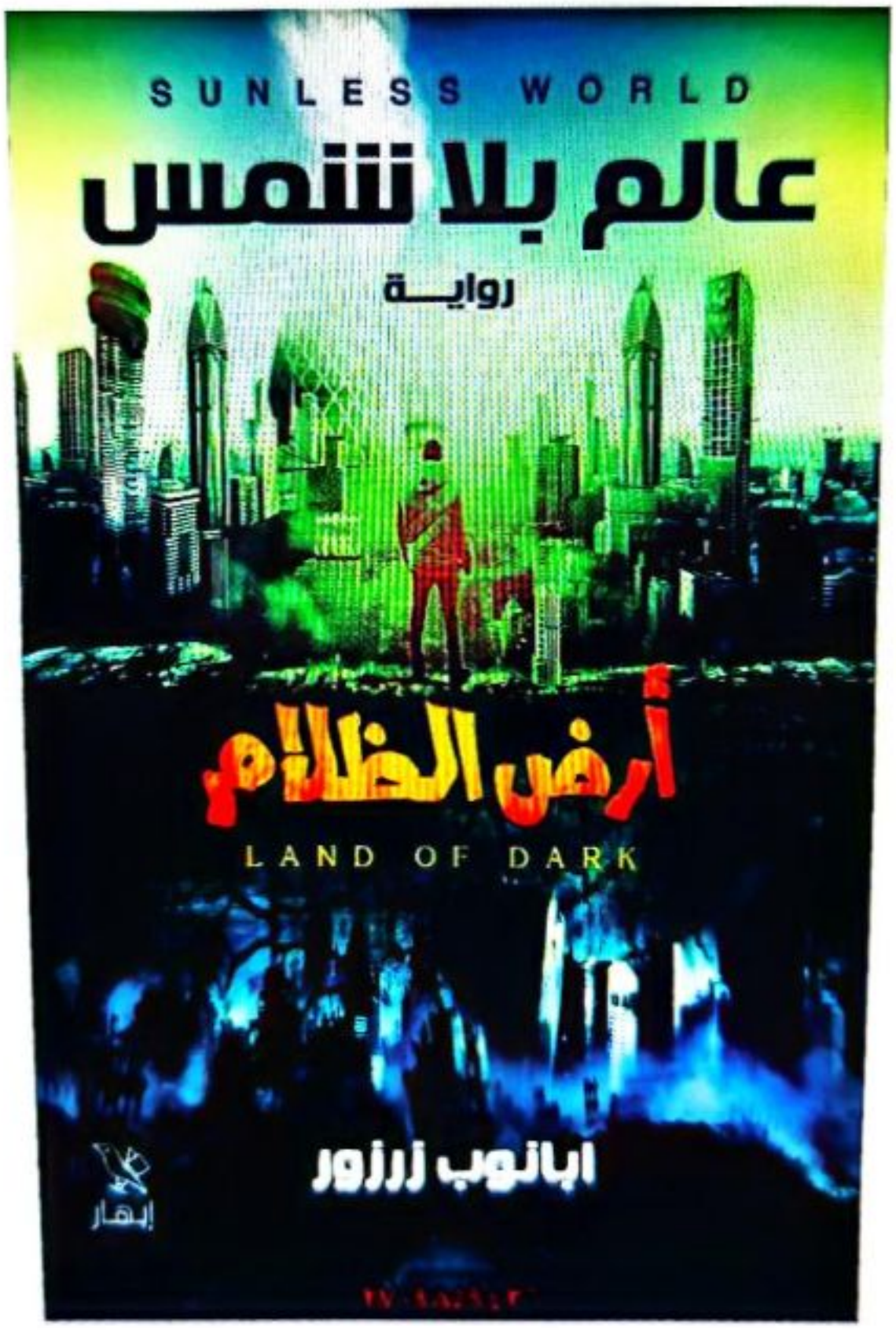
SUNLESS WORLD
عالم بلا شمس
روايـــة
أرض الظلام
LAND OF DARK
ابانوب زرزور
إبهار

@ART_OF_BOOK

«إله السماء يعطينا النجاح، ونحن عبيده نقوم ونبني»

نح ٢:٢٠

جميع أحداث هذه الرواية من وحي خيال الكاتب،
ولا تمت للواقع بأي صلةٍ، وأي تشابه في القصة
والأحداث فهو من قبيل الصدفة.

إهـــــــداء

إلى كل مَن يدعم التكنولوجيا الحديثة بجانب
اهتمامه بالكلاسيكية الأصيلة.

إلى كل مَن يعافر مِن أجل البقاء.

الفصل الأول

عصرٌ جديدٌ

فيلم

غرست «سيلين» مصاصة الدماء أنيابها في عنق «مايكل» البشري الممدد على الأرض؛ لتنقذه من رصاصات الفضة التي تكاد أن تقضي عليه، لقد فعلت ذلك تلبيةً لكلام «لوسيان» المستذئب الذي كان مصابًا هو الآخر برصاصات الفضة بقوله لها:

- عُضيه في عنقه، إنه نصف مصاص دماء ونصف مستذئب، لكنه أقوى من الاثنين.

***

قبل ذلك بدقائق، كان يدور حوارٌ بين «سيلين» و«كرايفين» مصاص الدماء الآخر، ليقول لها ما فعله قائد مصاصي الدماء «فيكتور»، وأنه هو الذي قتل والديها، فلم تصدقه ورفضت الذهاب معه؛ فغضب وصوب مسدسه الذي يحتوي على نيترات الفضة نحوها، وكاد يضغط على الزناد لولا مَن أتى خلفه زحفًا على الأرض ممسكًا بقدمه؛ فنظر خلفه وتفاجأ عندما رآه ما زال على قيد الحياة حيث أطلق عليه رصاصات الفضة منذ دقائق! كان «لوسيان» ممسكًا بيديه نصل سيف حادٍ فغرسه في ساقه.

تألم «كرايفين» وشهق ثم ضرب «لوسيان» بيديه ضربةً قويةً ألقت بالأخير إلى الخلف لمسافة مترين، إنهم يمتكلون قوةً فائقةً مثل المستذئبين.

أخذ «كرايفين» جانبًا؛ ليخرج من ساقه نصل

السيف مما أتيحت الفرصة لـ «لوسيان» أن يقول لـ «سيلين»:

غضيه، إنه نصف مصاص دماء ونصف مذءوب، لكنه أقوى من الاثنين.

فعلت «سيلين» ذلك، لقد غرست أنيابها الطويلة الحادة في عنق «مايكل»؛ فسالت الدماء وانتفخت عروقه من تدفقها احمرارًا فيها حتى كادت تنفجر، وبدأ لون عينيه يتحول إلى السواد.

في نفس الوقت، أخرج «كرايفين» النصل من ساقه ورأى ما تفعله «سيلين» فنهض وقال لها غاضبًا:

- ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟

رد «لوسيان» وقال:

- ربما تكون قد قتلتني، لكن ما أريده قد تم رغم ذلك.

فصوب «كريفين» مسدسه نحوه وأفرغ بضع رصاصات الفضة في صدر «لوسيان»؛ فمات على الفور، ولاذ «الأول» بالفرار، ثم جاء إليهما راكضًا من الجانب الآخر «فيكتور» قائد مصاصي الدماء الذي تتدفق إلى عينيه وأنيابه الطويلة الحادة جاهزة لتغرس في الأعناق، ليدفع «سيلين» ويبعدها عن «مايكل».

ثم قبض على عنقه قبضة قوية ورفعه من الأرض

بدون أي مجهودٍ كأنه لا يحمل أحدًا بيديه، وشرع يتأمله ثم دفعه دفعةً قويةً إلى الحائط الذي أمامه، الحائط الذي يكون خلف «مايكل» تدمر الحائط وتفتّت إلى أجزاءٍ صغيرة من قوة الدفعة، فزُمي «مايكل» إلى الجانب الآخر من المبنى حيث المياه العكرة، وشرعت مرحلة التطور في دمائه في استئنافها؛ فزادت عروقه انتفاخًا، ووَسِعت مقلتاه سوادًا، وأخذ وجهه في تحول ملامحه، وأصابعه تزداد طولًا؛ إنه في مرحلة تطوره ليكون «فامباير وولف» أو «مصاص الدماء المستذئب»، ثم أعاد بنظره خلفه إلى «سيلين» متسائلًا:

- أين هو؟ أين «كرايفين»؟

لم تجبه فصوب نظره إلى «لوسيان» الميت، واتجه نحوه وأخذ القلادة التي كان يعلقها في رقبته؛ لأنها تعود إلى ابنته «سونيا»، ثم أشاح بنظره إلى «سيلين» التي تقف خلفه وهي ممتلئة غيظًا منه؛ لأنها تشك فيما أخبرها به « كرايفين» بأن قائدها هو الذي أطاح بوالديها منذ صغرها، وكان يخبئ عليها ذلك ليغرس في رأسها أفكاره؛ حيث هو بمثابة أبيها الذي رباها، وأنها هي التي تذكره بابنته «سونيا» التي ماتت على يديه هي الأخرى بسبب خيانتها لأنها أحبت مستذئبًا؛ فحُب مصاصة دماء لمستذئب تعتبر خيانة حيث أن الجنسين أعداء منذ قديم الزمان، وخاصةً لو كان حبيبها هو «لوسيان».

فأخذ بالفعل يكرر كلامه هذا لـ «سيلين» بنظراتٍ

بريئة كاذبة مليئة بالشفقة، فتيقنت بهذا الأمر، وطال الحوار بينهما ليُبرئ نفسه أيضًا من دم ابنته بأنه كان يحبها كثيرًا، لكنه اضطر لفعل ذلك كما اضطر لقتل أبويها.

أخذت «سيلين» قرارها ليس في هذا الوقت، لكنها أخذته منذ أن أحبت «مايكل» البشري الذي خطفه «لوسيان» منذ فترة وجيزة بمساعدة دكتور كان يفعل له العمليات القذرة؛ ليحول البشر إلى مستذئبين ليتيقنوا من ذلك المدعو المختار الذي سينقذ جنسهم.

حتى عثرا على «مايكل» وشرعا يحقنانه وهو مكبلٌ في عروقه بدمائهم؛ ولذلك السبب سوف يكون مصاص دماء مستذئب الذي سيكون أقوى من الاثنين في اللحظة التي عُض فيه من قِبل «سيلين».

اسشتاط «فيكتور» غضبًا حين رأى «سيلين» تُكِن له الكره، فأشهر سيفه وأعاد بنظره إلى المكان الذي رمى فيه «مايكل» بالأسفل؛ فتفاجأ أنه غير موجود! ثم لاح بنظره بسرعة ليراه خلفه واقفًا شامخًا متحولًا إلى نصف مستذئب ونصف مصاص دماء، فكأنه وجهٌ يوحي بخليطٍ من وجه بشري ووجه مذءوب، وشرع يتفحص «فيكتور» غاضبًا ثم دفعه بكلتا يديه دفعةً قويةً جعلت من الأخير كأنه قطعة قماش تطير في الهواء، فسقط في تلك المياه التي سقط فيه «مايكل» بالأسفل مسبقًا.

كان يحاول النهوض حتى وقف على قدميه، ليتفاجأ بأنه هنا أيضًا بجواره واقفًا؛ ففتح «فيكتور» فاه ليكشر عن أنيابه الطويلة، وأخذ يلوح بيديه، لكن كان «مايكل» يتفادى كل ضربةٍ حتى تمكن من إلقائه مرة أخرى على الحائط بعدما وجّه إليه عدة لكماتٍ بيديه ذات الأصابع الطويلة والأظافر الحادة.

تمكن أخيرًا «فيكتور» من إمساك «مايكل» وقبض على عنقه وألقاه بعيدًا مسافة أربعة أمتار، ثم التقط الأول سيفه الذي كان ملقى على الأرض وأخذ يلوح به ليتفادى «مايكل» أيضًا ذلك، وفي كل حركة بهلوانية سريعة يفعلها الأخير يقوم بضربةٍ تصيب «فيكتور».

ثم قفز «مايكل» على الحائط متشبثًا به ك «سبايدرمان»، وبعد ذلك قفز مرة أخرى ليقف خلف «فيكتور».

لقد طفح الأخير كيله؛ فصد الضربات الموجهة إليه وتمكن من إمساك ذراع «مايكل»، وأخذ يوجه نحوه الضربات القوية لتصيب الأخير جميعها فاختل توازنه، وطرحَ أرضًا وقبل أن يستوعب ذلك كان قد تلقى ضربةً قويةً على فكه نتيجة قفز «فيكتور» نحوه، ثم قبض على عنقه قبضةً غاشمة ورفعه بلا أي مجهودٍ ودفعه للإمام ليتقهقر «مايكل» للخلف، ثم ضربه بأقوى ضربة فأطاحت بالأخير عشرة أمتار للخلف.

كان يحاول النهوض، وقبل أن يقف على قدميه كان يتلقى الكثير من الرصاص من قِبل ثلاثة أشخاص مصاصي دماء، تابعين ل «فيكتور» كانوا يطلقون النيران عليه.

سمعت «سيلين» صوت طلقات الرصاص، فدب القلق في قلبها، فنهضت واتجهت نحو تلك الفجوة من الحائط التي فعلها «فيكتور» نتيجة إلقائه لـ «مايكل»، ثم قفزت بالأسفل إليهم خلف هؤلاء الثلاثة لتقتلهم واحدًا تلو الآخر بحركاتٍ بهلاونية وسريعة لطالما كانت المفضلة لدى قائد مصاصي الدماء، ثم لمحت حبيبها يئن فنادته وشرعت تركض إليه، وقبل أن تصل إليه تلقت ضربةً في وجهها من قِبل «فيكتور» فسقطت، فرأى حبيبها ذلك وأخذ يصرخ، ثم همّ بالجري نحوها فركض قبالته قائد مصاصي الدماء واصطدم الاثنان، كان قد تلقى «مايكل» في هذا الاصطدام ضربة الرمح في وسطه ليسقط أرضًا وفوقه «فيكتور» ليُنهيه، فلفَّ الأخير ذراعه حول رقبة «مايكل» وأخذ يضغط عليها بكل قوته، والأخير يتملص تحته، ثم قال « فيكتور» شاهرًا أنيابه الطويلة الحادة:

- لقد حان وقت الموت.

سمعت «سيلين» وقلقت، ثم لمحت ذلك السيف أمامها، فأسرعت لالتقاطه، وشرعت تركض نحو «فيكتور» من خلفهما، ثم قفزت قفزةً عاليةً مُلوِحة بالسيف حتى هبطت على قدميها أمامه!

رأى «فيكتور» ذلك، فزاد غضبه ناظرًا نحو «سيلين» والدماء تتدفق في عينيه شررًا، ثم أشهر سيفيه الصغيرين الذين يخرجهما بسرعةٍ فائقةٍ من أكمام معطفه، ليمسك بهما بكفيّ يديه ضامًا عليهما بأصابعه. وظل ينظران أحدهما للآخر بضع ثوانٍ حتى تغيرت ملامح «فيكتور»؛ حيث لاحظ شيئًا غريبًا حدث له، وبعد بضع ثوانٍ أخرى كان وجهه مشقوقًا نصفين بشقٍ يمتد من خده الأيمن بالأسفل حتى شعر رأسه من الناحية اليسرى بالأعلى، ليظهر الشق بميل فينزلق الجزء العلوي الأيمن ثم يتهاوى بقية جسده!

***

- أليس هذا فيلم «Underworld»؟

سأل أحدهم ذلك، ليرد الذي كان يشاهد الفيلم:

- نعم، إنه هو الجزء الأول منه.

فرد السائل:

- إنه فيلم منذ الزمن القديم.

قال المشاهد:

- نعم، إنه منذ عام ٢٠٠٣م .

فنظر السائل إليه متعجبًا، فلاحظ المشاهد ذلك وسأل رافعًا كتفيه ملوحًا بيديه:

- ما المشكلة؟

فرد عليه المتعجب السائل:

- ألم ترَ أنه لا يستحق المشاهدة، إننا في العام ٢٢٢٢ م؟

واقعٌ مرفوضٌ

كانت الشاشة التي تعرض الفيلم عبارة عن شاشة في الحائط ذاته؛ حيث الحائط عبارة عن جدارٍ كهربائي، يبدو عليه شكل الحائط عندما تُطفأ شاشة العرض، وتتغير ملامحه حين تُشغل؛ حيث يكون الحائط هو نفسه شاشة العرض التي تعمل باللمس عن بعد؛ لأن دائرتها الكهربائية تعرفت سابقًا على الأصابع التي تستطيع أن تجعلها تدور عن بعدٍ وهم لأصحاب المسكن فقط؛ إنها التكنولوجيا المتطورة.

كان الرجل المشاهد في العام الأربعين من عمره، ذو شاربٍ يلمع خفيفًا بالشعر الأبيض حيث تراه كالرمادي المسود، ولحية خفيفة عند ذقنه فقط؛ حيث تتصل بالشارب على شكل دوران «دوقلس» له نفس لون الشارب، مما يشير إلى علامات الشيب الأولى، ودائمًا يرتدي قبعةً من القطن يغطي بها رأسه.

غضب المشاهد وأطفأ الشاشة بضغطةٍ بإصبعه وهو في مكانه دون أن يتحرك، ثم نهض من مكانه وقال في حزمٍ شديدٍ:

- بل أرى أنه يستحق كل الاستحقاق يا «ماجد»، كل شيءٍ من الزمن القديم يستحق الاهتمام.

كان «ماجد» شابًا في أوائل العشرينات من عمره، أملس الوجه، قصير الشعر، معتدل القامة بالنسبة للطول، نحيف القوام، أبيض البشرة.

تفاجأ المتعجب السائل «ماجد» من غضب الذي كان يشاهد الفيلم، وسأل مندهشًا:

- لِمَا كل هذا الغضب أيها الخال؟

رد الخال «فهمي» وقال:

- أأنت راضٍ عن حالك هذا يا «ماجد»؟ أيعجبك حال الجميع هنا؟

قال «ماجد» رافعًا كتفيه مُلوحًا بيديه:

- لا بد أن نتقبل واقعنا يا خال.

رد الخال «فهمي» عاقدًا حاجبيه:

- أي واقع هذا الذي نتقبله؟ ليس هذا الواقع الذي يجب أن نعيشه لنتقبله كما هو، إنه واقع مفروض علينا.

اقترب «ماجد» إلى «فهمي» وربَّت على كتفيه مُغيرًا مسار الحديث، وقال:

- أنت تعلم أنني أعتبرك بمثابة خالي؛ لأنك خال صديق طفولتي.

ثم سكت لحظة وأكمل:

- أعز أصدقائي ...

فصمت مرة أخرى كأنه يعيد ترتيب كلامه، ثم أردف:

- بل صديقي الوحيد «آدم»؛ ولهذا أريدك أن تُهدئ

من روعك.

نظر «فهمي» إلى ماجد نظرةً ثاقبةً وقال:

- إنه «آدم»، إنه ابن أختي، الوحيد الذي يفهم كلامي، إنني أراه مستقبل عالمنا.

قال «ماجد» ساخرًا:

- أي عالم هذا؟ إنه عالم يحتضر.

فأشار «فهمي» إليه بسبابته بسرعة مجرد ما انتهى من جملته، ورد:

- أترى؟! لقد قلتها بنفسك، إنه عالم يحتضر، أترى أنك تؤمن بكلامي، وتؤمن بأن ليس هذا واقعنا الذي يجب أن نتقبله؟

قال «ماجد» مستسلمًا:

- أعلم جيدًا يا خال، بأن كل كلامك حق، ولكن ما فائدة كل هذه المجازفة، ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئًا؟ لا نقدر أبدًا أن نغير هذا الواقع الأليم، لن نستطيع أن نحرك ساكنًا وإلا كُشف أمرنا.

قال الخال «فهمي» نافرًا:

- لهذا عالمنا يحتضر، يحتضر لأنه يعيش فيه أشخاص أمثالك، أشخاص لا يفكرون لكي يصنعوا مستقبلهم الخاص بهم.

رد «ماجد» هذه المرة في حزم:

- أتستطيع أن تخبرني بما فكرتَ فيه أنت لكي

تصنع مستقبلك؟ مستقبلك الذي هو نفس مستقبل الجميع هنا.

صمتَ «فهمي» كأنه لم يجد ما يتحدث به، ثم قال في أملٍ:

- في يومٍ ما سنستطيع، في يومٍ ما سنفعل، في يومٍ ما سنضرب بيدٍ من حديد.

تحدّثَ «ماجد» في غلبةٍ من أمره قائلًا:

- إنهم أقوى من الحديد.

نظر إليه «فهمي» ساكنًا مطأطئ العينين كأنه يقتنع بكلام «ماجد»، ثم جلس في مكانه وسأل «ماجد»:

- أتعلم لماذا كنتُ أشاهد هذا الفيلم خصيصًا؟

رد «ماجد» في حيرةٍ:

- لماذا؟

قال «فهمي»:

- رغم أنه فيلم خيالي من نوع الرعب إلا أنه يُذكّرني بالواقع الذي نعيشه الآن.

سكتَ لحظات ثم أردف:

- هذا الفيلم يتكلم عن العالم السفلي؛ حيث يعيش فيه المستذئبون، ومصاصو الدماء، والمنبوذون، والأشرار إنهم يصعدون إلى العالم العلوي حيث عالم البشر؛ ليتغذوا عليهم ويحوّلونهم ليكونوا مثلهم

فيزيد من أعدادهم لكي لا ينقرضوا.

صمت مرة أخرى متأملًا ثم أكمل:

- وها نحن الآن، نحن البشر مطرودون من عالمنا الأحق بنا، منبوذون هنا في عالمنا المفروض علينا، مختبئون خائفون.

ثم سكت ناظرًا للأعلى واستأنف:

- ها نحن الآن، نحن البشر مَن نعيش في العالم السفلي.

قاطعه «ماجد» وقال:

- ولن نستطيع أن نصعد إلى العالم العلوي؛ لكي نحولهم ليغدوا مثلنا، فلا نحن مستذئبون أو مصاصو دماء ولا هم بشر.

نظر إليه «فهمي» في فخرٍ وقال له:

- إنها أول جملة صحيحة نطقتَ بها منذ أن بدأ حديثنا، معك حق حين قلت أنهم أقوى من الحديد.

ثم أشاح بنظره إلى الأعلى وأكمل حديثه:

- إنهم من الفولاذ.

بل فولاذٌ متطورٌ.

قالتها «دينا» أثناء دخولها إليهما، فنظر إليها الخال «فهمي» وقال:

- ها قد أتت خطيبتك يا «ماجد».

كانت «دينا» قصيرة القامة، سمراء البشرة، على عكس خطيبها، لكنها قصيرة الشعر الناعم، عيناها سوداوان، وفمها صغير حتى بالكاد تراه حين تتحدث، إنها جميلة المظهر.

سُمِّرَ «ماجد» في مكانه منذ أن أبصر حبيبته تأتي إليهما ولم يرد على الخال؛ فلاحظ «فهمي» ذلك ونظر إليه ثم نظر إليها، وابتسم قائلًا:

- إنه «آدم» الذي يصبرني عليكما.

ثم فتح أخيرًا «ماجد» فاه وتحدث سائلًا خطيبته:

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

انفجر «فهمي» ضاحكًا بمجرد أن سمع سؤال «ماجد»، فنظر الأخير إليه متعجبًا:

- ما المضحك فيما قلته؟

فردت «دينا» عليه قائلةً:

- لن تكف عن طريقتك التلقائية الغشيمة التي تضعك في مواقف مخزية لك.

كانت عينا «فهمي» تتأرجحان بينه وبينها مبتسمًا فخورًا بهما، ثم قال:

- دعاني أقوم بدور الخال، وكما يقولون الخال والد؛ لذا سأنصحك يا «ماجد» بما يجب أن يقوله الرجل لخطيبته حينما تأتي إليه.

نظر إليه «ماجد» بعينين متلهفتين للنصيحة، فأدرف «فهمي»:

- من أين جئتِ؟ ولماذا لم تخبريني لكي لا تأتين بمفردك؟ هل كان يومك طيبًا؟ ماذا فعلتِ في يومك؟

لا زال ينظر «ماجد» إليه، ولكن بعينين مصدومتين، فأكمل «فهمي»:

- هذا ما يقوله الرجل لخطيبته؛ إنها الأنثى يسعدها بأن تهتم بها وتجعلها تشعر بأن وقتها مهم لديك، إنها التفاصيل حتى لو كانت في نظرك تافهة إلا أنها تزداد قيمتها حين تتحدث عنها، بل عن كل شيء تريد هي أن تتحدث فيه.

ضيقت «دينا» عينيها وتحدثت في غيظ:

- هل ما أسمعه سخريةً؟

رفع «فهمي» يديه مشيرًا بكفه، ثم نظر إلى «ماجد» وقال:

- وإياك أن تسخر منها، الويل لك.

ضحك الجميع وتحولت الليلة إلى ليلة سمرٍ؛ لكي يشغلوا وقتهم حين يأتي مَن ينتظرونه .. «آدم».

وهم في خضم ذلك السمر سأل «ماجد» «فهمي»:

- بما أنك مولعٌ بالزمن القديم، لما لا تحكي لنا عما حدث منذ الحرب الكبرى؟ وما الذي أتى بنا إلى هنا بالأسفل؟ ولماذا نظل هنا مختبئين منهم؟

أخذ «فهمي» شهيقًا طويلًا، ثم أخرج زفيرًا أطول، كأنه يحمل على أكتافه إجابات هذه الأسئلة التي تبدو مؤلمة، ثم رد عليهما:

- دعا كل شيءٍ في وقته، ستعرفان كل شيء، لكن ليس الآن، كل ما أريد أن تعرفاه هو أننا يجب أن نظل مختبئين هنا، يجب على كل هذا العالم أن يظل مختبئًا هنا بالأسفل، ولا أحد يفكر مجرد فكرة أن يصعد للأعلى.

سألت «دينا» في ذكاءٍ:

- وهل تضمن كل العالم السفلي؟ هل أنتَ متيقن ألا يصعد أحدهم للأعلى؟

أجابها:

- بالقطع لا، ولكن أضمن بأننا جميعنا خائفون، والخوف يقتل الفضول. منذ الحرب الكبرى وظللَنا هنا بالأسفل مدفونين، إننا كثيرون لكننا منقسمون.

العالم السفلي مقسَمٌ إلى أربعة مدنٍ كبرى ...

قاطعه «ماجد» قائلًا في تعجب:

- أربعة مدن وتقول كثيرين؟

فقال «فهمي»:

- نعم، كما تعرفان أربعة مدن، لكنها مدن متفاوتة الحجم والكثافة السكانية، حيث يبلغ تعداد سكان العالم السفلي بأكمله حوالي نصف مليون نسمة، وبسبب هذه الظروف التي نعيش بها هنا بالأسفل لا أحد يرانا نكتفي بكلمتين: «مدن مدفونة».

ردت «دينا»:

- لا زلنا لسنا كثيرين.

أجابها «فهمي»:

- بالمقارنة بالزمن القديم فلسنا كثيرين، وأيضًا بالمقارنة بمَن هم بالأعلى بالقطع ليسوا كثيرين، ولكن عندما يكون الحديث عمَّن نجا من الحرب التي قضت على الجميع؛ فنحن كثيرون جدًا.

إنه السؤال التالي، فقال «ماجد»:

- لقد قلت إننا منقسمون، الجميع يدرك ذلك، نعلم بأن الأربعة مدن المدفونة على خلافٍ فيما بينهم، لكن ما سبب هذا الخلاف؟

رد الخال:

- هذا خلافٌ عمره أكثر من ١٠٠ عام، حدث بعد قيام الحرب الكبرى عام ٢١١٢ بخمسة أعوام،

بعد انتهاء الحرب وموت الكثير من البشر، فر الباقون إلى الأسفل؛ ليختبئوا عن أنظار العالم العلوي الجديد متخذين بذلك محطات مترو الأنفاق بدايةً لحياتنا السفلية، ثم حفرنا ونقّبنا لنخلق لنا عالمًا بأرض الظلام نعيش فيه حيث الأربعة مدن حاليًا، لكن في البداية لم نكن منقسمين، كان الجميع يعيش في نفس المنطقة هنا بالأسفل، وبسبب القواعد والقوانين التي من المفروض أن نسنها لنعيش تحت قيودها؛ لكي يكون هناك مبادئ نلتزم بها، فلا أحد يفعل ما يحلو له.

هناك من اعترض، وهناك من يريد أن يتزعم دون وجه حقٍ؛ لكي يفرض آراءه الفاسدة، ومن يريد أن يفعل ما يريد أن يفعله، وهناك من لا يهتم بالأمر من الأساس.

فانقسمت الآراء الأربعة، ومن هنا انقسمت القوة إلى أربعة قوى رئيسة: المعترضون، المتهورون، المحافظون، وأخيرًا المجانين.

المعترضون وهم مَن رفضوا القوانين، إنهم يمثلون الخطورة بسبب زعيمهم الحالي، وهو أيوب. فكما تعرفان أنه أخطر وأقوى حاكم مرّ عليهم منذ الانقسام، وهي أكبر مدينة من الأربعة بسبب تحالف الكثير مع زعيمهم الأول الذي اعترض في البداية على فكرة القوانين.

وهنا أستطيع أن أقول بأنني أدركت أن الكثير

يريد أن يعيش دون أن يتقيد بشيءٍ يحكمه.

والمتهورون وهم مَن كانوا يريدون أن يفعلوا ما يحلو لهم، يقتلون وينهبون ليعيشوا، لكنهم وبسبب تهورهم ليسوا منتظمين وليس لهم هدف، ومن السهل دحرهم، وهم الأقل عددًا.

أما المجانين فهم مَن كانوا ليس لهم رأي في أي شيءٍ، وأُطلِق عليهم اسم المجانين؛ لأنهم يفعلون أشياء غريبة، فعلى سبيل المثال: يدرسون عن الجن والأشباح لكي يتقلدوا بهم، لا أعرف لماذا يفعلون هذه الأشياء المريبة؟!

ويتساوى عددهم بنا، من وجهة نظري الشخصية إن المجانين هم الأكثر خطورةً وفتكًا من هولاء؛ لأن رغم جنونهم إلا أنهم يدركون ما يفعلونه بالضبط ولا يفعلون شيئًا دون هدف، وهذا ما يجعل الجميع خائفًا منهم؛ لأن لا أحد يتوقعهم، فلا أحد من الثلاثة قوى الأخرى يدخل لهم ولا يقترب حتى إلى منطقتهم.

والآن بعد تحالف المتهورين مع المعترضين على يد أيوب زعيم المعترضين فنبقى نحن المحافظون الأكثر ضعفًا، لكن الشيء الوحيد الذي نتميز به عن غيرنا والذي سيكون بمثابة قوتنا هو .. العلم.

كان المعترضون يأخذون منا كل شيء مقابل أن يدفعوا ثمن الشيء الذي يأخذونه، إنهم يأخذون وصلات ليديروا الكهرباء في منطقتهم، وكذلك

الإشارات الخاصة بالإنترنت والقمر الصناعي، وأيضًا تمتد أنابيب الهواء إليهم ليتنفسوا الأكسجين كل هذا يدفعون لنا ثمنه؛ ولهذا السبب نحن الأكثر غنى بينهم، كانت علاقتنا عبارة عن تجارة فقط لا أكثر؛ ولهذا لم يكن بيننا احتكاك، وهم بدورهم يمدون كل هذا لمدينة المتهورين ويأخذون المقابل منهم مثلنا.

ولكن كما تعلمان منذ أكثر من عشرة أعوام انقطعت هذه الصلة، وانقطع معها كل شيء نمده لهم من خيراتنا، وحتى الآن لا نعرف السبب وراء هذا ولا نعلم كيف يعيشون؟

تسمَّرت وجوههما وتقلصت ملامحهما، استغرقَ الأمر دقائق من الذهول والصمت لكي يستوعبا الكم الهائل والشنيع في ذات الوقت من المعلومات، ثم تساءلت «دينا»:

- كيف لك أن تعرف هذا الكم من المعلومات التي عمرها أكثر من مائة عام؟

رد عليها «فهمي» وقال:

- لا أرى أن دراسة التاريخ هو الشيء المستحيل الذي لا يقدر عليه أحد؛ لكي أرى هذا الذهول على وجهيكما.

فتدخل «ماجد» قائلًا:

- نعم، معك حق، إن دراسة التاريخ شيءٌ منذ قديم الزمن كما أسمع، فقد تصل إلى دراسة حضارات

ومعالم عمرها آلاف الأعوام للوراء، لكن هذا كان قبل الحرب. الأمر العجيب هنا هو أنك تعرف هذا التاريخ في ظل هذه الظروف، تحت الأنقاض، بينما غيرنا متهوّرٌ، ومعترضٌ، ومجنونٌ لا أحد يفكر، الكل يريد أن يعيش.

فأجابه الخال:

- إنه تاريخ عالمنا السفلي، لا بد على كل امرئٍ هنا أن يكون على درايةٍ به، لكن كما قلت لا أحد يفكر؛ ولهذا «العلم» هو ما يميزنا عن غيرنا، ولا تنسيا أنني كنت في وقتٍ من الأوقات معلم تاريخ بمدارس العالم السفلي.

بعد هذا الجدال العنيف، وبعد دقائق أخرى من الصمت، لاحظ «ماجد» أنهم نسوا ما ينتظرونه، بل بالأحرى من ينتظرونه فتساءل:

- أين «آدم»؟ لقد تأخر، لماذا لم يأتِ بعد؟

أخذ «فهمي» نفسًا عميقًا، ثم نظر إلى الأعلى قائلًا:

- لأنه بالأعلى.

@ART_OF_BOOK

العالم العلوي

إنها مدينة كبيرة، مبانيها فائقة الجمال، عالية حتى السحاب، لا ترى بها سوى صورة لنفسك حين تنظر إليها، إنها مطلية بالزجاج العاكس. مدينة لا تنطفئ فيها الأنوار بالليل، تبدو كأنها في وسط النهار، توجد شاشات عرض رباعية الأبعاد تندمج مع الجدران حتى لو كانت تلك الجدران بها فراغات، فلا تشعر بأن هناك ما ينقص من الصورة؛ إنها تختلف عما تتوفر في العالم السفلي، بالطبع هذه الأفضل؛ إنها تتواجد بعد كل عشرة أمتار في الشوارع، تبدو كأنها حقيقية وكأن الرجل الذي يعلن عن شيء ما فيها حقيقي، ولكن ذا حجمٍ أكبر من الحجم الطبيعي للإنسان بثلاثة أضعاف ينظر إليك من مكانه، مقربًا إليك المنتج؛ حتى تشعر أنه أمام عينيك مباشرةً وتشعر أنك تريد أن تمد يدك لتأخذه منه بالرغم من وجودك بعيدًا عنه بعشرات الأمتار.

أما بالنهار، إنها شيءٌ آخر، شيءٌ يفوق الجمال جمالًا، عندما تمر في المناطق التي تسطع فيها الشمس في فصل الصيف، يوجد هناك هواءٌ نقيٌ باردٌ يجعلك نسيمه لا تشعر بحرارة الشمس، كما أنه يضبط لك درجة الحرارة لو في فصل الشتاء، هذا يقابله ما يُسمى في الزمن القديم بأجهزة التكييف، بالطبع هذه أكثر تقدمًا.

المناطق التي لا تسطع فيها الشمس بسبب ظل

المباني العالية، أو بسبب حركة الأرض فتجعل الشمس تسطع في مكانٍ آخر حيث توجد هناك الأجهزة المتطورة التي تمتص حرارة الشمس؛ فتوجهها إلى هذه المناطق لو كنتَ في فصل الشتاء، أما إذا كنتَ في فصل الصيف فتضبط لك درجة الحرارة.

عندما تمر في طرقاتها فلا تحس بأي تعبٍ، لا تريد أن تصل لوجهتك عندما تقرر أن تقضي مسافتك مشيًا على الأقدام.

***

رغم هذا التطور إلا أنك لا تشعر بشيءٍ؛ حيث تسلبك التكنولوجيا المتقدمة والمتطورة إلى هذا الحد شعورك بما حولك، تسرق منك كل ما هو خُلِق ليكون طبيعيًا.

كل شيءٍ أمامك مصطنعٌ، كل شيءٍ تدخلت فيه اليد البشرية وحولته إلى آلةٍ مصنوعة، ولكن منذ أكثر من مائة وعشرين عامٍ لم تكن اليد البشرية من حولوا كل هذه الأشياء، بل كانوا هم.

لكن عندما ترجع للوراء للزمن القديم ستدرك أن اليد البشرية هي السبب، هي مَن صنعت مَن حولوا كل هذه الأشياء إلى آلاتٍ صناعية، هي أيضًا السبب في قتل نفسها عندما اندلعت الحرب وتدمر العنصر البشري. بالطبع، لم يكن يعرف العنصر البشري إلى ما قد يؤدي ما فعلوه، ولو عرفوا نتاج ذلك لكانوا

توقفوا.

في نهاية المطاف، يمكن القول بأن نية العنصر البشري كانت نية صافية تميل إلى التطور والتقدم والسباق، وبطبيعة الحال إن الإنسان خَيِّر بطبيعته، لكن هناك من يسمح للشيطان أن يوسوس في أذنيه.

***

هذا كان منظر المدينة الخلاب من الخارج، أما من الداخل فلا هناك أي كلماتٍ تصف جمال شكل أي شيءٍ تراه حولك.

السلالم الكهربائية ذات الدوران على مدار ارتفاع العمارة السكنية، الأسانسير الذي كادت تقترب سرعته من سرعة الصوت؛ إنها فقط ٣٠ ثانية وتكون في الدور العشرين من العمارة.

السيارات التي تدور بالطاقة الشمسية وبها مخزون يكفي لتشغيل المركبة ٢٠ ساعة متتالية ليلًا؛ ولأن لا يكون هناك ٢٠ ساعة ليلًا فالمخزون لا يفرغ، لكنهم وضعوا في حسبانهم الوقت الذي تحجب فيه الغيوم الشمس، وما أن تعود سيكون شُحِن ما تفرغ قبل مجيء الليل القادم.

المركبات الأكثر غلوًا بسبب سرعتها وصغر حجمها، إنها تطير في الهواء وتصل بك إلى المكان الذي تريده دون أن تشعر بشيءٍ، فقط إنك جالسٌ على مقعدٍ لا تريد أن تتركه.

كل الأشياء من جمادٍ تدور من حولك دون أن تحرك ساكنًا، مثل الستائر، أو أنك تجعل المقعد هو الذي يأتيك لا أنت من تذهب إليه لتجلس، بسبب «التحكم عن بعد» الأكثر تطورًا.

بالطبع تتواجد مثل تلك الأشياء في العالم السفلي، لكن هنا في العالم العلوي، إنها أكثر تقنيةً، إنها أكثر جمالًا، أكثر براعةً وتقدمًا.

***

أما عن الأسرار الداخلية العميقة، إنها حجرة كبيرة يغلب عليها اللون الأزرق الفاتح «لون السماء»، بها ثلاثة أشخاص أحدهم يبدو في أواخر العشرينات، والآخران في أوائل العشرينات، يتحاورون ويتجادلون فيما بينهم.

أحدهم أضخم من الاثنين الآخرين في الكتلة البدينة، ذو لحية خفيفة، وأصلع الرأس، وهو الأكبر سنًا، والآخر قصير القامة وأملس الوجه، لكن رأسه تمتلئ بالشعر الأسود القصير، أما الأخير فهو طويل القامة، وأنحف منهما، ذو لحية كثيفة، وشعر رأسه مثل صديق.

الحجرة بها عدد كافٍ من الأجهزة الإلكترونية، والحواسيب الآلية، والأسلاك الكثيرة، ولا يصح الغفلة عن الأبواب الإلكترونية التي تُقفل وتُفتح بزرٍ عن طريق اللمس في المكان المخصص لذلك الزر المتواجد في الحائط المجاور للباب، فيبدو كأنك

تلمس الحائط، إنها تشبه كثيرًا شاشة العرض التي بالعالم السفلي، كما أن هناك أبوابًا أخرى تعمل على شيفرة الصوت، فلا تتجاوب إلا على نبرة الصوت التي تم التعرف عليها مسبقًا على الدائرة المُشغلة للباب، كانت تلك الأبواب هى الأكثر أسرارًا.

قال أحدهم «النحيف ذو اللحية الكثيفة»:

- ارفع كود عملية النقل!

رد الآخر «القصير أملس الوجه»:

- هناك أكثر من نقلٍ، أي نوعٍ من النقل تقصد يا «رامز»؟

أجابه «رامز»:

- لو كان «سامر» بوسطنا الآن وسمعك، لكان فكك أجزاءك.

قال الآخر غاضبًا:

- هل هذا وقت مزاحٍ يا «رامز»؟

رد «رامز»:

- وهل هذا وقت غباء يا «وسام»؟

فتحدث الثالث «الضخم الأصلع» قائلًا:

- كفاكما، وافعلا ما عليكما.

نظر إليه «وسام» مغتاظًا، ثم قال:

- ألم تكف عن معاملتك القاسية هذه يا «شهاب»؟

عقد «شهاب» حاجبيه ووجَّه النظر إليه ورد قائلًا:

- لقد طلب منا قائدنا «سامر» فعل ذلك، ولا بد أن نفعله، لا أريد أن أنظر إليكما وأنتما أجزاء.

وهنا تدخل «رامز» وأجاب على سؤال وسام السابق:

- إنه نقل المهارات، عملية نقل المهارات أيها الأحمق.

وعاد الثلاثة في استئناف عملهم، وبدا كل واحدٍ فيهم منغمسًا فيما يفعله، كان «وسام» منشغلًا في عملية نقل المهارات، و«رامز» يتفحص الأسلاك كأنه يريد أن يطمئن أن كل شيءٍ على ما يرام لتتم عملية النقل، أما «شهاب» جالس على كرسي كان قد تحكم فيه عن بعد من خلال الريموت الذي بيده، فأتاه الكرسي وجلس لينظر إلى الحاسوب الذي أمامه كأنه يتابع على هذه العملية من خلال الحاسوب الكائن أمامه، ليرصد أي أخطاء تحدث أثناء النقل.

وفي أثناء ذلك أتت إليهم فتاة من أحد الأبواب الداخلية للحجرة، هذا الباب من ضمن الأبواب السرية؛ لأن كل حجرة بها عدد من الأبواب الأخرى، كأنها هي الحجرة الأم الكبيرة وبها عدد من الحجيرات الصغيرة التي تبدو أن بداخلها أشياء سرية لا أحد يعلم عنها شيئًا؛ ولهذا يكون وصف «أبواب سرية» لائقًا عليها.

كانت فتاة شابة ذات شعر قصير، تختبئ عينيها السوداوين خلف عدستي نظارة مستديرتين، بشرتها ناصعة البياض، معتدلة القامة، ذات جسد نحيف، كانت ترتدي بنطالًا أزرق يغطيه من الأعلى الأطراف السفلية للقميص الأبيض، ممسكة بيديها شريحة البيانات التي تعمل باللمس، فلا تكف الفتاة عن الضغط أو السحب بسبابتها على شاشة تلك الشريحة لدرجة إنها قالت متسائلة دون أن تنظر إليهم:

- هل انتهيتم من عملية نقل الأفكار؟

رد «شهاب»:

- لا زلنا في عملية نقل المهارات يا «يارا»؟

غضبت «يارا»، وقالت بصوتٍ مرتفعٍ:

- هل تمزحون؟ «سامر» لا يحب الكسالى.

لكن أي عملية؟ وأي نقل؟ وأي مهارت التي يتم نقلها؟ وأي أفكار؟

***

هذا ما أتساءل عنه في نفسي، ما الذي يفعلونه هؤلاء الحمقى؟ ماذا يوجد بداخل تلك الحجرات السرية؟ لا بد إنه شيءٌ شنيع. لا أنكر أن الفضول يقتلني، أريد أن أعرف وأفهم ما كل هذا الذي أنا بصدده الآن، لقد كتبت كل شيءٍ أراه هنا بالعالم العلوي في مذكراتي، ووصفته وصفًا دقيقًا، لكن لا

بد أن أعرف ما بداخل الحجرات؟ وماذا يفعولونه هؤلاء الحمقى؟ لكي يكون وصفي للأشياء وصفًا دقيقًا.

استأنفت تربصي، محاولًا ألا يكشف أمري كي أخفي نفسي من كاميرات المراقبة لديهم؛ لأختلس النظر ماذا يوجد بداخل تلك الحجرات؟ ولكن أقرب حجرة لي ليست تلك الحجرة التي تتم فيها عملية النقل، فاضطررت أن أذهب متخفيًا من الناحية الأخرى بخارج الحجرة الكبيرة، واختلست النظر من مسافة عشرين مترًا من خلال النافذة الصغيرة بالباب، ليرصد نظري ما بداخل الحجرة الأخرى من خلال ما يشبه تلك النافذة بالباب الآخر.

وبالفعل، نجحت في ذلك لأنظر ما هذه الداهية التي تراها عيناي، في نفس اللحظة كانت قد تحدثت «يارا»، قاصدةً بكلامها ما بداخل غرفة العملية:

- لقد انتهى، حاولوا أن تنهوا أعمالكم قبل أن يأتي «سامر»؟

إنني أرى شخصًا ميتًا!!!

آدم

كان «آدم» طويل القامة، معتدل البنية، مفتول العضلات، ذو لحية وشارب خفيفين لكنهما يمتلكان ما يكفي من الشعر البني الغامق الذين يغطيان ذقنه، كما أنه ذو شعر طويل ناعم، لونه نفس لون لحيته، يصل أطرافه السفلية عند بداية كتفيه، ليس هو أبيض البشرة أو أسمر البشرة، إنه ما بين الاثنين، ذلك اللون الذي يمتاز به معظم شعبنا. يمتاز بأنه أسرع شخص في العالم السفلي في الركض، يلقبونه أحيانًا بالعدّاء.

فقد أبويه منذ خمسة أعوام إثر قتلهما على يد عم زعيم مدينة المعترضين «عم أيوب»، كما أن لديه أختًا تدعى «سارة» يظن أنها ماتت في نفس الحادث، الكل يظن ذلك ولكن في الحقيقة هي لا زالت على قيد الحياة، ولا أحد يعرف ذلك حتى الآن.

لقد تملكني الذهول حين رأيت هذه الجثة، لكنها تبدو لي بأنها جثة لبشري، ما الذي أتى بالبشريين إلى هنا؟! وما عمليات النقل هذه؟! وهل باقي الحجرات بها نفس ما أبصرته عيناي؟! ويجرون عليهم هذه العمليات القذرة ثم يتركونهم ليموتوا؟!

تساؤلات كثيرة تدور في رأسي، وأنا لا زلت في حالة الذهول مما جعلني ذلك لا أشعر بما حولي، تراجعت بضع خطواتٍ للوراء فاصطدمت يدي

بزجاجة لا أعرف ما بداخلها، لكنها كانت موضوعة على ما يبدو لي سرير نقل مثل ما يستخدمونه في المستشفيات لكنه أكثر تقنية، كأنني أراه يزحف بمفرده بتلك العجلات المثبتة في أرجله الأربعة، إنه مليء بشاشات الديجتال، وموصلًا بأسلاك ذات ثقب ٧ ملل.

لقد فهمت ذلك، إنه يشبه زر قفل الباب المصنوع في الحائط، كما أنه يشبه جدران الحائط الكهربائية، إنه سريرٌ به أجهزة متابعة الحالة كجزءٍ منه، كأن السرير يتعرف على الجسم الموضوع على هذا السرير عن طريق الأسلاك التي ترسل حالة المريض إلى هذه الشاشات والأجهزة التي تتواجد في كيان السرير، إنه سرير مثل الذي يرقد عليه ذلك الميت.

لقد سمعوا هذا الصوت الذي دوى بالخارج، فوجهوا نظرهم جميعًا «الأربعة» إلى هذا الباب الذي يؤدي لخارج الحجرة من خلال ذات الشباك، لكنني كنت سابقًا بخطوةٍ، فلم أعطهم الفرصة ليلمحوني؛ لقد تقدم «شهاب» الأصلع ليرى ما بالخارج، أما أنا فركضت مسرعًا بخطواتٍ خفيفة وسريعة لكي لا يشعروا بي أو حتى يلمحوا طيفي.

شرعت أركض وأركض، خائفًا مذعورًا، لا أريد أن يروني أو حتى يلمحوا طيفي؛ لأن لو حصل ذلك سأكون سببًا في دمار عالمي، العالم السفلي بالأكمل، حيث وضعوا ثقتهم فيّ، ولا بد أن أكون جديرًا بهذه الثقة.

لا أعرف لماذا وضعني خالي في هذه المهمة؟ أشعر الآن أنني مثل ذلك الممثل السينمائي الذي كان من ضمن ممثلي الزمن القديم، وهو يفعل المهمات المستحيلة في أفلامه كأنني توم كروز.

ظللت في الركض خرجت من هذا المبنى ومنه إلى الخارج، وكل تفكيري في أنني أفعل ما يتطلبه الأمر مني، في كل ما يدور من حولي.

أفكر في أنني أتوارى عن أنظارهم دون أن أصطدم بشيءٍ آخر؛ فيلاحظ وجودي آخرون وفي ذات الوقت أكون سريعًا ذا خطواتٍ خفيفة.

أفكر أيضًا فيما رأته عيناي منذ دقائق، أفكر في العالم السفلي إذا ما أخطأت، أفكر في مذكراتي التي دائمًا أكتبها عن العالم العلوي.

أفكر في نفسي أنني ما زلت شابًا لم أتزوج بعد، أفكر في خالي «فهمي»، في صديق طفولتي «ماجد» وكيف لن يتم زواجه من خطيبته «دينا» إذا أخفقت في أي شيءٍ هنا حتى لو بسيط؛ فهنا لا مجال للأخطاء. أيضًا صديق الدراسة «وحيد» الذي ينتظرني بمركبةٍ من مركبات العالم لسفلي عند الفجوة.

كان «وحيد» ذا شارب دون لحية، قصير القامة، أسمر البشرة، معتدل البينة، ذا شعرٍ قصير، دائمًا وجهه عابس، لكنه يمتاز بالشهامة ولديه روح المغامرة.

وكذلك الفجوة أخذت وقتًا من تفكيري، إنها بداية ونهاية كل شيء، إنها الخلاص، إنها الاتصال الذي يصلنا بهذا العالم، إنه الطريق الذي يؤدي بنا إلى عالمنا السفلي، إنها سرنا الخاص بنا الذي لا يعرفه هذا العالم.

أعلم أنني تأخرت على خالي «فهمي»، وأدرك القلق الذي بداخله الآن متظاهرًا أمام الغير أنه بخير، لكن القلق يكاد دائمًا يقتله؛ ولكي يخفي قلقه هذا يظل يحكي ويسرد تاريخنا «تاريخ العالم السفلي والمدن والمدفونة» لبعض الأشخاص حتى وإن كانوا هؤلاء الأشخاص يعرفون ذلك التاريخ مسبقًا، حتى أنه في بعض الأحيان يعيد سرد تلك القصص لنفس الأشخاص!

العجيب أنهم يستمتعون في كل مرة يستمعون له رغم تكرار الكلام، لا أعرف لماذا؟ ربما بسبب حسه الفكاهي الذي يتمتع به، فكل مرة يسرد نفس القصة لكن ليس بنفس الطريقة والأسلوب.

إنه يريد من ذلك أن يحفر تاريخنا في عقل الأجيال؛ لكي يسردوه هم بدورهم لأولادهم حتى لا يموت هذا التاريخ، ولذلك أتولى أنا تدوين مغامرتنا في العالم العلوي، إنه يعتبر من ضمن تاريخنا، إنه تبادل الحضارات، لكن هنا التبادل في الخفاء ومن طرف واحد فقط، إننا نحاول فهم العالم العلوي ومجاراته حتى إذا حدث شيءٌ مما نخافه فنكون

على أتم الاستعداد له.

وبالطبع لم يكف «ماجد» وخطيبته في إلقاء الأسئلة عليه، هذه هي عادتهما، وهنا ينطبق عليهما المثل القديم «لما ربنا يوفق راسين في الحلال»، لكنهما في المكان المناسب وعند الشخص المناسب، إن السرد والحكي والتاريخ ملعب هذا الرجل، هذا الرجل الذي يقول لي على الدوام أنني مستقبل العالم السفلي.

لا أعلم لماذا يقول لي هذا؟ لكن أعلم شيئًا واحدًا هو أن هذه الجملة هي سبب نجاحي في مهماتي هنا بالأعلى، إنها سبب عدم إخفاقي، إنها سبب مثابرتي لأفعل كل ما يتطلبه الأمر مني حتى أصل إليهم سالمًا دون أن أترك أثرًا لي هنا. إنها السبب لتجعلني أركض الآن بكل ما أوتي من سرعةٍ وخفةٍ حتى أصل لصديقي «وحيد» عند الفجوة لأعود إلى عالمي.

هذه الفجوة التي تصل العالم السفلي أجمعه بالعالم العلوي، إنها طريقنا الوحيد للأعلى.

***

بعد مرور ساعة من الجري كانت كافية لكل هذه الأفكار والهواجس، والتساؤلات إنها لأمر مرهق للغاية، إنها الساعة الأصعب في هذا اليوم، كان موقع الفجوة بعيدًا جدًا عن وسط المدينة حيث كنت.

وصلت أخيرًا إلى «وحيد» الذي لمحني من بعيدٍ، فأدار مركبته متأهبًا لكي أقفز على هذه المركبة عند وصولي إليه دون أن نتوقف جزءًا من الثانية، إنها الخطة والتدقيق في العمل، أقصد في المهمة.

لقد نجحت في ذلك، وصعدت المركبة خلف «وحيد» وأنا أتصبب عرقًا، مستوى ضغط دمي متدفق في عروقي التي كادت أن تنفجر، إنه الأدرينالين.

الأدرينالين الذي يجعلني أقبل بهذه المهام، ولا أقول عبارة «هذا لا يعنيني»، وليس أيضًا بسبب أنه مَن طلب مني ذلك هو خالي؛ إنني أفعل ذلك لأني أريد أن أفعل ذلك، إنني أحب أن أعيش روح المغامرة، والخطورة، ففي عمري هذا يصل مستوى الأدرينالين إلى أعلى مستوياته.

الفجوة هي عبارة عن حفرة مربعة الشكل بسطح الأرض، يغطيها لوحٌ من الفولاذ الصلب، واللوح مغطى بقشرةٍ من البلاستيك؛ لكي يمتص صوت الخطوات التي تحدث على ذلك اللوح الصلب. ويُرسم على تلك القشرة البلاستيكية نفس مظهر الطريق مما يحتويه من لون وزخارف وشكل، بطريقة رسم ثلاثي الأبعاد؛ فيبدو أنه حقيقي وجزء فعلي من الطريق حين نضع هذا اللوح ليسد تلك الفجوة، لقد قام بذلك أمهر الرسامين بعالمنا السفلي. وبمناسبة الرسم فإن صديقي «وحيد» يعد من أشهر الرسامين في وقتنا الحالي، أما عن حواف

هذا اللوح، فتمت صنفرتها بشكلٍ دقيق، ثم جعلناها مدببة الشكل من جهةٍ واحدة فقط وهي الجهة العليا، لقد قام بذلك أقدر المهندسين بمساعدة أبرع الحدادين. وبالنسبة للحدادة، فصديقي «ماجد» يعد من أفطن الحدادين في الزمن الحالي.

وبما أن اللوح نفس مستوى الطريق، فيبدو أنه جزءٌ بالفعل من الممر حين ثقفل هذه الفجوة بوضع ذلك اللوح عليها، وعندما يمر عليه أحدهم عند بداية ونهاية الفجوة، رغم عدم ارتفاع اللوح عن مستوى الطريق؛ فيظن أنه مطبٌ صنعوه لكي يهدئ سرعة المركبات لديهم للمارة حين تمر.

كان «وحيد» ينتظرني عند الفجوة ما إذا حدث شيءٌ غير العادي هناك فينزل للأسفل ويغطي الفجوة، ويتركني هنا بمفردي بعد أن يرسل لي رسالة على شريحة الاتصال الخاصة بي؛ لأعلم منها أنه نزل للأسفل، فأبقى أنا هنا أنتظر بين الطرقات متخفيًا حتى أجد طريقةً أنزل بها حين تأتيني الفرصة المناسبة، كان هذه اتفاقنا؛ يترك أحدنا الآخر إذا حدث شيءٌ مريب، كان هدفنا الأسمى والأساسي ألا يُكشف أمرنا.

نزلنا بالأسفل وغطينا وراءنا الفجوة باللوح المرسوم، حيث كانت الفجوة تبدأ بطريقٍ مائلٍ مرتفع من بداية الفجوة بالأعلى ومائلٍ مستمرٍ للأسفل حتى سلم بنيناه نحن يؤدي بنا إلى نفقٍ.

ولجنا إلى الداخل حيث الطريق يؤدي بنا إلى سلم ثم إلى نفقٍ واسع مائلٍ بنفس نظام الطريق الأول، ومنه إلى حدود المدن الأربعة، حيث كانت مدينتنا «مدينة المحافظين» هي أول المدن وتمثل الشمال، تقابلها من الجهة الأخرى «مدينة المعترضين» وتحتل غرب العالم السفلي، أما المدينتان الأخرتان كانتا عند الجبهة الأخرى الداخلية لمربع المدن، بمعنى أن مدينة المتهورين في الوسط، ومدينة المجانين في أقصى الجنوب. أما الشرق إنه الفراغ، الفراغ الذي يمثل الطريق الذي يصل العالم السفلي أجمعه بمدنه الأربعة بالفجوة، ونسميه الطريق الشرقي أو الطريق الطويل.

دلفنا بداخل المدينة، وبعد نصف يوم على المركبة من بدء نزولنا، وصلنا الحي الذي نعيش به، كانَ يحيينا كل مَن يقابلنا؛ إنهم أهل الحي الخاص بنا، وهنا كل واحدٍ منا يعرف الآخر.

بعد نصف ساعة من وصولنا الحي، بلغنا مسكننا، ونظرت فوجدتهم جميعًا والقلق يملأ وجوههم، وكأن خالي لم يعد يجد أيّ قصة أخرى ليحكيها، كان هو و«ماجد» صديق طفولتي الذي يبدو عليه الغضب، وخطيبته «دينا» -كما توقعت- حتى فجر «ماجد» غضبه في وجهي بقوله:

- لماذا لم تخبرني لكي آتي معك؟

نظرت له ثم إلى خطيبته، وقلت ضاحكًا قاصدًا

بكلامي «وحيد» وأنا:

- نحن لم نرتبط بعد، ولن نفعلها.

فنغزتني «دينا» في جنبي بإصبعها الطويل الرفيع كأن وخزتني، فتحدث «ماجد» موجهًا كلامه لي وهو فخورٌ ساخرٌ:

- ستندمان إن لم تفعلا ذلك.

فقاطع خالي هذا الحوار الساخر، وقال في جديةٍ:

- حمدًا لله على سلامتكما أولًا، ألم تقولا لي ما الذي أتيتما به اليوم؟ هل من جديد؟

لن أتقبل أبدًا اللحظة التي يتحدث فيها خالي بجدية، لا أتقبلها عليه من الأساس، لا تليق به أبدًا وأوشكت أن أضحك في نفسي حتى استجمعت ذاتي وقلت محاولًا أن أكون جديًا:

- لقد وجدت اليوم أهم شيء منذ أن بدأت في صعودي للأعلى.

رد خالي متسائلًا في لهفةٍ:

- ماذا وجدت؟

هنا تغيرت ملامح وجهي، وأصبحت جديًا بالفعل حين تذكرت ما رأيته بالأعلى، فأجبته:

- ما سأقوله هو بناءً على استنتاجاتي لما رأيته هناك.

قال خالي:

- أنت تعلم أنني أؤمن بِك، غير أن ذكاءك لم يِخُنك مرة.

قلت له ناظرًا إليه نظرةً ثاقبةً:

- لقد علمت السبب في وراء زيادة أعداد هؤلاء الروبوتات.

@ART_OF_BOOK

ظهرت ملامح الفخر على وجه خالي، وفي اللحظة التي سمع فيها جملتي، طرقع بإصبعه الإبهام مع الوسطى وقال:

- لأجيالٍ كنا نتساءل كيف تتزايد أعدادهم وهم لا يتكاثرون. الآن أخبرني ماذا وجدتَ يا «آدم»؟

أجبته:

- لقد رأيت بشرِيًا هناك ميتًا في مكانٍ ما من الأماكن التي تبدو مهمة.

ذُهِل الجميع حين سمعوا ما قلته الآن، وأحدهم تعجب من كلامي، إنه «وحيد» صديقي الدراسة، وجه لي سؤاله:

- وكيف لكَ أن تفرق بين البشر والروبوت، إنهم يشبهوننا في كل شيءٍ؛ الشكل، والجسم، والقوام، والحركات، والأسلوب، وحتى الأفكار.

صمت لحظاتٍ أفكر في كلام وحيد كأنني وجدت أجوبةً على تساؤلاتي السابقة، فأشرت بإصبعي الإبهام وأنا رافعٌ ذراعي نصف رفعة وأهزه مشيرًا بالإصبع قائلًا:

- يبدو أنني فهمت الآن ما كانوا يفعلونه بالبشري.

قال ماجد:

- قبل أن أسألك سؤالًا الذي هو يشبه سؤال الخال

«فهمي» ماذا كانوا يفعلون بالبشري؟، فأنتَ لم تجب على سؤال «وحيد».

أجبتهم قائلًا:

- لا أعرف أشرح ذلك، لكن الأمر يشبه كيف كان القدماء يميزون بين الآثار المزيفة والحقيقية، أو حين تميز أنت يا «وحيد»، بين الصورة الحقيقية والرسمة لها، أو حين تميز أنت أيضًا يا «ماجد» بين أنواع الحديد، وأنا الوحيد هنا أكثر مَن رآهم، فلي أن أعرف جيدًا أن أميز بين الروبوت والإنسان.

كان خالي ينصت لكلامي جيدًا، لكي يفهم ويفسر كل كلمة أتفوه بها، فسأل:

- والآن ماذا كانوا يفعلون بالبشري؟

أجبته:

- لقد اقتبست من كلام «وحيد» الآن حين قال أنهم يشبهوننا، إنهم يجرون عليهم العمليات، مثل عملية نقل المهارات وعملية نقل الأفكار.

ثم نظرت إلى «وحيد» وأكملت:

- وهذا يفسر لنا كيف هم يشهوننا في كل شيء؛ لأن مثلما هناك عمليات نقل للأفكار والمهارات من الإنسان البشري إلى الروبوت، فهناك أيضًا عمليات لنقل الشكل أو الملامح، لا أعرف ما الاسم الذي يطلقونه عليها هل عملية التناسخ؟

تحدث خالي:

- إنه أمر من المؤكد كان يعرفه أجدادنا الأولون هنا بالعالم السفلي، ومع مرور الأعوام تلاشت بعض المفاهيم التي لم تهتم بها الأجيال اللاحقة لهم، والآن بفضلك يا «آدم»، أصبحنا نحيي ما قد مات، ألم أقل لكَ أنك مستقبلنا؟

تحدثت أخيرًا «دينا» متسائلة:

- ولكن يبقى سؤال واحد هنا إذا كانوا يجرون على البشر هذه العمليات القذرة لكي يغدوا مثلنا، فما علاقة ذلك بزيادة أعدادهم؟

نظر إليها خالي مبتسمًا فخورًا، ثم قال:

- سأعيد سؤالك بصيغة أخرى؛ إذا كانوا يحتفظون بالبشر لكي يفعلوا هذه العمليات ألم تنتهِ أعداد هؤلاء البشر مع مرور الوقت؟

أكدَ «ماجد» على هذا الكلام:

- نعم، معك حق أيها الخال، بما إن الحرب حدثت منذ أكثر من مائة عام، من المنطق أن أي عدد كان يحتفظون به سيموت ولم يبقَ بشري واحد لديهم.

زاد «وحيد» من التأكيد وقال:

- والآن تقول أنك رأيت البشري لديهم اليوم.

صمت لحظات أفكر ولم أجبهم، فساد صمتٌ لدقائق، ثم قلت بعد تفكيرٍ عميق:

- هذا يضعنا أمام احتمالين.

نظر إلَيّ خالي متلهفًا وسأل:

- ما هما؟

أجبته:

- الاحتمال الأول: أن مَن رأيته ليس بشريًا، وإنما روبوت مثلهم وامتصوا منه كل ما يملكه؛ ليحيوا روبوت جديدًا، وهذا الاحتمال مستبعد؛ لأنني متيقن مما رأيته.

أما الاحتمال الثاني: هو أنهم احتفظوا بكلا الجنسين من البشر، أعني أنني أتخيل أنهم يحتجزونهم أزواج أزواج كرجلٍ وفتاةٍ في زنزانة واحدة ومع مرور الوقت يتكاثرون ليلدوا لهم بشرًا جددًا؛ حتى يكتمل نموهم فيأتي دورهم في العمليات وهكذا دورة تدور، فتتزايد أعدادهم.

دندنَ خالي، ثم قال:

- إنه استنتاجٌ منطقي، وكلام يُصدق، لكن نريد دليلًا لإثبات أن هذا الكلام حقيقي بالفعل؛ لكي لا نندم على أي خطوةٍ قد نفعلها جرَّاء استنتاجٍ قد يكون خاطئًا، رغم أني متيقن من ذكائك يا «آدم»، لكن أريد أن أريح ضميري فقط.

***

لقد حلَّ المساء، وبدأت تنطفئ الأنوار بالمدينة، وذهب كل واحدٍ إلى مسكنه، أو الذي نقول عليه مسكنًا، أنا لا أطيق أن أقول على هذه الخنادق إنها

مساكن، شرعت في كتابة مذكراتي، إنني أكتبها لعل وعسى يأتي الجيل الذي يستطيع أن يعيش في المستقبل البعيد بالأعلى، فيجد هذه المذكرات ويعرف كيف عاش أسلافه بالأسفل، وكيف أوجدوا الطرق لكي يوفروا معيشةً تليق بهم. بدأت في الكتابة حيث ظللت أفكر في الحياة هنا، الحياة السفلية، الحياة التي ليس لها معنى على الإطلاق حتى الحد الذي يجعلني أتساءل لماذا نحن هنا؟ لماذا نعيش من الأساس؟ لا يجب أن نطلق على معيشتنا هنا إنها حياة، الحياة هنا لا تستحق هذا اللقب، إنها الحياة السفلية التي تشبه إلى حدٍ كبيرٍ السجون في أعماق الأرض.

إننا نعيش في خنادق قد بناها أجدادنا الأوائل الذين استقروا هنا منذ مائة عامٍ، لقد اختارت كل أسرة أو عائلة زواية معينة من هذه الأرض؛ أقصد من هذه الأنفاق، ثم بنت عليها، وقسمت تلك القطعة إلى ما يريدون من حجراتٍ مما يشبه غرفة النوم، أو الصالة، أو المطبخ، والحمام الذي يُنظف كل فترةٍ ليُلقى ما نُظِف إلى المناطق البعيدة عن المساكن في حفراتٍ بنيناها نحن بالأنفاق.

لك أن تتخيل أننا نحفر بالحفرات، وبطبيعة حالنا تفهم ألا طوابق هنا للمساكن، وإن وجدت؛ تتكون من طابقين لا يتعدى ارتفاع الطابق الواحد مترين ونصف، ولا تتواجد هذه الطوابق إلا في بعض الأماكن التي تخص الأغنياء، وإنها ليست بالقرب

من هنا، أما هنا إنها كما وصفتها «خنادق»؛ هذا الاسم الذي أطلقه عليها، لا مساكن، ورغم هذا إلا أننا نعيش في أماكن مليئة جدرانها بالزخارف، والألوان، والأشكال الجذابة.

إننا نتنفس هنا من منافذ التهوية، لقد ابتكر أسلافنا هنا طريقةً لنستنشق بها الأكسجين المتواجد بالأعلى، إنها أنابيب واسعة يصل طرفها الأول لبعض المناطق المختبئة بالأعلى من خلال أجهزة الشفط حتى يشق الأكسجين طريقه عبر الأنابيب إلى أجهزة الدفع المثبتة بجدراننا هنا، فيندفع لنا الأكسجين بكمياتٍ كبيرة؛ لأن يوجد منها واحدة كل خمسين مترًا على مستوى العالم السفلي بأكلمه، إنها أجهزة ضخمة وتضخ لنا الأكسجين بكمياتٍ وفيرة حيث تحتاج زراعتنا إلى كمية الهواء هذه.

لقد حاولنا بقدر الإمكان أن نجاري التطور الذي يحدث بالأعلى للسبب الأول والرئيس، وهو كيف سنعيش هنا هاربين منهم بعد الحرب التي قتلت منا الملايين؟

وبسبب هذا علينا أن نشق طريقنا للأعلى لنتيح هنا حياة أفضل، فكان يحدث هذا بفضل الشخص الذي يصعد للأعلى فيأتي بالجديد والحديث وبعض المعلومات، والمناطق التي يمكن أن نفعل فيها ما نريد مثل زرع أجهزة شفط الأكسجين من الأعلى، أو توصيل التيارات الكهربائية؛ لتدير لنا هنا كل

شيءٍ مثل الإضاءة، وشاشات العرض المسلية، وتشغيل بعض الأجهزة اللازمة للحياة بشكلٍ عام، حتى إشارة القمر الصناعي توصلنا لطريقةٍ لها لكي تصل لنا هنا، وأيضًا الإشارت الخاصة بالإنترنت.

لا ننكر أن كل هذا بفضل التكنولوجيا التي توصل إليها العالم حتى بلغت ذروتها عام ٢٠٨٨، ومنذ ذلك العام الأسود وبدأت تتضح المعالم الأخرى مثل ظاهرة انتشار الروبوتات بكثرة بسبب رغبة البشر حينئذٍ في تحقيق أشياء كثيرة وعظيمة في وقتٍ أقل ومجهود أقل، أو بدون مجهود أساسًا.

بالطبع شهد البشر حين كانوا يعيشون بالأعلى هذا التطور وهذه التكنولوجيا الحديثة، وهذا ما جعلنا نحن نفهم ما يدور بالأعلى، ونبتكر طرقًا لتسهيل حياتنا هنا.

كل هذا بفضل الشخص الذي يغامر بالأعلى، نسميه هنا بلقب «الصاعد»، هذا الصاعد موجود منذ أكثر من مائة عام؛ حيث كان كل جيلٍ يختار واحدًا منهم لكي يقوم بهذه المهات.

كان هناك شروط للصاعد، لا بد أن يكون تخطى العام العشرين من عمره، وألا يتعدى سن الخامسة والثلاثين، هذا طبعًا لكي يستطيع أن يتحمل الركض والهروب والاختباء، حيث كل هذا يتطلب السرعة والخِفة.

هذا يعني أن كل خمسة عشر عامًا كان الصاعد

يتغير، وهذا يعني أيضًا أن على مدار مائة وعشرة عامٍ بأنني ومنذ خمسة أعوام الصاعد رقم ٨، وهذا لقبي «الصاعد الثامن».

وكان دخولي لهذا المكان الذي كنت به صباح اليوم أولى المرات، حيث أنني دخلت أماكن كثيرة في كل مرة أصعد للأعلى لطالما حبذت أرى ما بداخل هذا المكان؛ لأنه كان مبنى مختلفًا عن باقي الأبنية، في بنائه ومنظره العام الخارجي، وحراسه الكثيرة، كنت دومًا أشعر بأن هناك شيئًا ما بداخله يثير الريبة.

***

أما عن التعليم، من الطبيعي أن يكون هنا تعليم، بل تعليم متقدم، هناك بعض الأزقة المخصصة لمناطق التعليم هنا، ولكل مرحلة تعليم لها أماكنها الخاصة، الكل هنا معه جهاز حاسوب محمول.

وبما أن متاح كل هذا فمن الطبيعي أيضًا تتواجد الحِرف والمحلات والتجارة والأكل، كانت المخبوزات هي من أكثر الأشياء التي تخص الأكل توافرًا؛ وهذا بسبب سهولة تجهيزها.

وبالنسبة للزراعة، بالتأكيد ساعد الهواء المنطلق من المنافذ في هذا المجال، لكن يبقى هناك شيء واحد لا نستطيع أن نوفره هنا بالأسفل، وهذا الشيء هو الشمس، لا شمس هنا، ولا سماء، إننا نستخلص الفائدة الموجودة في الشمس واللازمة لنا ولزراعتنا مثل فيتامين د من الأدوية والعلاجات،

حيث نتعاطى نحن البشر ما يلزمنا، ونمد زراعتنا بالفيتامينات والكيماويات، مما يساعد على نمو النباتات.

ولا نغفل أيضًا عن دور الأشعة فوق البنفسجية التي نسرقها من الأعلى؛ لتكون هي البديلة للشمس لكنها بالتأكيد لا تغني عنها. وهذا هو الفارق بين ما هو طبيعي خلقه الله وما هو مصطنع صنعه الإنسان.

أعلم أن كل شيءٍ هنا متاح وإن لم يكن متاحًا فوجدنا طريقةً لابتكار شيءٍ يعوضه، ولكن لا شيء يعوض الشمس، لا شيء يعوض السماء، والبحار، والمباني شاسعة الارتفاع، الحياة بالأعلى عمومًا لا مقارنة بين الحياة السفلية والحياة بالأعلى، حتى وإن كان هناك ما يعوض حرارة الشمس، وهي بالطبع أجهزة السخونة التي تضخ لنا الدفء في أيام الشتاء، والتبريد في أيام الصيف.

فهناك مَن لا يحتمل أدوية الفيتامين، وهناك المرضى ومَن لديهم الكُساح بسبب غياب الشمس، كما أن الفائدة الأخرى للشمس وهي تطهير الأشياء، لا وجود لها هنا، وبسبب هذا على مدار أكثر من مائة عامٍ بدأت الأمراض تنتشر في وسطنا من أنواعٍ مختلفة؛ بسبب «أريد أن أقول بسبب العفونة التي نعيش فيها هنا».

كما أن زراعتنا بالكاد تنضج، وإن نضجت فليست

هي التي من المفروض أن تكون، هذا طبقًا غير الفائدة الأخرى التي تنبع من الشمس .. النور.

***

أخيرًا وليس بآخر أودُّ أن أقول أن الحياة هنا أشبه بالجحيم؛ إنه عالم الظلام، إن انطفأت الأنوار تصبح العتمة هي حياتنا، وإلى اللقاء مع جلسة أخرى من مذكراتي.

أطفأت جهاز الحاسوب المحمول الخاص بي، وانتهيت من كتابة هذه الحلقة من مذكراتي، ودسسته في وسط أغراضي، ثم مددت جسدي وأنا ماكثٌ هنا على سريري أفكر فيما رأيته بالنهار الماضي قبلما يغلبني النعاس، أريد أن أثبت أن هناك بالفعل بشريين بالأعلى، بل أريد ذلك أريد أن يكون هناك بشر، إنهم أجدادنا.

لكن ما لا أريده هو الهدف الذي نفعل ذلك لأجله، الهدف الذي يصعد كل خمسة عشر عامًا صاعدًا لأجله، إننا نفعل ذلك فقط لكي نكون جاهزين مستعدين لهم، لكنني أريد أن أنهي هذا الهدف، خصيصًا أن الروبوتات التي تعيش بالعالم العلوي لا يعلمون بنا، لا يعرفون أن هناك بشرًا لا يزالوا يعيشون هنا بالأسفل.

عوالم أخرى

استيقظت في حوالي الساعة التاسعة صباحًا، الطبيعي أن أي شخص لا يشعر بالجوع في اللحظة التي يستيقظ فيها، ولكن أنا لا أريد شيئًا الآن سوى الأكل.

نهضت وأخرجت ملابس اليوم وذهبت للحمام لأغتسل، وأبدأ يومًا جديدًا ليس فيه جديد، ثم خرجت من مسكني .. أم خندقي.

ذهبت إلى منطقة السوق، بالضبط المنطقة التي يباع فيها أي شيء يخص الأكل، قصدت محل الحلويات والبسكويت وقلت للبائع:

- أريد اثنين من هذا البسكويت.

نظر إلَيّ البائع دون أن ينبس ببنت شفة، فقط ينظر إلَيّ كأنه ينتظر شيئًا، استغربت في البداية ثم علمت بعد دقيقة ما الذي يريده، دسست يدي في جيبي لأخرج كارت المصروفات الخاص بالأكل، لاقت أصابعي في جيبي الكارت فأمسكته وأخرجته وأعطيته للبائع؛ ليضعه أمام جهاز استقبال التكلفة فيأخذ ثمن البسكويت الذي تم تعريف الجهاز على سعره مسبقًا، فيخصم الجهاز ثمن التكلفة كما هو موضح بالجهاز، إن الشاشة التي أمامي توضح كل شيء بالتفصيل حتى بعد الخصم، كم دفعته؟ وكم الباقي لديّ في الكارت؟

أخذ البائع مني الكارت ونظر إليه ثم أعاد النظر إلَيّ وهو مشمئزٌ، لا أعرف ما إذا دُست على إصبع قدمه الصغير أم ماذا؟ حتى أعرف سبب هذه النظرات لي، أريد أن أقول له أنا الصاعد أيها المغفل، إنني السبب في أنك تقف الآن وتبيع لي البسكويت وأنت مطمئن بألا يأتي روبوت هنا ويدوس عليك كلك لا فقط إصبع قدمك الصغير.

ثم مد يده ناحيتي ليعطيني إياه، فنظرت إلى الكارت وهو لا زال ممسكًا به لم آخذه بعد؛ فعملت ما السبب في كلِ هذا التوتر، اتضح أن أحدًا ما داس على عيني أنا ولم أرَ بأن الكارت الذي أخذته معي خاص بالملابس لا بالأكل! يا لي من أحمق، ويا له من نظامٍ غريبٍ في معاملاته التجارية!

وهنا تذكرت ما قرأته في ذلك المكان المفضل لديّ، وأريد أن أعود للمنزل الآن أكتبه في مذكراتي بأنني علمت من قراءاتي بأن القدماء كانوا يتعاملون في تجارتهم بشيءٍ اسمه النقود، هذه النقود تُرى وتُحس، إنها شيءٌ مادي تمسكه بيدك، وإنها صالحة لكل شيءٍ تريد أن تشتريه، ليس هناك كارت خاص بالأكل، وكارت آخر خاص بالملابس، وكارت ثالث خاص حين تريد أن تشتري أجهزةً كهربائية، وكارت لمستلزماتك الشخصية، وكل ما عليك هو أن تركز وأنت خارج من المنزل أي كارت تريده، فتختلط عليك الأمور وتأخذ كارت آخر ليس الكارت الذي تريده، أو تأخذ ذات الكارت لكنه من سوء حظك

فارغ من المصروفات، يا لها من كروت مصروفات كثيرة! لو كان كارت واحد فقط لكل شيءٍ لكان أسهل بكثير.

أخذت الكارت وأنا مطأطئ الرأس، ومعدتي تتعارك بداخلي مع نفسها، أهذا من مجهود تفكير ما قبل النوم؟ فأصبح جوعان لهذه الدرجة؟ رغم أني لست سمينًا؛ إنني طويل القامة، ومعتدل البنيان ولا أحد هنا على الإطلاق يستطيع أن يجاريني في الركض، يا لها من سباقاتٍ كنا نفعلها ونحنُ صغار! ألهذا تم اختياري لأكونِ الصاعد؟ من الممكن أن هذا هو السبب، لكنه ليس سببًا على الإطلاق لأكون مستقبل العالم السفلي كما يقول خالي.

لن أعود إلى منزلي، سأمر على صديقاي «وحيد» و«ماجد» في أماكن عملهما.

وصلت عند «وحيد» في مرسمه، ولم يستقبلني الاستقبال الحار، بل لم يستقبلني من الأساس، كان مبرره أننا كنا بالأمس معًا؛ إنه مبرر مقنع بالنسبة لي.

شرعت أشاهد رسوماته وأعماله الجميلة البديعة كأني أول مرة أراها، ولكن في الحقيقة إنني أفعل ذات الفعل في كل مرة أرى أعماله، لا غباء مني ولكن دعمًا له.

ثم قال لي:

- صباح الخير، ألم يعلمك خالك الصباح على أحدهم؟

التفت إليه وقلت له:

- صباح النور، وهل علموك أنت أنك لا تستقبل أحدهم عندما يأتي في منزلك؟

ففتح فاه ليجيبني، وقبل أن يبدأ في التحدث، قاطعته مشيرًا بإصبعي:

- ولا تقل إننا كنا بالأمس معًا، أي نعم مبرر مقنع لكنه غير صحيح.

صمت ثوانٍ قليلة ثم قال:

- أراك تقول إننا نقتنع في حياتنا بأشياءٍ خاطئة.

فأجبته:

- نعم، لأنها فقط مريحة لنا.

ثم ساد صمتٌ لثوانٍ، وسألته:

- أين كارت مصروفات الأكل الخاص بك؟

فأخرجه من جيبه وأعطاه لي، فنظرت للكارت بتمعن؛ لأتأكد إنه يخص الأكل بالفعل ولم تختلط عليه الأمور مثلما أنا فعلت، وبعد أن قرأته عقدت حاجبي ونظرت له قائلًا:

- إنه فارغ، لماذا تعطيه لي؟

أجابني بدون أن ينظر لي:

- لو قلت لك دون أن تراه، ما كنت ستصدقني.

فعلت تلك الحركة بشفتي التي تدل على الاشمئزاز وقلت له:

- هذا لأنك أحمق .

***

تركته وأكملت طريقي قاصدًا صديقي «ماجد» في ورشة الحدادة الخاصة به.

وأثناء ذهابي إليه، قابلت في طريقي ما يؤلمني حقًا، ما يجعلني أشعر بالقُشعريرة من الحياة البائسة هنا رغم كل هذا التقدم الذي نحاكيه بعالمٍ دون شمس.

رأيت الوجوه المنكمشة، بعض البشر من أصابهم المرض والأوبئة والكُساح بسبب انعدام الشمس، رأيت أيضًا الأطفال التي لا تدري بشيءٍ مما يدور حولهم، وإنني أحسدهم على هذه النعمة التي ينعمون بها، دائمًا نقول لأنفسنا يا ليتنا لم نكبر، ليتنا بقينا أطفالًا نلعب حيث لا يوجد شيء نعول همه.

نظرت للمتشردين الذين ليس لهم مأوى، ولا يملكون كروت المصروفات، إنني أرى بمعنى أدق وأشمل الفقراء، الفقراء الذين ليس لهم في شيءٍ مما يحدث من حولهم، لكن جرفتهم التيارات حينما وكيفما وأينما أرادت.

وصلت عند ورشة الحدادة حيث يعمل صديقي «ماجد»، واستقبلني استقبالًا حارًا جدًا كأنه لم يرني

بالأمس.

لا أعرف لماذا لا يكون هناك التوسط في الأشياء؛ «إن خير الأمور الوسط»، «وحيد» لم يفعل شيئًا على الإطلاق، بينما «ماجد» لم يترك شيئًا لم يفعله.

وكعادتي شرعت أمدح في أعمال «ماجد» وأشكاله الهندسية التي يصممها على المعادن من خلال أجهزة الكمبيوتر الآلية، التي ترسم تلك الأشكال على الحديد والصلب حين يعطيها الأمر بذلك.

ثم سألته ذات السؤال وكأنني خرجت من مسكني كالمتسول:

- أين كارت مصروفات الأكل خاصتك؟

نظر إليّ نظرة ساخطة قائلًا:

- أليس معك واحد؟

أجبته:

- لقد نسيته في مسكني وخرجت.

فقال لي:

- إذن كارتي فارغ من المصروفات.

اغتظت وتحدثت بصوتٍ حادٍ:

- تبًا لكارت المصروفات هذا! ألم آكل هذا الصباح؟

ثم تحدث بصوتٍ هادىء، قائلًا:

- افتح الثلاجة، هناك ما يحلو لك لتأكله.

نظرت له ساخطًا؛ ففهم ما يدور برأسي وعلى وشك أن أقوله، فتحدث:

- أنت لم تقل لي من البداية أنك تريد أن تأكل.

تنفست الصعداء، ثم ذهبت إلى الثلاجة وفتحتها ولم أجد سوى طبق عليه طبقة صغيرة من الجبنة، وهناك على المنضدة بجوار الثلاجة نصف رغيف من الخبز، نظرت للطبق ثم أحدت النظر إليه، فبادر بالحديث:

- لقد قلت ما يحلو لك لا للجميع.

تنفست الصعداء مرة أخرى وتساءلت بصوتٍ يُسمع:

- لماذا أصبح الجميع يتمع بحس الفكاهة؟!

كان رده جاهزًا حاضرًا:

- إنه إرثٌ من عائلتك، أليس خالك هكذا؟ وأنت أيضًا حين تكف عن كتابة مذكراتك وقراءتك للزمن القديم، وهو مثلك حين يكون بعيدًا عن مكتبته.

بعدما تناولت إفطاري عند «ماجد»، خرجت مستأنفًا طريقي عائدًا إلى مسكني قاصدًا خالي.

وصلت وطرقت باب غرفته، ففتحته بعدما أخذت السماح، ووجدته منغمسًا في القراءة، مرتديًا نظارته ذات العدستين الكبيرتين المستطيلتين، لطالما بدا

لي كعالِم في مثل ذلك الشكل؛ لقد كان مُصبًا كل تركيزه فيما أمامه يقرأ بنهم، إلا أنه كان ينظر لي من حينٍ لآخر من أعلى نظارته، فلاحظ أنني على غير سجيتي، لقد عَلِم أن هناك شيئًا بداخلي أريد أن أبوح به ولا أعرف كيف؟!

فسألني:

- أرى وجهك عابسًا اليوم. ما بك؟

بالطبع عابس بسبب الأمور التي تتعلق بكارت المصروفات، لكن ليس هو السبب وراء ما يلوح بداخلي، فأجبته:

- لا شيء.

فنظر لي تلك النظرة التي تعبر عن شكه في كلامي، فعاود يسألني:

- ما بك يا «آدم»؟

فأجبته على الفور:

- لديّ سؤال يلوح بداخلي منذ فتراتٍ طويلة.

رد خالي «فهمي»:

- ما هو؟

أجبته:

- هل هناك غيرنا؟

عقد حاجبيه كأنه لم يفهمني، رغم أنني متيقنٌ من

فهمه لسؤالي لكنه يريد أن يتأكد أولًا ليعرف بماذا يجيب، فسألني:

- ماذا تقصد بغيرنا؟

فأعدت سؤالي بصيغةٍ أخرى:

- هل هناك عوالم أخرى؟

رفع خالي أخيرًا نظره لي مثبتًا إياه دون أن يعود لما يشغله، كانت نظرة لا أفهمها، لا أعرف إن كانت فارغة لا توحي بشيءٍ؟، أم إنها نظرة وراءها خبايا؟ أم أنها نظرة مشتتة لا تعرف حقًا إجابة سؤالي، فرد علَيّ متحايلًا:

- لماذا تفكر كثيرًا يا «آدم»؟

أجبته:

- لأنك قلتَ لي ذات يوم القراءة ثقافة، وأنا أقرأ كثيرًا.

فنهض من مكانه وترك ما كان يشغله، ليصبَّ اهتمامه علَيّ لكنه كان هائمًا لا يعرف بماذا يجيب، ثم طأطأ بنظره إلى الأسفل وقال لي:

- تعال ورائي.

أعلم حقًا أين سيذهب؛ وصلنا إلى وجهتنا إلى المكان المقصود حيث يعمل خالي، لقد وصلنا إلى مكتبته، إنه يبيع الكتب لمن يريد أن يقرأ في زمنٍ لا أحد يقرأ، تلك المكتبة المليئة بالكتب الورقية

القديمة التي تعود للأزمنة القديمة، كتب تعود إلى عالم به شمس، مكتبة كبيرة تحوي الكثير والكثير من الكتب اقتنتها عائلتي منذ نهايتهم وبدايتنا. إنها كتب فُقدت عبر الزمن، كتب ظلت متماسكة بكيانها بعد كل هذه السنين، كتب لا زالت تمتلك رائحة الورق المتميزة، إنها موجودة الآن في عصرٍ جديدٍ حيث لا ورق فيه، حيث لا مكان للكتب من الأساس، عصر مليء بالحواسيب والإلكترونيات والبرمجة، حتى في كتابة مذكراتي أكتب. مستخدمًا جهاز الحاسوب خاصتي.

لقد تآكلت الكتب الورقية مع ظهور العصر الرقمي، وهذه الكتب التي استطاعت أن تعبر وتجادف عبر الأعوام المتتالية، إنها كتب أنقذت نفسها من الانقراض!

هذه هو مكاني المفضل، الذي لطالما كان مكانًا محببًا لقلبي حين أرغب في معرفة الكثير عن الأزمنة القديمة، حيث ألجأ إلى هنا، إلى هذه المكتبة المغرم بها حيث أشم فيها تلك الرائحة المتميزة للكتب التي تترك راحة نفسية بداخلي. ألج بداخل المكتبة هائمًا، أغوص وسط الكتب وأقرأ عناوينها بشغف وأغرق في سطورها فلا أجد منفذًا سوى رغبتي في الاستمرار في الغرق.

لقد كانت ولا زالت كل معلوماتي وثقافتي من هذه الكتب التي يحتفظ بها خالي مستلمًا عهدة هذه المكتبة من أبيه، ومن أبيه من جده، وجده من أبيه،

وجده من جده إنها مكتبة عريقة حقًا. لقد كانت مصدر رزقه، وبطبيعة الحال كان يدخر القليل من المال، بالكاد يكفي نفسه.

أما أنا فأعول نفسي من عملي الذي يناسب ذلك العصر الجديد، إنني عالمٌ بالبرمجة والحاسبات والمعلومات والهاكر وكل ما يدور حول الإلكترونيات، وبطبيعة هذا العمل في هذا العالم الرقمي إنني أدخر الكثير من المال.

ولكن رغم هذا إلا أن الأغنياء هنا في العصر الجديد إذا نسوا كروت مصروفاتهم الغنية فلا قيمة لغناهم، مثلما فعلت في صباح اليوم.

ثم التفت نحوي وأشار بكلتا يديه باسطًا إياهما في الفراغ وهو واقفٌ وسط مكتبته قائلًا لي:

- هل رأيتَ كل هذه الكتب يا «آدم»؟

أجبته:

- نعم، وأنت تعلم أنني قرأت الكثير منهم، كما تعلم إن هذا المكان هو الأقرب إلى قلبي، هذه المكتبة هي المكان الذي أترك فيه كل ما يؤرقني بين صفحات الكتب.

ثم اتجه بخطواتٍ مهرولةٍ إلى ركنٍ من أركان المكتبة، ووقف عند رفٍ من رفوف الكتب، وأمسك بكفي يديه البعض من الكتب على الرف دون أن يحركهم من مكانهم، وقال لي:

- إنه إرثٌ، إرث أجدادنا وأسلافنا القدماء، إنه العلم الذي ترك الكثير لنا، إنه أيضًا سبيل لخلاصنا في المستقبل.

إنني أوافق على نصف ما قاله، أما الباقي فأعترض عليه، لقد قلت له:

- أوافق أنه إرثٌ وأنه علمٌ، ولكن كيف يكون سبيلًا لخلاصنا؟ أين هذا الخلاص؟

جحظت عيناه مندهشًا من كلامي، فرد متسائلًا:

- أتقول أين الخلاص؟! إذًا فلماذا كان الصاعد منذ أكثر من مائة عامٍ؟ ألم نبتكر الصاعد للمحاكاة والتعايش؟ ألم نفعل ذلك الشيء العظيم لنستعد إذا جاء خطر علينا فنستطيع أن نواجهه؟

عقدت حاجباي معترضًا على كلامه، قائلًا:

- أتسمي مكوثنا هنا دون أن نحرك ساكنًا بأننا نفعل شيئًا عظيمًا؟

رد متعجبًا:

- وماذا تريد أن نفعل؟

لم أجبه؛ لأنني لا أعرف حقًا ما علينا أن نفعله، ونعم، ما نفعله شيء مهم لكنه ليس عظيمًا، لن يغير أحوالنا أبدًا، سيبقينا بالأسفل، ثم جعلت الحوار يأخذ منعطفًا آخر، فقلت له:

- لم تجب على سؤالي بعد؟

سأل خالي:

- أي سؤالٍ؟

فأجبته:

- هل هناك عوالم أخرى غيرنا؟

ثم وقف في مكانه الأول وسط المكتبة وفعل ذات الحركة بيديه، وقال:

- إن هذه الكتب وعلمي بالتاريخ جعلاني أفقه في أحداث الزمن القديم، لا هذا العصر، العصر الجديد. إننا هنا بالأسفل ما أعرفه هو ما تعرفه أنتَ ويعرفه أي شخص يعيش هنا، نعرف الأربعة مدن المدفونة، إنهم ما تبقى من دولتنا القديمة.

سألته غاضبًا:

- لقد قلتَ بنفسك ما تبقى من دولتنا القديمة، لم تقل عالمنا القديم!

رد بارد الأعصاب:

- لطالما لم نعرف غير الأربع مدنٍ؛ فالبنسبة لنا إنه هذا هو عالمنا.

إنه كلامٌ غير مقنع بالنسبة لي، لكنني صمتُ لحظاتٍ أفكر، ثم قلت له:

- إذن نصف المليون شخص يخص دولة واحدة فقط وهي دولتنا، وفي هذه الحالة أستنتج أن ما حدث لدولتنا قد يحدث لدولة أخرى.

فمد شفتيه للأمام، تلك الحركة التي تعبر عن الجهل حتى وإن كان جهلًا مقصودًا وقال لي:

- لا أتيقن ما إذا كان هناك آخرون مثلنا أم لا، ولكن من الممكن أيضًا أن نكون نحن فقط في هذا العالم الذين استطاعوا النجاة فلا يوجد غيرنا.

ثم سكت لحظاتٍ وأردف:

- وإن وُجِد، فماذا نفعل؟ هذا لن يغير الواقع؟

اغتظت بداخلي ولوحت بيدي كأنني لا أهتم بما يقوله، ونظرت بعيدًا عنه، ثم ساد صمتٌ رهيبٌ بعد هذا الجدال العنيف. وبعد ذلك قرر هو أن يكسر هذا الصمت بسؤاله الذي لم أكن أريد أبدًا أن يوجهه لي، فسأل:

- ما الشيء العظيم الذي لم نفعله لأجيالٍ مضت وتريد أن تفعله أنت؟

أحدث نظري عنه والتفتُّ بعيدًا ولم أجبه، فأعاد السؤال بصيغةٍ أخرى قائلًا:

- ما الذي تريده من الصاعد أن يفعله؟

شردت للحظاتٍ أفكر فيما يلوج بداخلي، ثم قررت أن أكسر صمتي بقولي:

- أريد أن أتيقن من شيءٍ أولًا، ثم أجيب على سؤالك.

فسألني:

- ما هذا الشيء؟

أجبته:

- سأصعد إلى الأعلى؛ لكي أتيقن من وجود بشرٍ غيرنا.

@ART_OF_BOOK

تغيير المسار

تملّكه الذهول عندما سمع قراري، وقال لي محتارًا:

- لكن ميعادك التالي لم يأتِ! لقد صعدتَ بالأمس.

قلت له:

- تستطيع أن تقول بأنها حالة طوارئ.

تملّكته الحيرة أكثر وتمتم:

- ولكن ...

قاطعته:

- هل تثق بي؟

أجابني وهو موجهً نظره إلى عينيّ قائلًا:

- أنت تعرف أنك مثل ابني الذي لم أنجبه، نعم! أثق بكَ.

ثم تركته وخرجت إلى حيث كنت، الشوارع والطرقات، أخرجت شريحة اتصالي الزجاجية التي تبلغ طولها عشرين من السنتيمترات، وعرضها سبعة سنتيمتر، أما سمكها فهي رقيقة جدًا لا أستطيع أن أقنن كم من المليمترات يبلغ هذا السمك؛ هذا إن وجد.

جعلت الشريحة تتعرف على صوتي حين نطقت باسم الشخص الذي أريده، فقلت «ماجد»، ولا تمضي أقل من ثانية فأظهرت الشريحة البيانات

التي تخص «ماجد» من رقمه، وصورته، وعمره، وموقعه، وكيفية الوصول إليه؛ إنها البيانات التي أنا سجلتها مسبقًا في شريحتي، البيانات التي تكون متاحةً لي للتسجيل حين أسجل أي اسمٍ أريده في هذه الشريحة، هذا كان نظام شرائح الاتصال المستخدمة في عصرنا.

لم تمضِ ثوانٍ فظهر أمامي على شاشة الشريحة «ماجد» نفسه، فحولت إلى نظام المكالمات الصوتية لا الفيديو، فتحدثت له وأخبرته بأن يستعد، فسألني:

- أستعد إلى ماذا؟

فأجبته:

- إنه دورك للصعود.

تفاجأ ولم يصدق، فأوضحت له أنها حالة طوارئ ولا بد من الصعود للأعلى في أقرب وقتٍ وهو صباح اليوم التالي؛ حيث الآن وقت الظهر والنهار بدأ يمضي ولا أعرف ما إذا كنا سنتأخر بالأعلى أم لا، فاخترت أن أؤجل المهمة لصباح الغد، وأخبرته أيضًا بأن يأتيني بالقرب من بداية النفق بعد حدود المدينة في الميعاد المحدد.

***

كان قد حان انتهاء عصر اليوم، فعدت للمسكن أجهز حالي حتى أتى المساء فلم أكتب اليوم في

مذكراتي؛ سأستخدم جهازي الحاسوب في أشياءٍ أخرى سأحتاجها غدًا، ولذلك يجب أن أجهز بعض البرامج التي من المحتمل أن أستخدمها في مهمتي حتى غلبني النعاس.

استيقظت في الصباح الباكر، وأخذت حقيبتي التي بها جهاز الحاسوب وبعض كروت المصروفات مثل: كارت الأكل، وكارت المسلتزمات الشخصية، وخرجت دون أن أعود إلى خالي لكي أخبره بأنني ذاهب.

كانت الساعة الثامنة صباحًا، خرجت وقصدت صديقي «وحيد» في مرسمه؛ لكي أستعير منه المركبة، فلم أجده وعلمت من جاره أنه ذهب لواحد من زبائنه ليعطيه البورتريه الذي انتهى من رسمه تؤا، وبطبيعة الحال سيذهب بمركبته، تعجبت ما هذا الأوردر الذي يذهب به لصاحبه في الساعة الثامنة والنصف صباحًا!

فأكملت طريقي إلى وجهتي المقصودة عند بداية النفق، وانتظرت خمسة عشر دقيقة عندئذ كانت الساعة التاسعة والنصف صباحًا، ثم لمحت صديقي «ماجد» آتيًا نحوي متعجبًا وينظر حوله كأنه يبحث عن شيءٍ فسألته:

- ما الذي تبحث عنه في هذا الفراغ، إننا على حدود المدينة.

فسألني ولا زال التعجب يملأ ملامح وجهه:

- كيف سنذهب؟ أين المركبة التي نذهب بها كل مرة؟

فأجبته:

- أنتما يا مساعدي الصاعد، لا تريدان أن تبذلا مجهودًا.

فقال لي ضاحكًا:

- إن أحد مساعديك تعس الحظ حين يأتي دوره للصعود يذهب مشيًا على الأقدام.

شرحت له ما في الأمر، ثم أكملنا طريقنا ودلفنا إلى النفق الطويل الصاعد ببطءٍ للأعلى حتى وصلنا إلى السُلم المكون من عشر درجات، فصعدنا ثم أخذنا الطريق الصاعد ببطءٍ للأعلى بنفس نظام النفق السابق، ومنه إلى ذلك الغطاء «اللوح» الذي يغطي الفجوة.

وقبل أن نزيح الغطاء أخرجت جهازي من حقيبتي؛ لكي أفعل شيئًا ما، كان قد سألني عليه «ماجد» ولم أجبه، وبعد أن أنهيت ما أفعله دسست الجهاز في حقيبتي، ثم ارتديتها خلف ظهري.

أزحنا الغطاء المربع بعنايةٍ وببطءٍ؛ لكي نتيقن بعدم وجود أحدٍ من المارة، بالطبع لن يكون هناك أحدٌ، هذا بسبب إن موقع الفجوة كان على حدود مدينتهم، كان هذا الموقع اختيار أول مَن سكن بالأسفل من عائلتي؛ لذلك كانت الفجوة بعيدة جدًا

عن وسط المدينة.

صعدنا وأصبحنا بالأعلى وغطينا خلفنا المربع الفارغ «الفجوة» بالغطاء، وكالعادة سينظر مساعد الصاعد عند الفجوة، وسيشق الصاعد طريقه إلى داخل المدينة.

مكث «ماجد» هنا عن الفجوة، وقلت له:

- أنت لستَ بحاجةٍ إلى أن أخبرك أن تأخذ حذرك إذا أتى أحدهم، هم مثلنا لن يتعرفوا عليك إلا إذا صدر منك شيئًا يوحي بأنك بشري، لا تعطس، لا تكح، لا تفعل شيئًا يوحي بأنك تشعر.

كان الشعور هو الفارق الوحيد بيننا وبينهم، إنه شيءٌ معنوي لا يُرى ويُلمس.

أما أنا شققت طريقي إلى داخل المدينة، أفعل ما نصحت به صديقي للتو، محاولًا ألا أخطئ.

دخلت إلى وسط المدينة، وبدأت أتصرف على غير سجيتي وهي تصنعي بأنني مثلهم روبوت، لديهم تلك الوقفة المنتصبة أثناء السير، وحركاتهم غير السريعة كأنهم يفعلون الأشياء بثقةٍ تامة دون توتر، وعدم شعورهم بأي شيءٍ يُحزن أو يُفرح يحدث حولهم، فقط واثقون في أنفسهم.

وأثناء طريقي وسط الناس «الروبوتات» نظرت خلفي لسماعي ضجةَ تحدث، فوجدت واحدًا منهم يركض نحوي، ثم ثوانٍ قليلة وجدتُ الآخر خلفه

يركض نحوي أيضًا!!

انقبض قلبي، ووبدأت ملامح وجهي في التقلص محاولًا ألا أظهر هذا الشعور بالقلق والتوتر.

أشياء كثيرة في رأسي الآن؛ إنهم أبصروني، وطالما ذلك فإنهم علموا بنا! وبما أنهم علموا بنا فهذا يعني نهاية الأرض السفلية، نهاية أرض الظلام!

ولكن كيف علموا بأمرنا؟ هل أخفقت آخر مرة ورأوني حينما اصطدمت بذلك الشيء فأصدر الصوت؟ هل كنت أحسب أنني تملصت منهم ولم يروني، ولكن في الحقيقة إنهم علموا بي وانتظروني لآتي المرة القادمة؟

كل هذا دار برأسي في ثوانٍ قليلة لم أعرف حينها ماذا أفعل؟ فتقلصت ملامح وجهي وارتفع مستوى الأدرينالين، وجحظت عيناي وشرعت أركض؛ لكي لا يلحقوا بي، ثم أخذت أول منعطفٍ على اليمين ثم منعطفٍ آخر على نفس الاتجاه تاركًا الطريق الذي أخذته للتو؛ حتى يحسبوا أنني أخذت الطريق المستقيم.

لصقت جسدي بالحائط خلفي وتشبثت به بكلتا يديّ، ومنعت نفسي يدخل صدري، وتركت أمري بين احتمالين: أحدهما أنهم يأخذون ذلك الطريق الذي تركته، أو أنهم يجدونني فيقتلوني. ثم ...

ثم لا شيء، توقعت أنهم يأخذون ذلك الطريق الذي تركته أو يجدونني فيقتلوني، لكن لا شيء

حدث! لا أحد خلفي، اختسلت النظر نحو الاتجاه اليساري للخلف لأوجه نظري نحو المنعطف الأول الذي أخذته فلا أجد شيئًا، فتقدمت بضع خطواتٍ عائدًا لذات الطريق، ثم وصلت عند المنعطف الأول واختلست النظر أيضًا نحو الاتجاه اليساري للخلف حيث الطريق الذي كنت أسير فيه في البداية، حيث كانا خلفي فسمعت ضجةً كبيرة، ورأيت شيئًا آخر لم أتوقعه.

رأيت مجموعةً من الروبوتات؛ «أريد أن أقول عليهم بشرًا، إنهم يشبهوننا في كل شيءٍ، ونتيجة ذلك فتختلط علَيَّ الأمور حين أقول عليهم روبوتات»، أريد أن أقول عليهم ناس .. إنهم نحن.

كانت تلك المجموعة تلتف حول شيءٍ ما يشاهدونه، هنا أدركت أنهما لم يكونا يركضان خلفي، أدركت أن أحدهما كان يركض خلف الآخر، وهذا ما تيقنت منه عندما تقدمت بضع خطواتٍ نحو تلك المجموعة فأجد الشخص «الروبوت» الأول الذي رأيته راكعًا على ركبيته ويقف خلفه الشخص الآخر «الروبوت الآخر»، شامخًا ممسكًا بكلتا يديه رأس ورقبة ذلك الأول، ثم سمعته تحدث بصوتٍ جهوري، الكل يسمعه:

- هذا عقاب من يتكاسل في عمله.

ثم قبض بكلتا يديه على رأس الراكع ورقبته، وبدأ يرفع تلك الرأس للأعلى حتى نزعها تمامًا عن باقي

الجسد، ونتيجةً لذلك رأيت بعض الشرر يخرج من ذلك الجزء المنزوع، وبعض الأسلاك الكثيرة المعقدة المتطورة، وبعد ثوانٍ أبصرت الرأس سقطت على الأرض نتيجةً إلقائها بعد نزعها، فوجدت العيون كأنها دائرة بها طاقة غير طبيعية تنطفئ! يبدو مثل صوت ذلك الماتور عندما تضعف بطاريته أو تنتهي صلاحية عمله فينطفئ الجهاز.

هنا تذكرت حين قال أحدهم للآخر في تلك الحجرة السرية: «سامر سيفكك أجزاءك»، أدركت الآن ماهية الأجزاء التي تتفكك.

بعد ثوانٍ أخرى رأيت أحدًا ممَن رأيتهم المرة السابقة، ذلك القصير أملس الوجه الذي يُدعى «وسام» يركض نحونا، نحو المجموعة نحو الحدث حتى وصل وسطهم، وأبصر الشخص منزوع الرأس، فنظر إلى الشخص القاتل وقال:

- هل فككتَ أجزاءه يا «سامر»؟ لماذا؟

فأجابه «سامر»:

- إنه من أتباع نوح.

علمت ذلك الشخص الذي يُدعى «سامر» ومن تحدثوا عنه المرة السابقة هو من يقف أمامي الآن؛ إنه مثل ما قالوه عنه «يفكك الأجزاء» قائدهم هذا منزوع الرحمة، ولكن كيف سيشعر بذلك؟! إنهم لا يشعرون.

كان «سامر» طويل الشعر مثلي، أملس، أكبر سنًا من «رامز» و«وسام» الذين رأيتهما المرة السابقة، يبدو عليه في نفس عمر «شهاب» الأصلع، وبنيته أقل من الأخير قليلًا، لكنه أكثر هيبةً منه؛ ولهذا هو قائدهم.

دخل نفَسي صدري مرة أخرى بعد أن كاد أن يقع قلبي عند قدمي، حمدت الله أن مستقبل سكان أرض الظلام لا زال في أمانٍ.

ولكن يتبقى سؤالٌ لا أعرف إجابته: من هو نوح؟ هل عدو لهم؟ وإن كان كذلك فلماذا الروبوتات يعادون بعضهم؟ ثم كيف نوح؟ ما أعلمه عن الروبوتات أنهم لا يدعون أنفسهم بمثل هذه الأسماء.

عامةً هذا لا يشكل فارقًا بالنسبة لنا، بل إنه لشعور جميل حين أعرف أنهم يقتلون بعضهم؛ هذا يجعل أعدادهم تقل، أعدادهم التي زادت على أرواح البشر حسب ما أستنتجه.

شرعت في استئناف طريقي ولم أغير مساري، لقد اتخذت نفس المسار؛ حتى أصل إلى ذلك المبنى الذي تحدث فيه تلك العمليات القذرة.

وأثناء طريقي بالطبع سأقابل الروبوتات وأنا آخذٌ حذري من الدور الذي أتقمصه؛ دور«الروبوت» لكي لا يتعرفون عليّ إن كنت بشريًا، أعلم من زمنٍ أن الروبوت متصلٌ بجهازٍ متطور في دماغه؛ ليتعرف على الجسم الذي يراه أمامه من خلال عينيه، لكن

يتطلب الأمر أن يثبت ذلك الجسم لكي تستطيع عيناه أن تصب النظر إليه؛ لكي يتعرف ذلك الجهاز المتصل بدماغه على ماهية ذاك الجسم. هذا يحدث إن فَعَلَ هذا الجسم الغريب أي فِعلٍ يبدو غريبًا ومُريبًا بالنسبة لهم، بمعنى آخر حين يرون شيئًا جديدًا ليس من المفترض أن يروه.

وصلت إلى الجهة المقصودة ودخلت المبنى، وسأبحث هنا وهناك لكي أجد المكان الذي يسجنون فيه البشر.

وإلى تلك الحجرة الزرقاء كانت وجهتي، اختلست النظر من نافذة الباب الرئيس؛ فرأيت تلك الأبواب السرية التي سبق ورأيتها، ولكن هذه المرة الحجرة خالية تمامًا من البشر! أقصد من الأشخاص الروبوتات؛ إنهم يشبهوننا لهذه الدرجة أكاد لا أصدق أنهم روبوتات وسأذكر ذلك كل مرة أتحدث عنهم.

وقفت في الطرقة الخارجية أراقب ما حولي، ربما يكون هناك مَن يراني وأنا أتربص ولا أعلم به، فأحاول أن أكون طبيعيًا وأتصرف على سجيتي .. أقصد سجيتي المصطنعة؛ أتصرف على سجية الروبوتات كأنني مارّ عند هذه الطرقة آخذًا طريقي للخارج أو الداخل لا يهم، المهم أن الأمر يتطلب مني ألا يُكشف أمري.

لا أعرف لماذا تذكرت «يارا» تلك الإنسانة .. أقصد تلك الروبوتاية الجميلة، أستغرب نفسي أحيانًا لا

أطيق فكرة الزواج، فلا أتذكر أحدًا من بنات أرضنا، وأتذكر الآن إنسانًا آليًا! الجمال عليه مصطنع يا لي من أبله!!

لا أعرف بالظبط أين أذهب؟ لا أعرف من أين أبدأ البحث؟ الأماكن هنا كبيرة وشاسعة جدًا وكلها شبه بعضها ويغلب عليها اللون السماوي والأبيض.

شرعت أمشي في الطرقات الرئيسة المؤدية إلى الحجرات، تلك الحجرات التي أريد الدخول إليها لكي أدلف داخل تلك الحجيرات الصغيرة التي كان بداخل واحدةٍ منها ذلك الشخص الميت الذي رأيته المرة السابقة، والأخرى خرجت منها مَن تُدعى «يارا».

الأبواب مقفلة وبطبيعة الحال لن أفتحها بسهولةٍ، كما أنها مشفرة ببصماتٍ سواء كانت بصمات اللمس، أو الوجه، أو الصوت سيتطلب الأمر مني بضع دقائق؛ فأنزلت حقيبتي من على كتفي لكي أخرج منها جهاز الحاسوب الخاص بي؛ لكي أخترق من خلاله نظام الدائرة المشغلة للأقفال وأفتحها دون قوةٍ؛ لأنهم واضعون أنظمة الإنذار تلك التي أراها بالسقف فوق مني.

كنت قد سرقت أجهزة النظام كلها من الأقفال وأجهزة الإنذار، وكاميرات المراقبة، والشيفرات المصممة على قرص فلاشة أثناء مهمة من مهماتي السابقة للصعود، واحتفظت به دون أن أعلِم أحدًا

بذلك؛ هذا بسبب اختلافي معهم في منظورهم للهدف من صعودي، وهذا سبب عدم إخبار «ماجد» ما كنت أفعله على جهازي عند ذلك الغطاء، إنني كنت أعطل نظام كاميرات المراقبة قبل صعودي.

وبعد مرور عشرة دقائق من التوتر، والعرق، والمحاولات لكي أفتح الأقفال نجحت أخيرًا في فتح اثنين من أبواب الحجرات الكبيرة؛ حيث كان عدد الحجرات ستة.

دخلت واحدةً منهما وقفلت الباب خلفي، إنها أهم قاعدة علينا اتباعها في مهماتنا؛ وهي ألا نترك شيئًا خلفنا يثير الريبة؛ ولهذا أعدت كاميرات المراقبة في الوضع الطبيعي، لكن علَيَّ الحذر من الكاميرات الموجودة بالداخل هنا، لا بد أن أسير في زوايا معينة من هذه الحجرة لكي أتفادى عدسات الكاميرات.

قصدت غايتي؛ تلك الأبواب السرية كم أريد أن أقتحمها؛ لأرى ما بالدخل لعل يكون هناك ممرات سرية تؤدي إلى سجون البشر الباقين.

إنني أخمن أن تلك السجون ستكون بطوابق سفلية أو بمعني أدق بأنفاقٍ؛ لكي لا تُسمع أصواتهم فتسبب لهم الإزعاج. وأنا الآن بالطابق الثاني عشر، لكنني إن اتبعت توقعي فلا أعرف من أين أبدأ بحثي، وهذا المكان الذي أتواجد به الآن هو بدايتي الوحيدة المتاحة أمامي؛ لعله يكون أول الخيط الذي سيؤدي

بي إلى الحقيقة.

أو أن كل هذا مجرد أوهامٍ ولا وجود لسجونٍ أو بشرٍ، وأنها فكرة اختلقتها مُخيلتي ولا أساس لها من الصحة.

على كل حالٍ، سيتضح الغموض مجرد أن أدخل على سيستِم الأقفال الخاصة بالأبواب السرية، انغمست في عملي الذي أتقنه في محاولتي أن أهكر النظام وأفتح هذه الأقفال المشفرة، بالطبع واجهت صعوبةً عن الأقفال الأولى لم أخطئ حين سميتها بالأبواب السرية؛ إنها أقفال أكثر تعقيدًا مما قبلها.

يوجد أربعة أبوابٍ داخل الحجرة التي أتواجد بها، وكنت قد حسبت حين كنت في الخارج أنها ستة حجراتٍ، وكل حجرةٍ بها أربعة حجيرات صغيرة، إنني في صدد أربعة وعشرين حجرة صغير بالإضافة إلى الستة الكبيرة، يا لها من متاهةٍ! ويا لها من تقنيةٍ!

ازداد توتري حين سمعت أصواتًا بالخارج! وارتفع مستوى ضغط دمي حتى كادت عروقي تنفجر، الأصوات تقترب نحو الحجرة!

تفاقم توتري أكثر فأكثر، واحتد انفعالى وأنا لا زلت أحاول أدخل للنظام، وأصوات طرقعة الأحذية بأرضية المكان تُزيد من تعرقي.

والأصوات تقترب أكثر ..

لا زلت في مكاني بالحجرة على العلن إذا أحدهم دخل هنا، أنظر لذلك الباب الذي دخلت منه، ثم أعيد النظر إلى جهاز الحاسوب، أفكر فيما بالخارج وأفكر فيما أمامي من برمجة.

والأصوات تقترب أكثر وأكثر نحو الحجرة ...

إنهم خلف الباب، يحاولون فتح الباب من خلال القفل الذي يتواجد بالحائط جوار الباب؛ إنه ذات القفل الذي اخترقته منذ دقائق بالخارج.

ثم وأخيرًا تمكنت من الاختراق، ويجب أن أدخل سريعًا، إنهم يدفعون الباب للدخول.

بعد محاولتي لفتح الأقفال التي استغرقت خمس عشرة دقيقة دلفت سريعًا للداخل، كانت هي ذات اللحظة التي فتحوا فيها بابهم! كنت أنا بالداخل تمامًا قافلًا خلفي الباب.

التصقت مختبئًا خلف الحائط ألتقط أنفاسي، لم أكن أعرف ماذا يدور حولي حتى استعدت توازني؛ فوجدت نفسي أمام ممرٍ بطول عشرين مترًا تقريبًا، وعرضه ثلاثة أمتارٍ، ويوجد خمسة أبوابٍ على كل جانب؛ فتيقنت أنني أقف أمام عشر حجراتٍ صغيرة أخرى تبدو كالزنازين في مواجهة بعضهم!

تقدمت بحذرٍ بضع خطواتٍ؛ لأختلس النظر من نافذة إحدى الغرف لأجدها فارغةً لكن يوجد بها سريرٌ واحدٌ مثل الذي رأيته المرة السابقة ذو الأسلاك الكثيرة المعقدة، إنه ذات السرير

الإلكتروني.

ذهبت لأتقدم للحجرة الأخرى، واختلست النظر مرة أخرى فأجد نفس الشيء، ثم ألقيت نظرةً على كل الحجرات كأنها بالفعل مثل الزنازين، إنها نفس الحجرة لكنها مكررة، فعملت أنها الحجرات التي يتواجد بها البشري قبل بدء العمليات، ويبدو أن اليوم لا يوجد عمليات.

ورغم أني لم أجد أي بشري، لكن هذه الحجرات مؤشر قوي على صحة كلامي، وإلا لماذا توجد هذه الحجرات الفارغة؟! وكل حجرة بها ذات السرير الذي كان ممددًا عليه ذلك البشري الميت المرة السابقة؟!

لا زلت أسمع أصواتهم يتحاورون فيما بينهم، لكنني أسمع أصواتٍ نسائية، عُدت الخطوات التي تقدمتها واختلست النظر؛ لكي أرى مَن منهم الذي يتواجد مِمَن رأيته المرة السابقة ... إنه الفضول؛ يأتي دائمًا في غير وقته، أعلم أن الخوف يقتل الفضول، ولكن برغم أنني خائفٌ ومذعورٌ إلا أنني لم أرضَ أبدًا أن أقتل فضولي.

إنهما فتاتان إحداهما تلك الجميلة التي تذكرتها منذ قليلٍ إنها «يارا»، والأخرى لا تقل عنها جمالًا إلا أن بياض بشرتها معتدل على عكس «يارا» ناصعة البياض، وتُدعى «ريتاج»، وتمتلك عينين بنيتين، وشعرًا طويلًا حتى نهاية ظهرها، إنها أطول من صديقتها في القامة، ولديها جسدٌ ممشوقٌ مُثير.

علمت اسمها حين أمرت «يارا» قائلة:

- جهزي الغرفة يا «يارا».

فأجابتها «يارا»:

- أمرك يا «ريتاج».

يتراءى لي أن «ريتاج» أعلى رتبةً من «يارا»، لكن كاد مستوى الأدرينالين ينفجر من ذعري، فهل تقصد «ريتاج» هذا الغرف التي أقف أمامها الآن؟!

إنها بالفعل آتيةٌ إلى هنا، ستقصد «يارا» أي غرفة؟ لا أعرف، لكن علَيَّ أن أتوارى سريعًا، سأدخل أحد الغرف وأختبئ بها.

تقدمت نحو الغرفة الأولى على الجانب الأيمن وضغطت على القفل بالحائط، لكنه لم يستجب؛ إنه مقفل بنفس نظام الشيفرات، ولم أحاول أن أخترقها لأني ما كنت أعلم بحظي التعس الذي سيجبرني على دخول إحدى هذه الغرف.

لا وقت للهاكر، سأجرب الغرفة الأخرى التي بمثابة الأولى على الجانب الأيسر، لكن لا يزال الوضع على ما هو عليه، لم أستطع أن أفتحها؛ تقدمت نحو الغرفة الثالثة التي بمثابة الثانية على الجانب الأيمن، لقد فُتِحت! وهنا توقفت لثوانٍ قليلة، أعيد ما حدث للتو في رأسي، الغرفة الأولى مقفلة والثانية مقفلة أيضًا، أما الثالثة مفتوحة هذا يعني أن الأولى كانت لأول أمس عندما كنت أتواجد هنا

حين رأيت البشري الميت، والثانية كانت بالأمس، هذا يعني أن كل يوم تُجرى عملية هنا، وأن هذه الغرفة الثالثة المفتوحة هي غرفة عملية اليوم وغدًا ستكون الغرفة التي تقابلها من الجهة الأخرى.

لا أدخلها بالتأكيد سأذهب إلى الغرفة التالية .. الثانية من الجهة اليسرى؛ ضغطت على الزر ولكن هذا ما كنت أخشاه إنها مقفلة؛ فعملت أن الغرفة الوحيدة التي تبقى مفتوحة هي الغرفة التي عليها الدور في التجهيز للعملية، إنني سأدخلها إجباريًا!!

دخلتها سريعًا وقفلت الباب، كانت «يارا» فتحت الباب الخارجي ودلفت عند الممر، فذهبت مسرعًا أسفل السرير لأختبئ تحته، وزحفت بالأسفل وخبأت نفسي وتشبثت بسقف السرير .. أي بما فوقي، ورفعت جسدي لكي أختبئ من عينيها.

كانت هي قد دخلت بالفعل لنفس الغرفة التي أتواجد بها، لا أعرف بالضبط ماذا تفعل؟ لكني أرى قدميها تتأرجح ذهابًا وإيابًا في أرجاء الغرفة، وأسمع الضجيج الخافت التي تصدره أصوات خارجة من احتكاك المعادن ببعضها. بالطبع، سأميز هذه الأصوات أفهم الآن إن هذه الأجزاء الأولى التي يتكون منها الروبوت.

ثم اقتربت نحو السرير الذي أختبئ أسفله، يبدو أنها ترتبه وتنظمه وتفعل ما يتطلبه الأمر من تجهيز الجهاز الموصل بالسرير والأسلاك وكل شيء تتطلبه

العمليات القذرة.

إن مشكلتي دائمًا أن ما أخافه يحدث على الدوام، لقد خفت من إنها تنقل السرير للخارج عند الممر الذي كنت أحسبه حجرةً في المرة السابقة حيث رأيت البشري. ولكن هذه المرة ما خشيته لم يحدث؛ لقد خرجت ولم تنقل السرير، لكن تبقى سؤال يلوج بداخل رأسي وهو أن ما رأيته المرة السابقة أن البشري الميت كان ممدًا على سريره عند ذلك الممر، وما آراه الآن يشير إلى أن العملية ستحدث بداخل هذه الغرفة. فكيف ذلك؟

ظللت أفكر ولم أجد أمامي سوى معنى واحد فقط، وهو أن البشري حينها كان ميتًا، وهذا يعني أن العمليات تحدث بداخل هذه الغرفة، وحين يموت الشخص يُخرجونه عند الممر، ولا أعرف ماذا يفعلون بالجثة بعد ذلك؟ وهذا يفسر خروج «يارا» في المرة السابقة من باب الممر الخارجي؛ إنها نقلت السرير بعد انتهاء عمليات النقل من البشري «المُرسِل» وليس إلى الروبوت «المستلم»؛ لأنهم كانوا حينها لا يزالون في عمليات النقل رغم أن البشري قد مات.

أحدث نفسي ما هذه التكنولوجيا التي أراها الآن، وأنا معلقٌ أسفل السرير متشبثًا به؟ كيف يحتفظون بما ينقلونه من البشري المرسل حتى يأتي المستلم الروبوت؟ أهذه أشياء تُحتفظ؟ أهذه أشياء تُنقل من الأساس؟ وحين يكون الحديث عن الشكل والوجه

والجسم، كيف ينقلون هذه الأشياء أيضًا حتى يصبح الروبوت مثلنا؟

تساؤلات كثيرة تدور بداخل رأسي، وأريد أن أحصل على إجاباتها، ولن يحدث ذلك إلا إذا كررت صعودي إلى هنا مرات عديدة، ليس فقط عدد المرات المسموح لي وهو ثلاثة في الشهر، الأمر يتطلب أكثر من ذلك بكثير.

تركت كل هذه التساؤلات لأن ليس هذا وقتها، سأعود إليها مرة أخرى، ولكن هذا الوقت هو وقت تفكيري في كيف سأخرج من هنا؟

بسطت قبضتاي وتركت جسدي يرتاح أرضًا ولا زلت بأسفل السرير ولم أحرك ساكنًا سوى عينيّ؛ لأرى ما إذا كانت «يارا» لا زالت بالجوار قريبة من باب الغرفة، أم خرجت إلى المدعوة «ريتاج»؟ فلم أجد أحدًا.

وضعت باطن كفيّ أرضًا وجعلت أصابع يديّ تتمكن من أرضية الحجرة، ثم زحفت وأنا نائمٌ على ظهري لأخرج نفسي من أسفل السرير، نجحت في فعل ذلك يهمس دون أن أصدر أي صوتٍ ولو بسيط، ثم وقفت على قدميّ. في هذه الحالة أريد أن أقول وقفت على أصابع قدميّ، ورأيت تلك المعادن أو ذلك الفولاذ الذي يشكل الأجزاء الأولى من أجسامهم.

تقدمت بضع خطواتٍ نحو باب الغرفة أختلس

النظر أولًا بحذرٍ ما إذا كان أحدهم موجودًا بالممر؟ أم أنهم بالخارج «داخل الحجرة الرئيسة»؟

كم أدعو أن يخرجوا خارج الحجرة الرئيسة، بل خارج المبنى.

لم أجد أحدًا، يبدو أن عملية خروجي ستكون أسهل مما تصورت، خرجت عن الممر وأعيد ما أفعله في كل مرة، بالطبع سأختلس النظر لأرى قبل أن أخطو أي خطوة.

بعد أن نظرت نحو الحجرة الرئيسة ضحكت على تفاؤلي الذي كان منذ لحظاتٍ، إنني أرى الآن ثلاثة أشخاص بعد أن كان هناك «يارا» و«ريتاج» فقط، كان الثالث أحد الثلاثة أشخاص الذين رأيتهم المرة السابقة إنه النحيف ذو اللحية الكثيفة الذي يُدعى «رامز».

يبدو أن خروجي سيكون أصعب مما توقعته، لم يحدث لي ذلك في جميع المرات التي صعدت بها إلى هنا لأن كل مرة كان هناك خطة محكمة ومتقنة حيث كانت مهمة تشمل جميع النواحي من الصعود حول الدخول إلى هذه الأماكن، وما الذي سأفعله هنا إلى أن نصل لخطة الخروج، كنا نضع خطةً مكتملةً ونمشي على نسقها، ولكن بسبب تغيير الخطة أو بمعنى أدق صعودي إلى هنا في غير ميعادي المحدد وبدون خطةٍ كانت أشبه بتغيير المسار، مسار اخترته بنفسي وهذا ما ينتج من تغيير المسار ..

المجهول، وأنا الآن أمام مجهول.

ما أعرفه حقًا هو أنني سأخرج ولكن كيف؟ هذا ما لا أعرفه، لن أضيع مستقبل عالمي الذي يضع أماله على عاتقي.

كانوا يتجادلون فيما بينهم، فتقول «ريتاج» التي تبدو أكبرهم رتبةً، موجهةً سؤالها ل «رامز»:

- هل جهزته؟

أجابها «رامز» في خشوعٍ:

- نعم، وفي انتظار «شهاب» يأتي به.

هل ما أسمعه هو ما أفكر فيه، هل هناك بشري آخر بالفعل كما توقعت؟ وإذا كان هذا صحيحًا فلا بد أن هناك بشريين كثيرين مسجونين كما خُيِّل لي! ولكن أين؟ أين؟ هذا هو السؤال الذي صعدت لأجله في غير ميعادي بحثًا عن إجابته، ولكن تظل الإجابة معلقة مجهولة، ولا زلت في حاجةٍ إلى إثباتٍ رغم الذي رأيته اليوم يدل على صحة ما يدور في مُخيلتي، هذا الإثبات يقوي الشيء الذي أريد أن أفعله؛ ذاك الشيء الذي ينتظر خالي أن أخبره به ولا شيء يدعم ذلك غير إثباتي بأن يوجد بشر هنا، لا زلت بحاجةٍ إلى أن أعرف مكان هؤلاء البشر.

ثم سمعت «رامز» يقول ل«ريتاج»:

- فكك «سامر» أجزاء واحدٍ آخر منا.

فالتفتت إليه «ريتاج» وقالت متسائلة:

- أتوقع إنه من أتباع الذي يدعى «نوح». أليس كذلك؟

فأجابها:

- نعم، ولكن الأفضل أن نعثر على «نوح».

قالت له في حزم:

- كيف ذلك ولا أحدًا منا يعرف حتى هيئته!

صمت «رامز» ولم ينبس ببنت شفةٍ، وبدا الذي يُدعى «نوح» يروق لي، وأيضًا «سامر» لأنه يفكك أجزاءهم، ولكن هذا ليس وقت «سامر» و«نوح» إنه وقت خروجي.

لم يبقَ أمامي سوى حلٍ وحيد وهو عملي الذي أتقنه، فأخرجت جهازي من حقيبتي، ودخلت على سيستم المبنى، وقصدت في برنامجي الدائرة الكهربائية التي تنير وتدير كل شيءٍ لهذا المبنى، وقد اخترت أن أعطل كهرباء المبنى كله وليس كهرباء الطابق فقط الذي أتواجد به، وهذا بسبب المبدأ الذي يتبعه كل صاعد؛ وهو ألا يفعل شيئًا يثير الريبة، فتعطل الكهرباء للمبنى كله سيفكرون في مولد الكهرباء الخاص بالمبنى فلا يثير الريبة مثلما يفعل تعطل كهرباء الطابق فقط؛ فيعتقدون بأن هناك شيئًا بهذا الطابق وهذا سيخدم شيئًا آخر وهو أن أتفادى التزاحم الذي سيحدث إذا أطفأت كهرباء هذا الطابق فقط، حيث يكون التركيز هنا

فقط. كما أنه سيعطل كاميرات المبنى كله حيث يتيح لي فرصة الهروب في تحرر.

وما هي إلا ثلاث دقائق وكان الظلام يعم المكان!

الأمر يتطلب مني ثلاثين ثانيةً قبل أن تنير الأنوار البديلة للكهرباء في حالة انقطاعها، إنها ثلاثون ثانيةً فقط علَيّ أن أخرج خارج هذا الممر إلى الحجرة الرئيسة ومنها إلى الممر الرئيس بالخارج؛ لكي أستأنف هروبي في تحرر أمام الكاميرات التي سيعاد نظامها تلقائيًا فلا أثير الريبة، حيث أنهم يرونني روبوتًا مثلهم ذلك الدور الذي أمثله ما دمت بالخارج وسط عيونهم.

دسست جهازي في حقيبتي سريعًا، وخرجت خارج الممر، كان «رامز» و«يارا» خرجا لكي يريا ماذا هناك؟ وبقت تلك الحرباء «ريتاج»، يجب أن أتعداها سريعًا قبل أن تعمل الأنوار البديلة.

وحتى إن لن تعمل، فبعد دقيقتين ستعود الكهرباء، هذا نظام برنامجي الهاكر أخترق سيستم الدائرة الكهربائية فتتعطل لمدة دقيقتين ثم يعود كل شيء كما كان.

شرعت أخطو ببطء حتى لا أصطدم بشيء في وسط هذا الظلام، وفي نفس الوقت كانت خطواتي متتالية لا راحة بين خطوة وأخرى، إنها ثلاثون ثانيةً مضى منها خمس عشرة.

وصلت عند الباب الرئيس المفتوح للحجرة،

فمددت يدي وزحته جانبًا لأفتحه لكي أعبر، لقد لاحظت «ريتاج» الصوت الضعيف الخفيف الذي أصدره الباب فتحدثت متسائلةً:

- ما الذي حدث؟

نظرت خلفي نحوها فلا أراها، فتسمرت مكاني لمدة ثوانٍ مذعورًا خائفًا قلقًا، لا زلت غير متيقنٍ من رؤيتها لي، ثم ... لا شيء.

يبدو لي أنها خمنت بأن «رامز» أو «يارا» قد أتى ليخبرها ماذا حدث للكهرباء؛ إنها تنتظر إجابة، وهي بدورها لاحظت عدم الرد فسمعت صوت خطواتها على الأرض تقترب، فأدركت أنها بدأ تتراءى لها بأن شيئًا هناك على غير طبيعته. أما عن الوقت .. إنها خمس ثوانٍ.

في اللحظة التي وصلت «ريتاج» عند الباب كنت قد بلغت نهاية الممر الرئيس وتواريت عن أنظارها، لا أعرف كيف فعلتها في خمس ثوانٍ!، الأمر يتطلب سرعة خارقة، أعلم أني سريع العدو لكن لم أكن أتخيل أن أصل لهذه الدرجة من سرعتي، ثم انقشع الظلام بهذه الأنوار البديلة.

تواريت عن أنظار «ريتاج»، إنني أصفها بالحرباء؛ لأنني أرى أنها صفة تليق بها، إنها تصدر الأوامر، وتعلم ما تفعله وما تريده، لقد رأيت هذا الثقة بداخلها، أعلم أن الثقة بالنفس هي صفة كل مَن بالأعلى هنا، لكن «ريتاج» تختلف مثلما يختلف ذاك

الذي يفكك الأجزاء «سامر».

لا شيء يحدث كما نأمله بالضبط، لا بد أن يكون هناك ما يجعل من الأمر مغامرة.

وصلت عند باب الأسانسير، فوجدته مغلقًا وعلَيّ أن أنتظر صعود أو نزول أحدهم، وبما أن ليس لديّ وقت كافٍ لأفعل هذا فتوجهت للسُلم ذلك السُلم الكهربائي الذي يدور دون توقف حتى تصل لآخر طابق بالأسفل، إنه يعمل الآن من خلال الكهرباء البديلة، لا أعرف السبب فيما وراء هذه الكهرباء البديلة، هل هي شحنات الطاقة الشمسية التي تعمل تلقائيًا بعد قطع الكهرباء مثلما في مركباتهم؟ أم هي كهرباء فعلية لكنها بديلة وتعمل لمدة الدقيقتين فقط؟

تحرك بي السُلم نزولًا حتى ثلاثين ثانية أخرى، فالباقي دقيقة واحدة ثم تعود الكهرباء الأساسية.

أثناء نزولي، أو بمعنى أدق نزول السُلم بي، لكنني تعجلت الأمور فلا أنتظر المدة التي يستغرقها السُلم، فشرعت أركض مسرعًا للنزول مستخدمًا أقدامي بالإضافة إلى حركة السلم، وأثناء فعلي لذلك اصطدمت بشخص كان أمامي يقف منتظرًا نزول السُلم به، كان يزيد عني في الكتلة البدنية وفي الطول أيضًا، فرفعت نظري إليه مع تزايد ضربات قلبي، وارتفاع مستوى الأدرينالين، فأراه أصلع الرأس، ثم نظر خلفه نحوي، رأيته ذا لحية

خفيفة مثلي ... إنه «شهاب».

لقد ثبّت نظره نحوي، إنني أنظر في عينيه المتحركتين كحركة كرات البندول، فتحدثت له تلقائيًا:

- إنه مولد الكهرباء، ولن أنتظر الأسانسير.

لم يتحدث، فأكملت نزولي كما كنت لكي لا يرصد دماغه أي شيءٍ مريبٍ يحدث أمامه، شرعت أستأنف نزولي مهرولًا آملًا أن يكون فَهِم ذلك الروبوت الذي يُدعى «شهاب» إنني متعجلٌ؛ لكي أصل لمولد الكهرباء الذي به المشكلة بالأسفل في أسرع وقت، ولن ينجدني ذلك الأسانسير الذي به يتواجد به أحدهم .. لست متيقنًا من ذلك، لا أعلم إن كان أدرك «شهاب» هذا أم لا؟

بعد مرور دقيقة أخرى، كنت قد وصلت للأسفل، إنها ذات اللحظة التي عادت فيه الكهرباء الأساسية؛ إنهما دقيقتان فقط، لكنهما أسوأ دقيقتين ليس في يومي فقط إنما في حياتي كلها، والحمد لله أنهما مضيتا بسلامٍ حتى الآن؛ فأنا لست واثقًا فيما سيحدث بعد.

غادرت السُلم واستأنفت طريقي على ممر هذا الطابق، حيث أن كل طابق لديه ذات هذا الممر، فعدت أقوم بالتمثيل لدور الروبوت، ذلك الدور الذي سيسبب لي الغضروف في رقبتي بسبب تلك الثقة الكاذبة التي أقتمصها، حيث علَيّ أن أسير بطريقةٍ

ما تدل على الانتصاب أي «الثقة بالنفس»، في هذه اللحظة أدركت أن التقمص يسبب التغيب عن الواقع

وأثناء طريقي، سمعت أصواتًا لأشخاص، أقصد «روبوتات»، صادرة من جهة اليسار حيث توجد قاعة كبيرة تملك بابًا كبيرًا مغلقًا به نافذة تكفي للرؤية.

إنني شخص فضولي، وأعلم جيدًا أن هذا الفضول سيسبب لي مأزقًا في المستقبل، ولكن لن أدع الخوف يقتل فضولي، فاتجهت نحو القاعة واختلست النظر من النافذة، بِتُّ خبيرًا في هذا العمل؛ فأنا اليوم لا أفعل شيئًا سوى اختلاس النظر.

لقد رأيت قاعةً شاسعةً تحوي لأكثر من ثلاثين شخصًا جالسين على كراسيهم الأنيقة، ينظرون للحائط المنمق أمامهم الذي يوجد به سبورة رقمية بها شاشة تعمل بالبعد، وبجوارها يقف أحدهم يبدو عليه أنه روبوت ذو علم. إنه يشير إلى صورٍ وكتاباتٍ تعرضها الشاشة، ركزت في هذه الصور والكتابات، لا أصدق ما آراه، إنني أنظر إلى صورٍ لبعض الأشخاص البشريين، لقد دققت النظر إلى هذه الصور؛ لأتأكد أنهم بالفعل صور لبعض البشر، فتيقنت أنهم كذلك من خلال العيون وطريقة الوقوف أو الجلوس، أي «وضعهم في الصور».

دققت النظر أكثر إلى الكتابات لأقرأ على ماذا تحتوي؟ فرأيت كلمةً طويلةً مكتوبةً هكذا

«روبو أنثروبولوجيا» أعرف نصف هذه الكلمة «أنثروبولوجيا»؛ إنها تعني علم دراسة الإنسان، لكنها تزيد عليها مقطع «روبو» هل هذا اختصار لكلمة «روبوت»؟ هل أنا بصدد كلمة تعني «علم دراسة الإنسان الروبوت»؟!

ثم سمعت ذلك المحاضر الذي يقف ويتحدث ويشرح ويشير هنا وهناك، وهو يقول:

- كتاب «الروبو أنثربولوجيا» لا يفسر لنا كيف تصنع «روبوت»!، ولكن يفسر لنا كيف تصنع روبوت إنسان!

هنا تأكدت تمامًا من كل شيءٍ كان يلوج بداخلي، لقد زاد يقيني بأن هذه الصور تخص بشرًا، وتيقنت من وجود بشرٍ بالفعل هنا، يصنعون منهم روبوتات، وهذا يفسر وجود كلمة «روبو أنثربولوجيا»، وليس كلمة «روبوتولوجيا» التي تعني دراسة علم الروبوت والروبوت فقط ، ولكن نحن الآن بصدد جرائم بشعة لا يحاسب عليه أحد.

ثم سمعت يستأنف كلامه قائلًا:

- هذا الكتاب لا بد من الحفاظ عليه؛ إنه يحوي أيضًا معلوماتٍ للبشر تجعلهم يعلمون كيف يتغلبون على الروبوتات .. أي كيف يهزموننا.

فيرد عليه آخر من الجالسين ضاحكًا بسخريةٍ، يشير بيديه الفارغتين:

- وأين هم هؤلاء البشر؟

ماذا؟! إنه يقول أين هم هؤلاء البشر؟ هل هذا يعني أن لا وجود لبشرٍ هنا كما كنت أتصور؟ إن كان ذلك فلماذا يدرسون هذا العلم من الأساس ما دام لا وجود للبشر؟ كما يظنون .

أم يقصد بقوله ذلك ألا وجود لبشرٍ غير البشر الذين بحوزتهم، لا وجود لبشرٍ تستحوذ على هذا الكتاب، وهذا يعني أنهم لا زالوا لا يعلمون بوجودنا وهذا مؤشر ودعم قوي لنا.

رأسي ستنفجر، ولكنني بصدد معلومات كثيرة قيمة رغم أنني لم أجد الأماكن التي يسجنون فيها البشر، ذلك الإثبات الذي يقوي الشيء الذي أريد أن أفعله، ولكن الآن لا يهم معرفتي بهذه الأماكن من عدمها، إنني أمتلك الآن ما هو أهم من ذلك؛ ما يدعم إثباتي الذي سأقدمه لخالي، ما يدعم ذلك الشيء الذي أريده، إنني بِتُ أعلم بوجود كتابٍ يجعلنا نتغلب على هذا العالم.

أكملت طريقي للخارج، أسير برقبةٍ وظهرٍ منتصبين قليلًا، ويدين منفرجتين، وخطواتٍ واثبةٍ. ذهبت متجهًا إلى صديقي ماجد الذي تركته منذ وقتٍ، أتساءل إن كان تحنطًا في مكانه؟ أم ما زال واثبًا ينتظرني؟ لكن الأمر يجلعني أشعر بالاطمئنان، فلا رسائل منه وصلتني على شريحة اتصالاتي، فتوجهت تجاه حدود المدينة وصلت عند «ماجد»

بعد مسيرة ساعة من الركض المتقطع، ووجدته واقفًا منتظرًا، فدنوت منه وأزحنا الغطاء سريعًا بعد أن تأكدنا من عدم وجود أحدٍ بالجوار، ثم نزلنا بالأسفل وعبرنا الطريق النازل ببطءٍ، ومنه إلى السُلم ذي الدرجات العشر، ثم إلى النفق النازل ببطءٍ حتى وصلنا إلى حدود العالم السفلي، واتجهنا نحو الشمال حيث تقع مدينة المحافظين .. مدينتنا.

كان قد حلَّ الليل عند وصلنا للمدينة، واتجهنا نحو مسكني حيث أسكن أنا وخالي، ووجدناه ومعه صديقنا «وحيد» حيث ضاق بهما الانتظار.

وقبل أن ألقي التحية، وقبل أن أريح أنفاسي، وَثبَ خالي يوجه لي سؤاله:

- لماذا تأخرتما؟

لم نجبه، لا أستطيع، إنني بالكاد آخذ شهيقي، فقال سؤاله التالي:

- ماذا وجدتَ هذه المرة يا «آدم»؟

نظرت له بنظرةٍ تملؤها الثقة، فولج الشك بداخله وسأل سؤاله الثالث:

- هل وجدتَ البشر؟

أجبته:

- لم أجد أماكن البشر.

فنظر لي بنظرةٍ وكأنه يعبر لي عن تحسره لوضع

ثقته فيّ، فأردفت مسرعًا:

- لكنني وجدت شيئًا آخرلا يقل أهمية عما صعدت لأجله.

فرجع عن نظرته السابقة لتتحول لنظرةٍ بها بصيص من الأمل، سائلًا إياي:

- ماذا وجدتَ؟

تحدثت مجيبًا على سؤاله:

- لقد وجدت أشياءً كثيرة تدل على وجود بشر بالأعلى.

فبدّل نظرته لتغدو بنظرةٍ تعبر عن نهيي عن هذه الثراهات، فاستأنفت حديثي:

- حاول أن تسمعني يا خالي، نعم لم أجد البشر أو أماكنهم، لكنني وجدت ما يدل على وجودهم، لقد دخلت تلك الغرف السرية، التي تحتوي كل غرفةٍ على سريرٍ مثل الذي رأيته المرة السابقة، إنه سريرٌ يخص العمليات، ثم سمعت حديثهم الذي يشير إلى تحضيرهم لعملية جديدة.

فرد صديقي «وحيد» قائلًا:

- ولماذا لم تكن هذه العمليات للبشر من الأساس؟ وأن ما رأيته المرة السابقة كان مجرد روبوت يجرون عليه بعض التجارب.

عقدت حاجبيّ، ثم تحدثت بصوتٍ حادٍ:

- إنني لست بغبي، كما أعلم ما رأيته، ولكي أثبت لكم كلامي، فليأتِ أحدكم معي المرة القادمة إلى داخل مدينتهم.

ساد صمتٌ عظيمٌ لمدة دقيقة تقريبًا بعد سماعهم جملتي، كأنهم لا يجدون ما يقولونه لي، فأدرفت قائلًا:

- ثم وجدت ما يزيد من إثبات وجود بشر هناك.

لا أحد سألني بلهفةِ «ماذا وجدت»، لم ألقَ أي سؤالٍ من الأساس، وكأنني أنا الوحيد المجنون بينهم، فأكملت حديثي:

- لقد سمعتهم يتحدثون عن كتاب اسمه « الروبو أنثروبولوجيا».

وعند سماعهم هذا ظهر على وجوههم الانتباه، فأكملت حديثي:

- كما تعرفون أن كلمة «روبو أنثربولوجيا « تعني علم دراسة الروبوت الإنسان، وليس علم دراسة الروبوت الذي يعني «روبوتولوجيا»، وبما أننا في صدد كلمة إنسان وروبوت إذًا هناك الإنسان.

أخذت نفسًا عميقًا، ثم أردفت:

- بجانب كلامي السابق بأنني وجدت بشريًا ميتًا، وسماعي لحديثهم عن عمليات نقل، بالإضافة إلى أسلوبهم وطريقتهم وملامحهم التي تشبهننا لدرجة أن إذا ما كان أحدٌ ذو علمٍ فلا يستطيع أن يفرق

بينهم وبيننا؛ فكل هذا يدل على وجود بشر بالأعلى. كما أنني سمعت أحدهم يقول معنى هذا الكتاب، لقد سمعته يقول: «هذا الكتاب لا يفسر كيف تصنع روبوت بل يفسر كيف تصنع ربوت إنسان».

لاحظت اكتراثهم لكلامي، كان خالي يسمعني بنهيم، وماجد جاحظ العينين، ووحيد يتملكه الذهول.

فتح خالي فاه ليتحدث، فقاطعته قائلًا:

- لا أحد يقول شيئًا حتى أنتهي.

صمت لحظةً ثم استأنفت حديثي:

- هذا الكتاب يحوي معلوماتٍ تخص كيف يتغلب البشر على الروبوتات، وأنهم يحافظون عليه من أن يقع في أيدي البشر.

تملكهم الذهول جميعًا، إنها أول مرة تأتيهم معلومات مثل هذه المعلومات، وهذا بسبب أنني اختلفت مما سبقوني من الصاعدين، إنني أول صاعد يصعد في غير ميعاده، إنني أول صاعد له مُبتغى مختلف عما سبقوه. فوجه خالي سؤالي لي:

- هل هذا يعني أنهم يعلمون بوجودنا؟

أجبته:

- لا أعتقد، لقد سمعت أحدهم يقول في سخريةٍ «وأين هم البشر؟».

ثم سألني سؤالًا آخر:

- وماذا تعتقد؟

أجبته:

- أعتقد أنهم يقصدون بقولهم هذا أن لا وجود للبشر غير الذين بحوزتهم.

فسألني «ماجد»:

- وإذا كان الكتاب يحوي على معلوماتٍ تفيد بإبادتهم، فلماذا بحوزتهم هذا الكتاب حتى الآن؟ لماذا لا يتخلصون منه؟

نظرت له مجيبًا على سؤاله:

- هذا لأنه يحوي أيضًا على معلوماتٍ تفيد بزيادة أعدادهم، وبما أنهم يعتقدون بعدم وجود بَشر هنا، فلا يجدون في هذا خطر ينتظرهم من أي بشري.

أتى دور «وحيد» في التحدث، فقال:

- لو كنت مكانهم لكنت تخلصت من الجزء الخاص بمعلومات كيفية تغلب البشر للروبوتات.

أحدت نظري نحوه، وتحدثت قائلًا:

- لا نعرف كيف يفكرون، ولا أعلم أيضًا لماذا لا يتخلصون من هذا الجزء في الكتاب؟

اقترب خالي نحوي، ونظر إليّ بعينين تائهتين كأنه يبحث عن شيء في عيني، أعلم حقًا ما يلوج بداخله، أعرف ما سيقوله، فتحدثَ متسائلًا:

- ماذا تريد أن تفعل يا «آدم»؟

كما توقعت، إنه يريد أن يعرف ما الشيء الذي أبغي أن أفعله، إنه يريد أن يعلم بمرادي.

فأجبته:

- أريد أن أغير المسار؟

عقد حاجبيه غير فاهمٍ، فسألني:

- لا أفهمك، أي مسارٍ الذي تريد أن تغيره؟

أخذت شهيقًا طويلًا، ثم أخرجت زفيرًا أطول، وتحدثت:

- كانت مهمة الصاعد منذ أكثر من مائة عامٍ أن يأتي بمعلوماتٍ من الأعلى؛ لكي نحاكيهم ونستطيع أن نجاريهم في تقدمهم، وهذا كان لسببين أولهما: لتوفير متطلبات معيشة تليق بنا هنا، والسبب الآخر: هو أن نكون مستعدين إذا حدث شيءٌ غير الطبيعي، بمعنى آخر لكي نستطيع أن نردعهم ما إذا علموا بأمرنا هنا، بمعنى أدق أن نقف كمدافعين فقط.

لوح بيدين فارغتين، رافعًا كتفيه، قائلًا:

- وماذا غير ذلك؟

فأجبته:

- لا أريد أن ندافع.

فسألني:

- فماذا تريد؟

أجبته بعد تفكيرٍ عميق:

- أن نهجم عليهم، مُرادي هو أن نعود.

@ART_OF_BOOK

الخطة

لا أستطيع أن أصف كم الاندهاش والذهول الذي أراه على وجوههم، لدرجة أن كل واحدٍ منهم قال عبارة مختلفة عن الأخرى لكنهم يؤدون لنفس المعنى منهم من قال:

- ماذا .. أنت متهور؟

كان «ماجد».

- هل جننتَ؟

كان «وحيد».

- هذا جنون وتهور.

بالطبع كان خالي مَن قال هذه العبارة. ثم ساد صمتٌ رهيبٌ، لا أحد يتحدث، وأنا بداخلي غضبٌ عارمٌ مما سمعته منهم، كان صمتٌ استمر لمدة عشر دقائق. كانت عشرة دقائق مليئة بالأفكار التي تدور برأسي، إنني أحسب لكل شيء، وأبحث عن إجابةٍ لأي سؤالٍ أواجهه .. بمعنى أدق إنني أضع خطةً.

ثم قررت أن أكسر هذا الصمت؛ فتحدثت في حماس مخلوطٍ بغضبٍ:

- هل أحد منكم يستطيع أن يخبرني بأي شيء نفعله مهمًا؟ أي شيءٍ نفيد به البشرية؟ تلك البشرية التي تعيش في الأنفاق، لقد حاكينا العالم العلوي في كل شيءٍ تقريبًا، لم يعد هناك شيء بعد لم يفعلوه

ولم نحاكيه نحن هنا، هذا الزمن قد مضى لا بد من وجود شيءٍ جديد، شيء لم يُفعل في التاريخ من قبل. تخيلوا أننا منذ أكثر من مائة عامٍ لم يجرؤ أحدٌ أن يفكر فقط فكرة العودة، وها نحن أول مَن فعلنا ذلك، هل أحدٌ منكم يقنعني بأن العالم العلوي ليس مكاننا ونحن مَن نستحق أن نعيش فيه؟ أخبروني بعكس ذلك وسأصمت، بل سأصمت للأبد.

صمت الجميع، كأنهم لا يجدون ما يقولونه، حتى أتى ذلك الصوت الذي كسر هذا الصمت:

- «آدم» معه حق!

كانت «دينا» صاحبة هذا الصوت، فأضافت بقولها:

- بعد أن فعلنا كل شيءٍ هنا، ماذا كانت فائدة الصاعد منذ أكثر من عشر سنوات؟ لم يأتِ الصاعد بأي شيءٍ جديدٍ بعدما فعلنا كل شيءٍ، لم نعد نستفيد بصعوده سوى في أمرٍ واحد فقط ؛ وهو أننا نعلم أنهم لا يعلمون بوجودنا حتى الآن.

فرد «ماجد» خطيبها:

- وهل هذا شيءٌ هيّن بالنسبة لكِ؟

فتدخلت لكي أنقذ «دينا» من جدال خطيبين معترضين، إنه أمرٌ أشبه بالنار حين يعترض الخطيبان على شيءٍ. فقلت:

- بالطبع إنه شيءٌ في ذات الأهمية يا «ماجد»، ولكن الأهم -ورغم إننا نعيش هنا حياة كريمة- لكن

ليس للكل؛ فيوجد فقراء ومرضى كثيرون، بل يوجد الكثير من الأوبئة والفيروسات هنا، وهذا بسبب شيءٍ واحد فقط، وهو أننا نعيش في عالمٍ بلا شمس.

دعمتني «دينا» بقولها:

- نعم، نحن نريد أن نرى الشمس، نريد أن نعود.

تحدث «وحيد» قائلًا:

- لكن هذا يشبه بانتحار رغم استطاعتنا في أن نجاريهم في التقدم لكي نعيش، فلن نستطيع أن نجاريهم في حربٍ مفتوحة لكي ننقذ أرواحنا، أنتَ تعرف يا «آدم»، الكل يعلم هنا أنهم أسرع منا في كل شيء.

فأجبته:

- ومَن قال أنها حرب؟!

أخيرًا تحدث الأكبر سنًا بعد هذا الجدال الطويل فيما بيننا، أخيرًا قرر خالي أن يتحدث سائلًا إياي:

- كيف ستفعلها يا «آدم»؟

وجهت بصري نحوه، ونظرت في عينيه التي أراها تحمل الكثير من الأمل المخلوط بالخوف، كأنه يأمل أن يعود للأعلى لكنه خائفٌ من نتيجة هذا الأمر.
فأجبته:

- قبل أن أخبرك بشيء يا خالي، أريد أن أوضح لك

شيئًا أراه في عينيك، أنتَ تعلم حقًا أنه أمرٌ يستحق المجازفة كما أعلم أنا أنه أمرٌ سيكلفنا جميعًا. وسأقول لك مبدأي، لن نسمح للخوف أن يقتل فضولنا، ولا ننسى أن ذلك الفضول هو الذي أوجد علماء ندرس عِلمهم، ذلك العلم الذي جعلنا نفقه كل شيءٍ من حولنا تقريبًا، فلولا العلم لأشبهنا بالأموات.

فقال لي ما لم أكن أتوقعه:

- لن أجادلك يا «آدم»، ولكن قبل فعل أي شيءٍ لا بد وأن ندرس هذا الأمر بعنايةٍ كثيفة.

جحظت بالطبع عيناي غير مصدقٍ، فمعنى كلامه هذا هو إنه يؤيد فكرتي. فأجبته:

- نعم، بالتأكيد.

فسأل:

- فلتخبرنا كيف نفعل هذا رغم ضعفنا أمامهم؟ ورغم قلة أعدادنا مقارنة بهم؟

أخذت كفًا من الهواء الذي بالكاد يندفع للأسفل هنا ملأت به صدري، ثم دفعت زفيرًا طويلًا، وتحدثت في الأمر:

- بتنا نعلم بوجود كتابٍ بالأعلى به معلومات توضح لنا كيف نهزم العالم العلوي، وبطبيعة الحال هذه ستكون مهمة الصاعد مع وجود اختلاف بسيط، اختلاف لم يحدث منذ أوجد الصاعد وهو أن ليس الصاعد فقط الذي سيدخل المدينة، بل

سنكون ثلاثة لنغطي مساحة كبيرة من البحث في وقتٍ أقل وحينها نعثر على الكتاب.

قالت «دينا»:

- لكن لا أحد تدرب على فعل ذلك الشيء سواك يا «آدم».

نطرت نحوها، مجيبًا لسؤالها:

- هناك من أشياءٍ تحدث من حولنا تجعلنا مضطرين لفعل أشياءٍ أخرى لم تكن في حسباننا، ولم نتخيل يومًا أن نفعلها. في هذه الحالة نستطيع أن نقول إنها حالة طوارئ.

تساءل أيضًا «وحيد»:

- وبعد أن نعثر على الكتاب؟

أحدت نظري نحو «وحيد» وأجبته:

- لقد فكرت في ذلك مليًا، سندرس ذلك الكتاب لن نترك فيه شيئًا إلا وفهمناه، وهذا يعني أننا سندرس كيف سنتغلب عليها، لا وبد من وجود طريقةٍ ما تشير إلى هزيمتنا لهم، وبدون حرب كما أخبرتك منذ قليل يا «وحيد»، مثل شيء يشبه تفكك الأجزاء.

تساءل «ماجد» متعجبًا:

- تفكك الأجزاء؟!

فقلت له ضاحكًا:

- إنها قصة طويلة، ذكّرني أن أحكيها لك فيما بعد.

فتحدث خالي الذي دومًا سؤاله يأتي بعد تفكيرٍ عميقٍ:

- أرى أن لخطتك بقية يا «آدم».

ابتسمت له، ثم أجبته:

- هذا يثبت نظرية ألا أحد يفهمك سوى مَن رباك .. نعم! إن لخطتي بقية لن نغامر بحياتنا مقابل ذلك الكتاب فقط، لا بد من وجود الخطة البديلة في حالة فشل الخطة الأولى، فنحن لن نتيقن بعد أننا سنعثر على الكتاب، وهذا سيكون لسبب ما كسقوط أحدنا مثل مَن لم يتدرب على الصعود؛ ففي هذه الحالة سنكون مضطرين لظهور أنفسنا لهم، بما أنهم عثروا على أحدنا، ونعقد سلامًا معهم يفيد بعودة مَن سقط في أيديهم.

فسألت «دينا»:

- مقابل ماذا؟ إنها أشبه بمقايضةٍ ولا بد من وجود شيءٍ ثمينٍ بحوزتنا نقدمه لهم لعقد السلام وإتمام المقايضة دون خطرٍ

أجبتها:

- بالطبع هناك شيءٌ، سأخبركم به في الوقت المناسب.

ثم سأل «ماجد»:

- وإن نجحنا في العثورعلى الكتاب ولم نكن

مضطرين لظهور أنفسنا أمامهم ودرسناه جيدًا؟ فماذا بعد؟ إنهم سيعلمون بسرقة كتابهم، وهذا يعني أنهم سيعلمون أيضًا بوجودنا.

نظرت ل «ماجد» وقلت له في نظرةٍ ثاقبةٍ تتجه للفراغ:

- هذا ما يجعلنا نصل لأصعب نقطة.

قال خالي:

- أرى في نظرتك أنك ستقدم على فعل شيء مجنون آخر. ما هي يا «آدم»، تلك النقطة؟

فأجبته في عمقٍ، بذات النظرة الثاقبة:

- سنوحد صفوف العالم السفلي.

وبعد سماعهم عبارتي، رأيت على وجوههم جميعً الذهول والاندهاش الذين رأيتهما منذ بداية هذا الحديث.

بالطبع يقولون في أنفسهم إنني مجنون، وأفعل أشياء خرقاء تؤدي بنا للهلاك.

فسأل «وحيد» مندهشًا:

- كيف ذلك؟! إننا لم نحتك بهم منذ أكثر من عشر سنوات، ونعلم جميعًا إن المدينة الجنوبية مدينة المجانين والذهاب إلى هناك خطر. ومدينة المتهورين لا يفعلون شيئًا سوى القتل، لن يبقى سوى مدينة المعترضين وزعيمهم ذلك الأكثر شرًا

على الإطلاق .. «أيوب».

رددت عليه قائلًا:

-لن نذهب إلى مدينة المجانين، سنذهب إلى «أيوب» أكبر مدينة في الأربعة، وسنحاول معه أن ينضم لنا، وبما أن مدينة المتهورين متحالفة معه فسينضمان لنا، إنني آمل أن «أيوب» سيسمعنا؛ إنه أذكى من أن يشن علينا هجومًا إن رفض، ولا أرى أنه سيرفض ذلك إذا علم بأنه سيعود أخيرًا إلى عالمه الأصلي الذي يستحقه.

غمغم خالي بسؤالٍ:

- ولكن لماذا؟

إنني بصدد إجابة أخاف من نتيجتها، ولكنني مقتنع بفكرة حالة الطوارئ، أو لأنني ذو شخصية محبة لروح المغامَرة، فقلت له:

- إنني سبق وقلت أنها أصعب نقطة؛ لأن في حالة توحيد الصفوف التي هي ذات الحالة التي كُشِف فيها أمرنا للعالم العلوي، لم يعد لنا شيء نخاف عليه، ستكون هذه النقطة الناهية إن لم يرنا العالم العلوي متحدين سيمحقوننا.

سأل «وحيد»:

- وحتى إن اتحدنا، فماذا سنفعله أمام جيوشهم التي ستستعد لنا لتمحقنا أيضًا؟

وجهت له ابتسامةً وقلت له:

- لن تكف عن ذلك التشاؤم الذي يتكاثر يومًا بعد يوم بداخلك، في هذه الحالة سنحاول جاهدين أن نعقد سلامًا معهم، وهذا يضمن أيضًا تسليمنا لهم كتابهم، بالإضافة إلى اتحادنا ثم نرجع بخُفيّ حنين.

فتحدث «ماجد» متسائلًا:

- وإن كان الأمر سينتهي بخُفيّ حُنين فلماذا من الأساس؟

أجبته:

- إن الأمر يستحق، وهناك احتمالات كثيرة غير خُفيّ حُنين.

ثم سألت «دينا»:

- وإن كان احتمال آخر غير كل ما توقعناه، إن ساءت الأمور إلى ما هو أسوأ؟

صمت لأن هذا السؤال له الإجابة التي أخشاها، فقرر خالي أن يجيب على هذا السؤال بدلًا عني، وقال:

- إن كان الأمر كذلك س ..

ثم سكت لحظات ونظر نحوي وأكمل:

- ستكون الحرب.

قلت في حماس لهم جميعًا:

- ألم تروا أن الأمر يستحق؟

أجابتني «دينا»:

- إنني أول مَن وافقتك.

فأتبعها «ماجد»:

- بالطبع لن أترك خطيبتي.

ثم «وحيد»:

- إنني سأوافق لأنني أريد أن أكسر الملل الذي أنا فيه.

بقي خالى لا أحد سمع منه رأيه، أبصرناه يفكر مليًا فيما سيقدم على قوله؛ إنها عادته وبعد دقيقتين من السكوت، تحدث:

- لا يهم رأيي أو رأي أحدٍ منكم، لا بد وأن نذهب للمسئولين هنا لنأخذ موافقتهم لكل ما تحدثنا فيه.

هذا يعني أنه وافق، بالطبع شعرت بسعادةٍ تغمرني، كنت أتمنى ذلك، الأمر يحتاج إلى خبرةٍ بجوار الحماس.

كما أنني لا أقلق من موضوع موافقة المسئولين؛ إنهم من عائلتنا كما أن خالي له قدرة على الإقناع، تلك الصفة التي ورثتها منه وهذا ما فعلته منذ قليلٍ معهم.

***

لقد أتى اليوم التالي، حيث كان العصر حين كنا مجتمعين في مسكني الذي أشغله أنا وخالي،

وبالتحديد في المكتبة التي تخص خالي، كان «ماجد» و«دينا» يتجادلان فيما بينهما أو فيما يخص أي خطيبين، حيث كانت «دينا» برفقة والديها الذين رافقوها هذه المرة، ووحيد يتحدث معي وأنا بدوري لا أكف عن إثارة غضبه حين أقول له: «احلق شاربك أو اترك لحيتك»، ذلك الشارب الوحيد الذي يملأ وجهه، لا أعرف لماذا لا يعجبني هذا الشارب؟!

لقد كان الجميع في انتظار خالي حين يأتي من المكان المتواجد فيه الآن، إنه عند المسؤلين ليأخذ موافقتهم؛ لأن إذا أخذنا أي خطوةٍ دون الرجوع إليهم ستصعب علينا الأمور إذا أدى ذلك إلى ما هو غير مُرضٍ لنا جميعًا.

ظللنا منتظرين خالي حتى الساعة العاشرة مساءً حين سمعنا صوت خطواته التي تطغى على صوت ضربات قلوبنا المرتجفة .. المنتظرة، جميعنا في ترقب وصوله بإذن السماح لمهمتنا.

لقد أتى بملامح مليئة بالحزن، لاحظ الكل ذلك الحزن الذي يحفر في وجهه علامات تدل على الاستياء؛ فسأله «ماجد» في لهفةٍ:

- هل رفضوا؟

أجابه خالي:

- للأسف ..

ثم نظر نحونا جميعًا متأسفًا، وأردف:

- لقد وافقوا.

فتعجب الجميع سواي؛ لأنني أفهمه جيدًا، فسأله «وحيد» ملوحًا بيديه:

- فلماذا آسف؟

لم يجبه، فاقتربت نحوه ونظرت في عينيه، وقلت له بصوتٍ مسموع للجميع مجيبًا على سؤال صديقي «وحيد»:

- ستكون آسفًا سواء رفضوا أو وافقوا.

نعم! هو كذلك أفهمه جيدًا، آسفٌ للموافقة؛ لأنه يخاف علينا ولا سيما أنا إذا حدث شيء يعكس توقعاتنا، وآسفٌ أيضًا بالرفض، لأنه سيخاف حينها إذا فقد فرصة قد تكون نقطة تحول لمستقبلنا.

ثم رد على قولي بصوتٍ مبحوحٍ يسمعه بالكاد الجميع، وسألني:

- هل رأيتَ لماذا أخبرتك من قبل أنك ستكون مستقبلنا؟

نظرت في عينيه المستاءتين للحظاتٍ، ثم أحدت نظري نحوهم جميعًا ينظرون إليّ في ترقب ينتظرون سماع أي شيءٍ أبوح به.

اعتراني إحساسٌ غريبٌ؛ لقد جلعتني العبارة التي قالها خالي للتو أن أشعر بثقلٍ لم أشعر به من قبل،

وحتى إن كنت سمعت هذه العبارة مرارًا وتكرارًا، إلا أن هذه المرة تختلف عما سبقها، حتى خالي نفسه لقد قالها هذه المرة غير كل المرات الماضية، رغم أنه كان متيقنًا أن سيأتي اليوم الذي سأكون فيه أمله الذي يتمناه، لكنه لم يكن يتصور أن يكون الأمر كذلك، هذا ما قرأته في عينيه حين نظرت فيهما.

إنني أشعر بأن مستقبل عالم بحاله فوق أكتافي، أشعر أنني أحمل على عاتقي حياة أرواح لا حصر لها.

في هذه اللحظة خصيصًا فهمت العبارة التي محتواها «على حافة الموت» .. نعم! لقد تعمقت في مغزاها، إنها عبارة ثقيلة كثقل عبارة «أنت مستقبل العالم السفلي».

لم أكن أعرف ماذا أقول لهم، لا زال الكل في ترقب منتظرين إجابتي، فأردف خالي بعد لحظاتٍ من الصمت:

- ما تشعر به الآن هو نفس شعوري يا «آدم».

فبات الكل يظهر على ملامحه ذلك الاستياء الذي اعترانا جميعًا، بالفعل الحديث عن شيءٍ ما مختلف تمامًا عن الشروع في تنفيذه.

ثم قررت أخيرًا أن أكسر صمتي بقولي:

- سنخرج بإذن الله إلى عالم به شمس.

ثم حدث شيءٌ غريبٌ، شيءٌ جعلنا نتحرك من

أماكننا رغم إرادتنا، شيءٌ لم يحدث من قبل بهذا الشكل، وإن حدث فالبكاد نشعر به، شيءٌ يشبه الهزّة الأرضية؛ لقد اختل توازننا، لقد رأينا نترات من التراب الذي يكسو سقف أرضنا يتهاوى أرضًا!

في العادي كان يحدث هذا، وهذا بسبب أننا نعيش تحت عالمهم الذي يفعلون به ما يحلو لهم، كنا نتخيل بأن مركبةً من مركباتهم الضخمة اصطدمت بشيءٍ فقُلبت مما نتج عن ذلك هزة طفيفة تكون سببًا في تساقط التراب من فوقنا، لكن لم يحدث من قبل أن يختل توازنا لقد كانت هزة عنيفة!

نظر كلٌ منّا للآخر، فاستطردت:

- وسنخرج من عالم قد يتهاوى علينا.

لقد استغللت الفرصة استخدمت تلك الهزة في صالح الشيء الذي أريده، لقد اختلقت مما حدث للتو حماسًا يحفزنا لنخرج من عالم بلا شمس إلى عالمنا الحقيقي.

***

انتصف الليل وذهب كل شخص منا إلى مسكنه، وخالي فقط اصطفى مكتبته لتكون المكان الذي يبيت فيه هذه الليلة، لقد شرع يقرأ في كتبه العلمية والتاريخية؛ لعله يحصل على معلومة قد تفيده فيما هو قادم.

أما أنا فأخرجت جهاز الحاسوب خاصتي، وعملت

لبعض الوقت جاهدًا في برامجي وأنظمة اختراقي. أجهز كل شيءٍ لكي أكون على أتم الاستعداد إلى المهمة القادمة، المهمة الأخطر على الإطلاق.

مهدت برامجي للاختراق؛ وذلك لكسب الوقت حين يكون ذلك الشيء على قيد التنفيذ؛ لأن الأمر يتطلب سرعة وعدم الخطأ بتاتًا، بات نظام الهاكر الخاص بي جاهزًا لكل شيءٍ من اختراق كاميرات المراقبة لتعطيلها، أو اختراق بعضٍ من أجهزتهم لفعل شيءٍ مثل الإلهاء لهم؛ لكي أقلل من عدد الحراس الذين سنكون بمواجهتهم، فيسهل علينا التربص والتخفي، أو حتى تعطيل طاقتهم الكهربائية.

كما أنني استطعت أن أحصل على رسمٍ بياني لمدينتهم وما تحتويها من مبانٍ، وشوارع، وأزقة؛ لنحفظ المداخل والمخارج مما يسهل علينا الدخول والخروج بسرعة دون أن يلاحظنا أحدهم، وهذا أيضًا يساعدنا في أن ندخل المبنى موضع بحثنا ونحن على علمٍ بكل ركنٍ فيه.

وبعد أن انتهيت من هذا فتحت مذكراتي وشرعت أكتب كعادتي، أدوّن كل شيءٍ حدث ولم أكتبه منذ آخر مرة كتبت فيها، شاملًا في كتاباتي أملي الذي لم يتحقق بعد، لكني كُلي رجاء في أن أحقق هذه الأمنية؛ لكي أستحق لقب «مستقبل العالم السفلي» أو «الصاعد الثامن» أو حتى لقب «الصاعد المجنون» الذي أنا بصدده الآن، لكني أحبذ لقب

«العائد» الذي سأختلقه لنفسي بعد أن يزول ذلك الخوف الذي يتمكلنا جميعًا، ونصبح سكان العالم العلوي.

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، حين كنت جاهزًا للنوم سمعت صوتًا غريبًا بالأعلى أي بالعالم العلوي، كان صوتًا واضحًا أعلاي رغم أنه كان صوتًا طفيفًا، لكني جاهل تحديد جهته بالدقة، كان صوتًا أشبه بمطرقةٍ تطرق على سقفي أو على أرضيتهم .. طرقات خفيفة، ثم بعد دقائق تغير الصوت ليتحول لصوتٍ أشبه بذلك الصوت الذي يخرج من جهاز تنقيبٍ، كأن أحدهم ينقب ليخلق فجوة للنزول إلى هنا!!

لقد أثار هذا مخاوفي، وشرعت أفكر في ذلك الروبوت الذي يُدعى «شهاب» ذاك الذي رآني عند السُلم، ثم أخذت كعادتي في الهاجس الذي يخبرني بأنهم علموا بأمرنا، وينقبون لكي يصلوا لنا ويقتلوننا.

لكن ينقطع ذلك الهاجس حين يأتي خالي ويخبرني:

- لا يمضي عشرة أيام متتالية إلا وسمعنا هذا الطرق فوقنا.

لأجيبه في كل مرة:

- هذا يحدث منذ عشرة أعوام ولا زلت أجهل مصدر ذلك الصوت.

لكن هذه المرة قال لي:

- لماذا تحمل نفسك جهل عشرة أعوام، وأنت لم تصبح الصاعد سوى من خمسة أعوامٍ فقط؟

فأخبرته:

- تقول هذا كأنه لم يكن هناك صاعدٌ قبلي.

صمت لحظة ثم أردفت:

- الأمر يتعلق بوجود الصاعد الذي يظل جاهلًا لأمرٍ ما عليه أن يعلمه، سواء كنت أنا أو غيري.

فرد خالي قائلًا:

- لم تتخطَ سوى نصف المدة المحددة لكَ، لا زال أمامك عشرة أعوامٍ أخرى، حاول فيهم أن تعلم بأي شيءٍ عليك ألا تجهله، وحينها ستكون أفضَل مَن سبقك في معرفة مصدر ذلك الصوت الطارق.

فقلت له:

- حينها سأكون حصلت على فرصةٍ لم يحصل عليها الصاعد السابق؛ لأن حينها كان عليه أن يعلم بهذا الصوت في خمسة أعوامٍ فقط، أما أنا أمامي عشرة أعوام. هل هذا تراه أفضلية لي؟

فابتسم، وقال لي:

- لا تنسى بأنك أول صاعد فَكّر في العودة، بل في التنفيذ في خطة العودة ألن يكفيك هذا؟

رُسِمَت على وجهي ابتسامةٌ تدل على الامتنان

لذلك الرجل الذي رباني بعد وفاة والديّ منذ خمسة أعوامٍ، ثم قلت له:

- هناك شيءٌ يجب أن أخبرك به.

نظر نحوي منعقد الحاجبين وسألني في توجس:

- ما هذا الشيء؟

فشرعت أخبره بخوفي وتوجسي من شكي بأن يكون ذلك المدعو «شهاب» رآني وتمكن من قراءتي، ثم سردت له قصة مفكك الأجزاء «سامر» تابعًا لذلك ذكري لسيرة عدوهم الجديد المدعو نوح.

فانعقد حاجباه أكثر وسألني في اندهاشٍ:

- «نوح»؟! كيف؟!

أجبته:

- هذا ما أفكر به بالضبط .. كيف «نوح»؟ إنهم لا يختارون هذه الأسماء، وهذا يجعلني أستنتج أنه بشري، ولكن حين رأيت «سامر» يفكك أجزاء أحدهم ويخبرهم أنه تابعٌ ل «نوح»؛ فعلمت أن أتباعه روبوتات، وهذا يجعلني أتراجع عن تفكيري بأنه بشري؛ لأن من غيْر المنطقي اتحاد بشري مع روبوت.

فقال لي خالي في حيرة:

- ربما اختار أحدهم هذا الاسم لإعجابه به، ولكن السؤال هنا لماذا يفعل «نوح» هذا؟

ظللنا في حيرتنا نفكر ثم شعرنا بالإرهاق؛ فذهب كل واحد منا إلى حجرته ليأخذ قسطًا من الراحة، ليستعد لبدء التنفيذ في الخطة.

***

كانت الساعة العاشرة صباحًا، حين اجتمع الجميع في مسكننا «وحيد»، و«ماجد»، و«دينا»، و«خالي»، وأنا.

وبدأ «وحيد» الحديث بسؤاله:

- ماذا ستكون الخطة؟

أجابه خالي:

- بناءً على كلام «آدم» أمس، سيذهب فريقٌ إلى الأعلى، وآخر إلى مدينة المعترضين.

سأل «ماجد» في اهتمامٍ:

- مَن سيذهب إلى المدينة؟

نظرت للجميع وقلت مُجيبًا على سؤال «ماجد»:

- بطبيعة الحال سيذهب خالي إلى مدينة أيوب ومعه شخصٌ آخر، هذا الشخص سيكون» وحيد» أو «ماجد»، والآخر سيذهب معي للأعلى.

فقالت «دينا» في لهفةٍ:

- سأذهب معكم.

نظر إليها الجميع تلك النظرة التي تشير إلى

الرفض لخوفنا عليها، فقال لها خطيبها:

- ماذا تقولين؟

فأجابته:

- لن أدعك تذهب إلى مكانٍ بدوني.

نظر «ماجد» إلينا جميعًا، وقال موجهًا كلامه لنا:

- لا تقعا في نفس خطأي وتفكرا أن ترتبطا.

فنغزته «دينا» في جنبه، ثم أردف:

- على ما يبدو سأذهب أنا مع الخال إلى «أيوب»، كما أنه دور وحيد في الصعود.

أصبح كلٌ منا عالمًا إلى أين سيذهب، وهكذا اقتسمنا إلى فريقين؛ فريقٌ: إلى الأعلى يتكون من شخصين، وفريقٌ: آخر إلى الغرب «مدينة المعترضين» يتكون من ثلاثة أشخاص.

فتحدثت إليهم:

- فلنتأهب جميعًا.

توحيد الصفوف

اتجه خالي ومن معه نحو الغرب إلى مدينة المعترضين حيث زعيمهم «أيوب»، وصلوا عند حدود مدينتهم وتوقفوا لبرهةٍ ليستطلعوا المدينة قبل دخولها، كانت تشبه مدينتهم إلى حدٍ كبيرٍ، ذات التقدم والرقي ذات المباني وإن كان هناك اختلاف فهو اختلاف لا يُذكر.

ثم دخلوا المدينة ورأوا أيضًا ما يكون في الخفاء بالداخل؛ أماكن القُمامة التي تكون عبارة عن حفرٍ كبيرة بالأرض، يوجد كذلك الفقراء والمشردون الذين يوجد شبههم في مدينة المحافظين.

تعجبوا مما رأوه بالمدينة؛ لقد توقعوا أن يروا أسوء من ذلك، اندهشوا حين وجدوا المَدينة لا تختلف كثيرًا عن مدينتهم في الشمال.

كان وراء ذلك الاندهاش بسبب توقعهم أن يجدوا المدينة في حالٍ ميؤس منه؛ بسبب انقطاع الأخيرة من المعاملات التي كانت، فلم يعودوا يمدون مدينتهم بالكهرباء والهواء وكل شيء يوجد في مدينة المحافظين.

أخذوا يتساءلون فيما بينهم من أين كل هذا التقدم والمحاكاة؟ ثم تقدموا للولوج لداخل المدينة حتى رآهم أحدهم في أحد الشوارع، يبدو أنه من حراس المدينة، فاستوقفهم وسألهم:

- من أنتم؟

فأجابه «فهمي» في هدوءٍ:

- نحن من مدينة الشمال؟

انعقد حاجبا الحارس، وسأل في عصبيةٍ:

- مدينة المحافظين؟

أجاب «ماجد»:

- نعم، هل هذا يضايقك؟

فنغزته «دينا» كالعادة، تُصلح ما يتفوه به من حمقٍ، فقالت للحارس رافعةً يديها قليلًا، باسطة إياهما:

- لقد أتينا في سلام.

تحدث الحارس في عصبيةٍ أشد، وسأل:

- لماذا أتيتم من الأساس؟

فأجابه «فهمي» في جدية:

- نريد فقط أن نقابل زعيمكم.

رد الحارس:

- القائد «أيوب» لا يقابل متشردين.

فتبادل كلٌ منهم النظرات، ثم قال «ماجد»:

- هل نبدو لك كذلك؟ أم أن نظرك ضعيف؟

فنظر إليه «فهمي» نظرةً حادةً ليسكته، فخرس

«ماجد» تمامًا، فتحدث الأول:

- وإن كنا متشردين كما تقول نريد العطف من قائدكم «أيوب» أليس هو قائد الغني والفقير؟

نظر إليه الحارس مضيقًا عينيه، ثم قال في استنكارٍ:

- ولكن هو قائد مدينتي المعترضين والمتهورين فقط.

فتابع «فهمي» متحايلًا:

- ألن تقبلوا بإضافة إلى مدينتيكم؟ لربما جئنا بفائدةٍ لكم.

أومأ الحارس وهو يهز رأسه، وقال:

- ستنتظرون حين أخبر القائد بمجيئكم.

ثم ذهب بهم إلى أحد الشوارع القريبة من مسكن قائدهم.

بعد مرور ساعتين من الانتظار يتبادلون الجلوس والوقوف كالمتشردين فعلًا في أحد شوارع المدينة، يرون من حينٍ لآخر حارسين أو ثلاثة يأتون ويقفون على مسافةٍ بعيدة عنهم يترقبونهم على مدار ساعتين، حتى شعروا في نهاية هذه المهزلة بأن هؤلاء الحراس يحاصرونهم حتى أثار ذلك قلقهم، رأوا الحارس الذي استوقفهم ولكن ليس بمفرده، لقد أتى بثلاثة حراس آخرين.

ثم بدأ القلق يظهر على وجه «دينا»، فتساءلت:

- هذا لا يبشر بخير.

حاول «فهمي» أن يطمئنها، فقال لها:

- من الطبيعي أن يعود بمثل هذا العدد في موقفٍ مثل هذا الموقف اطمئني، لقد أتوا ليذهبوا بنا إلى زعيمهم.

فقال «ماجد» في سخريةٍ:

- إنها كانت تنتظر أن يأتي «أيوب» بنفسه لنا.

فردت متهكمةً:

- وذلك الحصار .. هل هذا طبيعي أيضًا؟

لم يبلثوا أن ينهوا حوارهم حتى وجدوا كل الحراس بما فيهم مَن أتى يراقب من بعيدٍ يقتربون إليهم؛ فأطبقوا عليهم جميعًا شاهرين أسلحتهم البيضاء (فؤوس) نحوهم، حتى قال الحارس الكبير الذي استوقفهم وهو يأمر باقي الحراس:

- اقبضوا عليهم.

***

أحضر «وحيد» مركبته تلك المركبة التي نحتفظ بها وبمثلها من وسائل النقل الخفيفة القديمة التي ما زالت تعمل بالبنزين، حيث لا يوجد لدينا سيارات ثقيلة، وإن وجدت فلا يوجد بنزين كافٍ لها، فبالكاد يتدبره لنا المسئولون لتلك المركبة لمهماتنا بالأعلى.

كافة مركبات العالم العلوي تعمل بالكهرباء أو الطاقة الشمسية، وبما أننا نعيش في عالمٍ بلا شمس، فهكذا يكون حالنا.

ركبنا المركبة وصعدنا عبر ذلك النفق الممتد للأعلى بارتفاعٍ خفيفٍ حتى أننا بالكاد نشعر أننا نصعد للأعلى، ثم منه إلى السُلم ثم إلى الطريق الآخر ومنه إلى غطاء الفجوة.

وصلنا للأعلى ودخلنا إلى المدينة، ثم سألني:

- من أين سنبدأ؟

شرعت أنظر حولي تائهًا شاردًا، لا أعرف وجهتي، فقلت له:

- لا أعرف يا «وحيد»، أصعب نقطة هي نقطة البداية مثل أول صفحة للكاتب.

نظر لي باحتقارٍ، وحدثني:

- لا وقت لفلسفتك الآن.

فبادلته النظرة لكنها أشد احتقارًا، فلاحظ لك وأردف بسؤاله:

- ما بك؟

فقلت له:

- لا أعرف لماذا لا أتقبلك بهذا الشارب؟

قاطع سخريتي وقال:

- أحلقه أو أترك لحيتي؛ إنني عالمٌ بذلك جيدًا.

ثم صمتنا، لنفكر بنقطة بداية بحثنا على ذلك الكتاب، فقال «وحيد»:

- ألم نذهب إلى المكان الذي رأيتَ فيه الكتاب على شاشة عرضهم.

أجبته في حيرةٍ:

- لا أعرف ما إذا كان علينا أن نبحث في ذلك المكان، أم من المفترض أن يكون في مكانٍ أكثر خفاءً.

صمتَ ولم يرد، فأردفت:

- لكننا لا نمتلك نقطة بداية غير هذا المبنى.

وصلنا أمام المبنى المقصود، وأخرجت حاسوبي من حقيبتي ودخلت على أنظمة الاختراق وعطلت الكاميرات، ولم يبقَ أمامنا سوى حراس المبنى وهم أصعب ما في الأمر، لقد كنت أخترق الحراس بطريقةٍ أو بأخرى حين كنت بمفردي، لكن هذه المرة تبدو أصعب لأن الأمر يتطلب عبور ممر الحراسة بدخول شخصين،

وثبت أفكر كيف أفعلها، ولم يكف وحيد بجواري وهو يسألني ماذا أنوي أن أفعل؟

استغرق الأمر بضع دقائق حتى وجدتها؛ توجهت نحو الحراس حاملًا على كتفي وحيد، كان ملقى كالجثة، ثم استوقفوني فقلت لهم في لهفةٍ ولهجةٍ

سريعةٍ:

- إنه به عطل في شبكته المعلوماتية المتصلة بمخه، ولا بد أن أذهب به إلى غرفة العمليات بالأعلى.

وفي الحال سمحوا لي بالعبور، وهذه المرة قصدت الأسانسير حيث كنت أقصده في بعض مرات صعودي بالأعلى حين يكون فارغًا.

وجدته فارغًا فدخلته وأنا ما زلت حاملًا صديقي، ولم يكن الأمر صعبًا لأن بنيتي البدنية تساعدني في ذلك بالإضافة إلى قُصر قامة «وحيد».

أغلقت باب الأسانسير وأوقفت صديقي على قدميه وفتح عينيه؛ فأشار لي يتساءل في حيرة، فقلت له:

- تحدث الكاميرات معطلة.

فتحدث متسائلًا:

- كيف فعلتَ ذلك؟

أجبته:

- هذا من نتاج خبرتي كصاعد هل كنتَ تعتقد أن صعودي إلى هنا منذ خمسة أعوام يمر مرور الكرام؟

ثم نظر حوله وما زال يسأل في حيرة:

- لم أسالك كيف تعطل الكاميرات؛ لأن هذا هو عملك كالرسم الذي هو عملي، ولكن كيف تعطلها

لوقتٍ كافٍ لمهماتك؟

ابتسمت له ابتسامةً مختلطةً بفخرٍ وقلت له:

- لم أكن أقصد بتعطيلها بأن يتم محو الرؤية لمَن هم يعملون عليها كالطريقة القديمة، ولكن أعطلها بالطريقة المحترفة وهو أن أثبّت الرؤية على اللحظة الأخيرة قبل دخولنا، وتظل هذه الرؤية لهم كأن كل شيءٍ يرونه هو ما يحدث بالفعل، بمعنى آخر يتم خداعهم بصريًا.

فسألني متذاكيًا:

- أليس من المفترض أن يعلموا بذلك لكونهم عبارة عن برمجيات وشبكات معلوماتية تتصل بمخهم؛ لكي يرصدوا ويعلموا أي شيء؟

ضيقت عيني وأجبته عن اقتناعٍ:

- ولكن يبقى الإنسان هو مَن اخترع كل هذا؟ أليس من المفترض أن يطغوا ذكاء الإنسان على الذكاء الاصطناعي؟

بدا لي أنه اقتنع بقولي هذا، فأومأ بالفهم ثم أردفت:

- لقد دخلنا الأسانسير لنتجنب جذب انتباه الحراس لنا، ولكن عليك أن تنزل مرة أخرى وتبحث في الطوابق السفلية؛ هم لم يروا وجهك فلن يتعرفوا عليك، أما أنا سأصعد إلى الطوابق العليا لتكون موضع بحثي.

افترقنا وذهبت إلى ذات الطابق الخاص بعملياتهم القذرة، ثم تذكرت «شهاب» الذي رآني أمس، ولا زلت غير متيقنٍ من عدم تعرفه علَيَّ، ولا أريد أن أثير الريبة لرؤيته لي مرة أخرى في وقتٍ قصيرٍ؛ فقررت أن أغير اتجاهي وأصعد إلى الطوابق العليا، ثم أتى لي تفكيرٌ يجعلني أتساءل ماذا يوجد في أعلى طابق من هذا المبنى؟

وصلت إلى الطابق الثاني والعشرين الذي هو الطابق الأخير ثم السطح، بطبيعة الحال كنت أتوقع أن أرى ذات الممر الذي يتواجد في أي طابق من الطوابق السابقة، الذي يوجد على جانبيه أبواب لغرفٍ عديدة، ولكن ما رأيته أمام عيني ما لم أكن أتوقعه أبدًا؛ لقد رأيت أمامي ثلاثة ممرات كبيرة، وكل ممر يتفرع منه ثلاثة ممرات أصغر لكل منهم أربع غرف، بمعنى أدق إنني أمام ستة وثلاثين غرفة.

***

إنهم في حجرة مظلمة ومغلقة من الخارج لا يعرفون ما ينتظرهم! فدب القلق في قلوبهم لقد مضى على هذا الحال أكثر من خمسة ساعاتٍ، لا أحد يأتي إليهم، لا أحد يجيب ندءاهم حتى سألت «دينا» في نفسها لكن بصوت مسموع:

- لماذا أتيت معكم؟

فأجابها «ماجد» في غيظٍ مكتومٍ:

- أنتن هكذا لا تتقبلن فكرة عدم إشراككن في مهمةٍ صعبة، وحين يتم ذلك بالفعل تتذمرن أننا قبلنا اعتراضكن.

ثم تحدث «فهمي» في غضبٍ متراكم:

- ألن تصمتا لحظة واحدة؟

صمتَ الجميع ولكن ليس تلبيةً لكلام «فهمي»، بل لسماعهم صوت صرير الباب، حيث دخل إليهم ذلك الحارس الذي أمر بالقبض عليهم ومعه حارس آخر، وكان في وسطهم شخصٌ آخر يبدو أنه في أواخر العقد الثاني من عمره، أبيض البشرة، طويل القامة، معتدل البنية، ذو شعر قصير، ولحية كثيفة، يرتدي بنطالًا يحمل أنواعًا عديدة من الأسلحة، إنه بنطالٌ مليء بالفتحات التي يُدَس فيها السلاح، وأيضًا لديه ذراعان طويلان يحمل كلٌ منهما سلاحًا أشبه بالسيف، لكنه سيفٌ أكثر جمالًا ورونقًا وحدة، ليس بطول السيف الاعتيادي الذي يعلم به الجميع حين كان يستخدمه العالم القديم جدًا، لكنه كان بطول معصمه فقط مدسوسًا بطريقةٍ عجيبةٍ خلف الذراع فلا يراه مَن يقف أمامه؛ إنه سلاح أكثر تطورًا فيضغط على زرٍ موجود في بطن كفه متصل بالسلاح بطريقةٍ ما، حتى يخرجا السيفان من خلف ذراعيه في أقصى سرعة ويظلا مثبتين في ذراعي هذا الشخص.

هذا ما استعرضه أمامهم حتى يبث الخوف في

قلوبهم، فتحدث «فهمي» بعد أن نهض من مكانه:

- ظننت أنني لن أرى ذلك إلا في الأفلام يا «أيوب».

تبادل «ماجد» و«دينا» الاندهاش حين علما أنهما أمام قائد هذه المدينة .. «أيوب»، لم يستوعبا ذلك إلا حين تحدث الأخير مجيبًا:

- هل أنت مَن تقول ذلك يا «فهمي»؟ إنكم أساس التقدم في عالمنا هذا.

فرد «فهمي» في غيظٍ:

- إنه التقدم الذي قاطعته منذ أكثر من عشرة أعوامٍ، ومع ذلك إنني أرى تقدمًا شبيهًا له في مدينتك.

قالها وهو ينظر حوله، فأجابه متحايلًا:

- أرى أنك تتساءل كيف لنا من التقدم هذا رغم أننا قاطعنا كل شيء يأتي منكم؟

صمتَ «فهمي» وأحاد نظره عنه لا يبالي أو يحاول أن يكون ذلك، ثم أكمل «أيوب» حديثه بسؤالٍ سأله في صرامةٍ وشدةٍ، وبصوتٍ حادٍ:

- لماذا أتيتم إلى مدينتنا؟

أجاب «ماجد» في اشمئزازٍ منه:

- إننا أتينا إلى هنا لطلب مساعدة.

انعقد حاجبا «أيوب» وتساءل في صوتٍ أكثر هدوءًا:

- مساعدتي؟!

حاولت «دينا» أن تصحح ما فهمه بقولها:

- تحديدًا مساعدة مدينتك.

فجحظت عينا «أيوب» مندهشًا، وتساءل بنفس الطريقة:

- مدينتي؟!

فأكمل «ماجد»:

- بل مدينتاك.

ظل الاندهاش مرسومًا على وجه «أيوب» مخلوطًا بقليلٍ من السخرية، فتحدث موجهًا بصره نحو «فهمي»:

- إنكم تثيرون فضولي.

فتحدث «فهمي» قائلًا:

- إننا جئنا في سلامٍ، ولا نريد سواه.

ظهرت على ملامح «أيوب» الغضب الصارم، وقال في حدةٍ:

- إنكم كاذبون، قولوا لي ماذا تريدون؟ وإلا ..

قاطعه «فهمي» بصوتٍ أكثر ارتفاعًا:

- إننا نريد توحيد صفوف العالم السفلي.

صمت «أيوب» حين سمع تلك العبارة وتحولت

ملامحه لتكون أكثر ليونةً مختلطة بالسخرية.

ثم سمع كل مَن في الحجرة صوتًا صادرًا من جهازٍ صغير، بالتحديد إنه صوت شريحة الاتصالات الخاصة ب «فهمي»؛ فأثار ذلك انتباه «أيوب» وقال في ابتسامةٍ ماكرةٍ:

- شريحة الاتصالات .. ممم

ثم أمر الحارسان بإحضار كل شرائح اتصالهم، فنفذ الحارسان ذلك، وأمسك أيوب الشريحة الخاصة ب «فهمي» وأمره بأن يفتح بصمتها فرفض، فغضب «أيوب» وقال له:

- افتحه أو قتلت هذه الفتاة.

ثم أشهر أحد سيفيه واقترب نحو «دينا» وأمسك بعنقها، فنفذ «فهمي» ذلك خوفًا على «دينا»، ثم تفقد «أيوب» تلك الشريحة فوجد رسالة، رسالة كانت محتواها: «إلى أي مدى وصلتم؟».

ثم قرأ اسم الراسل فوجد اسمًا يبدو مألوفًا له .. لقد وجد اسم «آدم».

***

استوقفتني الدهشة لبضع دقائق أنظر إلى ملامح هذا الطابق، أتعجب من هندسيته إنني أشعر أمام متاهة لا بداية لها ولا نهاية، وبطبيعة ما أراه أمامي فكرت أنهم لن يحتفظوا بكتابٍ ثمينٍ مثل هذا سوى في مثل هذا المكان، لكن المشكلة هي لا أملك

الوقت الكافي لكي أبحث في كل هذا العدد من الحجرات، لا بد وأن أستعمل ذكائي، يجب أن أعيد ترتيب أفكاري حتى أجد الطريقة التي بها أتوقع في أي حجرة قد يكون ذلك الكتاب.

ظللت على هذا الحال ورأسي تزدحم بالأفكار والتكهنات، أين قد يكون ذلك الكتاب؟ ثم أنظر إلى طريقة بناء هذا الطابق؛ لعل يكون مبني بطريقةٍ ما تدل على رسمة معينة أو شكل معين فتكون هناك نقطة تقاطع ما أو مركز تتلاقى فيه جميع الحجرات، لكن للأسف لا أستطيع الأمر يتطلب مهندسًا معماريًا أو شخصًا ذا خيالٍ خصبٍ.

تنهدت الصعداء مستسلمًا ثم أخرجت شريحة اتصالاتي؛ لأرسل رسالةً إلى خالي لأني حتى الآن لا أعرف عنهم أي شيءٍ، كان فحوى الرسالة: «إلى أي مدى وصلتم؟».

أرسلت الرسالة ولكن مضت دقيقتان ولم تأتني أي رسالة منه، ثم سمعت ضوضاء تأتي من ناحية السُلم، فأرسلت سريعًا رسالةً أخرى أقول له فيها: «أكمل النقاش مع «وحيد» .. مشغول الآن».

اختلست النظر أعلى السُلم فوجدت أربعة روبوتات يصعدون نحوي، أعرف اثنين منهم أحدهما ذلك القصير أملس الوجه الذي يُدعى «وسام» ذلك الذي رأيته هو و«سامر» في الطريق حين كان الأخير يفكك الأجزاء، أما الآخر إنها الحرباء «ريتاج»،

تواريت سريعًا عن أنظارهم واستأنفت تمثيلي لأسلوبهم وطريقتهم؛ فحين يلمحونني يحسبونني روبوتًا صعدت قبلهم لأتفقد الطابق؛ آملًا ألا تكون «ريتاج» لمحتني المرة السابقة وفي نفس الوقت حامدًا لربي أن ليس معهم «شهاب»؛ لأن هذا مَن رآني بالفعل.

توجهت نحو الممر الأوسط؛ لقد اخترته لأن وضعتُ نفسي بدلًا عنهم حينما أمتلك شيئًا ثمينًا ولا أريد أحدًا يعرف عنه شيئًا فأضعه في المركز .. أي مركز، لا أقصد مركزًا بعنيه لكنني أقصد المكان الذي يتوسط جميع الأماكن من حوله.

المشكلة هو أنني وضعت نفسي بدلًا عن البشر، وهؤلاء ليسوا ببشرٍ، ولا أعرف بعد كيف يفكرون؛ ولهذا يجب أن أجد هذا الكتاب بأي طريقةٍ.

وبطريقة تفكيري اخترت الممر الأوسط من الثلاث الممرات الأصغر المتفرعين من الممر الرئيس؛ اخترته بذات الطريقة لأنه المركز.

لقد ضاقت مساحة بحثي، إنني أمام أربعة غرفٍ فقط بدلًا من ستة وثلاثين غرفة، ولكن هناك مشكلة أخرى هذا عدد زوجي لا وسط بينهم لأختاره، لا غرفة وسطى لكي أقول ها هي غرفة بحثي؛ فتوقفت برهةً من الوقت لأفكر كيف سأختار من بين أربعة غرف، كان ذلك الوقت الذي وصل فيه الأربعة روبوتات إلى أول طريق الممرات، فتواريت

منهم واختلست النظر فوجدت واحدًا منهم اتجه نحو الممر الأول، وآخر اتجه نحو الممر الثالث، أما الاثنان الآخران فقد اتجها نحو المنتصف حيث اتجاهي!! شرعوا يسيرون في الممر الأوسط، كان الاثنان أحدهما الحرباء «ريتاج».

علَيّ أن أختار غرفة من الأربعة سريعًا، لم أكن أعرف أختار أي غرفة ولكن سرعان ما تذكرت إنه يوجد ثلاثة ممرات، ولكل ممر يتفرع منه ثلاثة ممرات صغيرة، فاستدركت أن علَيَّ أن أختار الغرفة الثالثة مستخدمًا في ذلك الترتيب الخاص بهم.

مددت يدي نحو قفل الغرفة الموجود بجوار بابها في الحائط، إنه ذات القفل الموجود بجوار كل غرفةٍ دخلتها بالعالم العلوي، لكنني اكتشفت أنه مغلقٌ. يا لي من غبي!! من الطبيعي أن يكون مغلقًا إذا كانت الغرف التي تعتبر عادية كانت مغلقة بشيفراتهم، ما بالي من غرفة موجودة في مثل هذا الطابق بالأدق في مثل هذه الممرات تفصيليًا يتواجد فيه أثمن كتاب على وجه الكرة الأرضية، بل لا بد وأن يكون مغلقًا بشيفرة أو بصمة ما مختلفة عن أي شيفرة اخترقتها سابقًا، لكن المشكلة هي دائمًا في الوقت، لا أملك الوقت الكافي لإخراج حاسوبي، وفتح أنظمة البرمجة، ومحاولتي لاختراق هذه البصمة التي ستكون أصعب مما كانت عليه أي بصمة قبل ذلك.

ازداد معدل الأدرينالين في دمي، وطفح التوتر

على جسدي، وتدفق الدم إلى رأسي، وتورمت عروقي؛ إنهم يقتربون وما زلت لا أعرف ماذا أفعل؟ ولا وجود لمكانٍ آخر أتوارى فيه حين يغادرون، إنني أمام ممرٍ مسدودٍ به أربعة غرف، ولا يصلح أبدًا أن أعود أدراجي سيرونني، وإذا وثبت مكاني سيكتشفونني، وإذا كسرت الباب لأدخل سيمسكونني ليؤدوا بي إلى مفكك الأجزاء هذا الذي يدعى «سامر».

ضاق صدري فلا يستطيع أن يأخذ كمًا كافيًا من الأكسجين، لقد تضاربت أنفاسي إنها أصعب لحظة أعيشها الآن، لقد خفت .. خفت جدًا .. خفت من أعماقي؛ إنها أول مرة أخاف فيها إلى هذا الحد، بل إنها أول مرة أخاف فيها من الأساس .. إنهم يقتربون .. ويقتربون إنني وصلت لأقصى درجة من الرعب كان رعبًا حقيقيًا.

***

ما زال «أيوب» ممسكًا بشريحة اتصالات «فهمي» بعد أن أرسل رسالةً إلى «وحيد» بناءً على كلام «آدم» في رسالته، في انتظار رسالة «وحيد»، كان فحوى الرسالة: «إلى أي مدى وصلتم؟».

لقد أرسل نفس الرسالة التي أرسلها «آدم»، لكن هذه المرة موجهة إلى «وحيد» من قبل «أيوب»، ثم بعد ثوانٍ ارتفع صوت الشريحة الزجاجية، فاستقبل «أيوب» الرسالة كان «وحيد» يقول فيها: «لقد

افترقنا؛ لنبحث عن الكتاب في مكانين مختلفين في نفس الوقت».

ولا يلبث أن يقرأ «أيوب» هذه الرسالة ويسأل «فهمي»:

- ما هذا الكتاب؟

فلم يجبه «فهمي»، كان يريد أن يظل موضوع الكتاب سرًا لمدينة المحافظين؛ لتكون متقدمة عن غيرهم بخطوة من خلال هذه المعلومة.

ثم استطرد «أيوب»:

- لا عليك سأعرف بطريقتي، والآن أمام عينيك.

عاد ينظر للشريحة الزجاجية، وأرسل رسالة إلى «وحيد» كان فحواها: «لقد وافق «أيوب» على توحيد الصفوف، لا بد وأن تعثرا على الكتاب».

وبعد ثوانٍ استقبل بدوره رسالة من «وحيد» يقول فيها:

«إنه لخبر مفرح، سنبذل قصارى جهدنا لنعثر على الكتاب الذي يجعلنا نهزم العالم العلوي».

لقد علم «أيوب» بأمر الكتاب بطريقته الماكرة، فاقترب نحو «فهمي» وقال والفخر بالانتصار يعلو جبهته:

- دائمًا تكونون مصدر كل شيء في العالم السفلي، كل شيء يمر من خلالكم أولًا، ولكن هذا كان في

أيام مَن سبقوني. الوضع سيتغير حتمًا بوجودي، لقد علمتم بوجود كتاب يجعلكم تهزمون العالم العلوي، لكنني أنا مَن سأحصل على هذا الكتاب حتى إن وجدتموه.

تحدث «فهمي» في غيظٍ متكومٍ وهو متوتر تتهاوى أفكاره:

- أنت لا تفهم شيئًا.

فأجاب «أيوب» بذات الكبرياء:

- تشنون حربًا على العالم العلوي وتقول لي إني لا أفهم شيئًا؟

ثم صمتَ لحظة وأردف:

- ورغم كل ذلك إلا أن كل آذاني صاغية، اجعلني أفهم.

رد «فهمي»:

- إننا نريد توحيد صفوف العالم السفلي، لكي نكون قوة واحدة متحدة أمامهم ليتجنبوا هم بدورهم الحرب معنا.

دوت ضحكة عالية ساخرة من «أيوب»، ثم قال مستهزئًا:

- يتجنبون هم بدورهم الحرب معنا؟ إنهم أسرع منا لا نستطيع أن نفعل شيئًا أمامهم حتى إن اتحدت عوالم أخرى كثيرة معنا من البشر وأنت خير

مَن عالِم بذلك.

فأجاب «فهمي»:

- هذا بدون الكتاب.

استوقف «أيوب» طريقته المستهزئة، وانقعد حاجباه ثم سأل في هدوءٍ:

- ما فحوى هذا الكتاب؟ ماذا يوجد في الكتاب يجعل البشر يهزمون الروبوتات؟

استغرق «فهمي» لحظات من السكوت ثم أجاب:

- لا نعرف بعد.

عدَل «أيوب» من وقفته، ووثب غاضبًا، وقال:

- أتعرفون أنكم بلا قيمة الآن بالنسبة لي؟ بِت أعلم بكل شيءٍ ولا أتردد لحظة واحدة إن أمرت بقتلكم جميعًا؛ ولهذا عليكم أن تساعدوا أنفسكم وتسلموا لي هذا الكتاب.

احتقن وجه «فهمي»، وظهر عليه الغضب، فقال بصوتٍ حادٍ جدًا:

- أنت تدمر كل شيءٍ بغبائك.

فأجابه في لهفةٍ:

- الأغبياء مَن يختارون الحرب.

فقال «فهمي» في حدةٍ مخلوطةٍ بتوترٍ:

- لا نريد حربًا ليس هذه نيتنا، إننا نريد فقط أن

نظهر لهم أننا متحدون، وبوجود الكتاب نستطيع أن نهزمهم بدون حرب، وبدون سفك دم شخص واحد منا.

تدخل «ماجد» في الحوار بقوله:

- احسبها جيدًا ألا تريد أن تعود؟

فساندته «دينا» بقولها:

- نعم، ألا تريد أن تذهب لعالم به شمس؟

صمت «أيوب» وبدا كأنه يعيد حسباته، ثم أخذ يسير مبتعدًا عنهم، فكانت تشير ملامحه على أنه بدأ يفهم الأمر ويتقبله.

ولكن ...

ولكن ما قاله كان غير متوقعٍ تمامًا، كان في غاية الرعب والتهور.

لقد قال لحراسه آمرًا إياهم:

- اقتلوهم جميعًا.

***

إنها أصوات خطوات واثبة منتظمة تبدو لي مرعبة، سيشقون طريقهم عبر الممر الأوسط الصغير بعد أقل من دقيقة، لا زلت أقف مكاني لا أعرف ماذا أفعل؟ لأول مرة أكون في مثل هذا المأزق، ولكن دائمًا الوقت الذي لا يكون صديقك المخلص في مأزقك.

إنهم يقتربون ..

ولكن ..

ولكن، دوّت أصوات عالية صاخبة جدًا، أصوات أشبه بضوضاء تنتج عن اصطدام بعض الأشياء ببعضها، ولكنه اصطدامٌ عنيف! لأن الأصوات كانت أعنف وأشرس، إنه صوت أشبه بالانفجار! وهنا سمعت «ريتاج» تقول في نبرةٍ حادةٍ دون أن أراها:

- ما هذا؟

فأجاب الروبوت الذي كان يرافقها:

- يبدو صوتٌ مثلما سمعناه بالأمس.

فقالت «ريتاج» في غضبٍ:

- إنها المرة الثانية في يومين تنفجر مركبة من مركباتنا، العادة أن تنفجر المركبات الصغيرة ومن حين بعيد لآخر أبعد. وهذا يحدث لأسباب طبيعية مثل إتلاف بعض المحركات، لكن ما يحدث هذا يغدو مختلفًا.

رد الآخر وأنا ما زلت أختلس السمع من وراء جدار الممر:

- يبدو أن «نوح» يريد أن يشن حربًا، ولكن سنردعه.

فغمغمت «ريتاج»:

- لنذهب كي نرى ما الأمر.

تنفست الصعداء، فحين يخونك الوقت في مأزقك، يأتيك الحظ لينقذك، حمدتُ الله أنهم غادروا.

كم يروق لي الشخص الذي يُدعى «نوح» رغم أنه مثلهم روبوت، يبدو أن الخلاف والكراهية لا يحدث فقط بين البشر، نعم إنني أصف هذا بالكراهية رغم أنهم لا يشعرون، ولكن هذا المصطلح الأقرب بالنسبة لي لأعبر به عن هذا.

وكالعادة لا بد وأن أخرج بمعلومةٍ في كل مرة أصعد إلى هنا؛ لقد علمتُ الآن أمر الهزة التي حدثت بالأمس وشعر الجميع بها، أنها انفجارٌ لمركبةٍ من مركباتهم الكبيرة، وهذا يفسر لنا ما كنا نسمعه بالأسفل من حينٍ لآخر إنها أصوات انفجار المركبات الصغيرة، يبدو أن «نوح» يحاربهم منذ زمنٍ.

ولكن يتبقى شيءٌ واحدٌ لا يتضح حتى الآن؛ صوت الطرق الخفيف وهذا ليس وقته .. هذا وقت العمل.

أخرجت حاسوبي، ودخلت على برامج الاختراق، وبدأت في تعطيل هذه الأقفال الإلكترونية، ولكن يبدو أن الأمر كما توقعت؛ إنها أقفال مرهقة للغاية لقد استغرق الأمر ما يقرب من خمس عشرة دقيقة لكي أفتح هذا الباب اللعين.

لقد دخلت الحجرة وما أروعها من حجرة! إنها في غاية الجمال والرونق، يغلب عليها اللون الأزرق والأبيض، يتوسطها صندوقٌ زجاجي من النوع غير

قابل للكسر، يبلغ ارتفاعه مترين وعرضه ثلاثة أمتار أي أنه أشبه بحجرةٍ صغيرةٍ جدًا، ويوجد بداخله منضدة أنيقة يبلغ ارتفاعها نصف مترٍ لكنها منضدة فارغة، هذا ما رأيته من أمام زجاج الصندوق من الخارج.

وبالطبع أعلم جيدًا بأن يكون هناك شيفرة ما، أو إنذار، أو أي شيء من هذا القبيل حتى لا أحد يدخل بداخل الصندوق الكبير؛ كي يؤمنوا ما بداخل هذا الصندوق الزجاجي، فيعطي تنبيهًا حين يلمسه أحد.

هذا من المفترض، ولكن ..

ولكن لا يوجد شيء بداخل الصندوق، إنها منضدة فارغة، أين الكتاب؟ أين ما صعدنا لأجله، وعرضنا حياتنا للخطر بسببه؟ أين ما ذهب خالي ليقابل أخطر إنسان في العالم السفلي لأجله؟ ياللسخافة.

لم أصدق هذا، أو لا أريد أن يكون الأمر كذلك، فعاودت أنظر إلى الصندوق مرة أخرى، ثم دققت النظر أكثر بداخل الصندوق، استغرق الأمر مني دقيقة وحينها فقط علمت بأنه لم يوجد كتاب من الأساس!

***

فعل «وحيد» كما قال «آدم» له، نزل إلى الطابق الأول فلم يجد شيئًا حتى وصل إلى الطابق الأول الأرضي الذي يتواجد به الكثير من الأشخاص «الروبوتات»، وإنه يفعل ما قاله له «آدم» كيف

يمثل دور الروبوت، وإنه لم يثبت في أي مكان لكي لا ترصده أدمغة الروبوت فيعرفون إنه بشري، لقد أوصاه أن يتوارى من أنظارهم قدر ما استطاع.

وأثناء بحثه وصلته رسالة على شريحة اتصالاته من «فهمي» كان فحواها: «إلى أي مدى وصلتم؟».

ورد هو بدروه برسالة:

«لقد افترقنا؛ لنبحث عن الكتاب في مكانين مختلفين في نفس الوقت».

وظلت المحادثة بينهما يجهل «وحيد» أن من يحدثه ليس الخال «فهمي»، بل أخطر إنسان في العالم السفلي.

انتهت المحادثة وعلم «أيوب» حينها كل شيء من «وحيد» الجاهل بالأمر، وبعدها .. ظل «وحيد» يبحث في أرجاء الطابق الذي يبدو مختلفًا بعض الشيء عن الطوابق التي تليه، مع الاحتفاظ بأنه يملك نفس الممر، ثم سمع ذلك الانفجار الذي رجّ المدينة، وصار كل روبوت يركض هنا وهناك، فذلك الانفجار أثار صخبًا في هذا الطابق.

وبعد أن هدأ الجميع، سمع «وحيد» صوتًا صخبًا آخر لكنه ليس عنيفًا؛ إنه مجرد أصوات أشخاص تتكلم، كانت أصوات كثيرة تتداخل مع بعضها، كانت صادرة من ذات الحجرة الواسعة التي تبدو كقاعة مؤتمرات؛ فذهب ليختلس النظر من نافذة باب القاعة حتى سمع أحدهم يقول:

- لا بد وأن نزيد من أعدادنا التي بدأت تقل حينما ظهر ذاك الذي يدعى «نوح».

فأجابه رئيس هذه الجلسة الذي يبدو لوحيد كأنه مُحاضر:

- لا بد وأن نحافظ على الكتاب -كما يقول البشر- بأرواحنا.

فقال آخر من الجالسين:

- ولكن الكتاب يحوي أيضا معلومات خطيرة تهدد بقاءنا.

فأجابه المحاضر:

- لطالما لا يوجد بشر غير مَن بحوزتنا فنحن في أمان، كما أننا نعلم جيدًا بعدم قدرتنا على حذف ذلك الجزء الخاص بتهديدنا؛ لأن الكتاب بجميع أجزائه غير قابل للحذف كما أنه غير قابل للنقل، إنه فقط قابل للاستنساخ؛ ولهذا نحافظ عليه جيدًا خوفًا أن يقع في الأيادي الخطأ حتى لو كان روبوت .. مثل ذلك المجرم .. «نوح».

فنهض آخر وتحدث متسائلًا:

- لماذا لا يكون «نوح» بشريًا؟

أجابه قائد الجلسة:

- لقد فكرنا في ذلك بالفعل وخصيصًا بسبب اسمه؛ نحن لا نُدعى بهذه الأسماء، ولكن جميع أتباعه التي

يصطادها القائد «سامر» روبوتات، فلا نزال غير متيقنين من هذا الأمر إن كان بشريًا أو روبوتًا خائنًا.

بات «وحيد» مؤمنًا بما اعتقده «آدم» منذ البداية بأن يوجد بشر بحوزتهم، كما بات يعلم أيضًا إجابة لسؤاله حين سأل وقال له لماذا لا يحذفون ذلك الجزء من الكتاب؟ ليسأل نفسه سؤالًا جديدًا: ما قصة المدعو «نوح»؟!

وحين أعاد ما سمعه في رأسه وبالأدق عن العبارة التي فحواها «غير قابل للحذف وغير قابل للنقل، إنه فقط قابل للاستنساخ» فعلم حينها أنه ليس كتابًا كما خُيّل لهم، إنه لم يكن كتابًا من الأساس.

وسرعان ما أخرج شريحة اتصالاته، وأرسل رسالةً ل «آدم» كان فحواها: «إنه ليس كتابًا يا آدم».

***

تلقيت رسالة من صديقي وحيد يخبرني فيها أنه ليس كتابًا، لقد عملت بذلك مسبقًا علمت حين عاودت النظر إلى الصندوق الزجاجي.

لم أرَ شيئًا بداخل الصندوق في أول نظرة له، حيث يعطيك الصندوق أول انطباعٍ له بأنه فارغ، ولكن حين دققت النظر مرة أخرى فوجدت بالداخل على تلك المنضدة الأنيقة صندوقًا زجاجيًا آخر صغيرًا جدًا مثل علبة الهدايا الصغيرة، لكنه شفاف بالكاد رأيته، بداخله قرصٌ دائريٌ دقيقٌ يبدو أنه مصنوعٌ من أشياءٍ أكثر دقة لا أعرف ماهيتها.

حينها علمت أنه ليس كتابًا كما خُيِّل لنا، لكنه ملف أي أنه كتابٌ رقمي به معلومات تُعرض على جهاز حاسوب أو .. كما أعتقد .. في دماغ الروبوت، بما أنها بِماغ إلكترونية رقمية، ثم استقبلت رسالةً أخرى من «وحيد» كان فحواها: «إنه غير قابل للحذف أو النقل، إنه فقط قابل للنسخ».

حينها علمت لماذا لم يحذفوا ذلك الجزء الذي يهددهم، ولكن هذا يؤدي إلى سؤالٍ آخر لماذا لم ينسخوه إلى أي حاسوب وتتواجد منه نسخ كثيرة بحيث لا يفقدونه؟ أو لماذا لم يستنسخوه إلى دماغ روبوت؟

ظللت أتساءل كثيرًا، ولكن كالعادة هذا وقت العمل، أخرجت حاسوبي وتأهبت لعملي الذي أعشقه، ولكن هذه المرة ستكون أصعب من أي مرة سابقة، ثم ابتسمت في نفسي لأني وجدتني أقول لنفسي هذا في كل مرة أحاول فيها اختراق شيء ما كأني في لعبة ما، ولها مستويات كثيرة بحيث كل مستوى يكون أصعب مما سبقه. المغزى هنا في أنك تشعر في كل مرة أنه أصعب مستوى، لكنك تعلم أخيرًا أنك لا زلت في اللعبة.

شرعت في الاختراق، وكما توقعت استغرق الأمر مني وقتًا كثيرًا، وبالفعل كانت أصعب بصمة واجهتها في حياتي.

ألغيت نظام التنبيه عند اللمس، واخترقت الشيفرة

وأغلقت أشعة الليزر غير المرئية، وعلمت كلمة السر الخاصة بالصندوق وفتحته، كما أنني كررت كل هذا للصندوق الداخلي الصغير بالإضافة إلى نوعٍ آخر من الأشعة غير المرئية، لكنها أكثر تعقيدًا من الأولى لقد استغرق الأمر فوق العشرين دقيقة.

وأثناء عملي لاحظت في شاشة حاسوبي بداخل برنامج الاختراق الخاص بذلك الصندوق أن هناك نقطة اتصال مفتوحة، بمعنى أدق نقطة اتصال لاسلكي؛ وهذا يوحي بأنهم يعرضون محتويات الكتاب أو الملف على أجهزتهم عن بعدٍ من خلال نقطة اتصالٍ غير مباشرة لاسلكية.

كما أن هذا يعني أنهم لا يريدون أن يتم استنساخ الملف؛ لأن حين يُعرض محتوى الكتاب على أجهزتهم بطريقة الاتصال عن بعد فلا يستطيعون استنساخه؛ لأن طريقة العرض هذه تكون عرضًا مباشرًا فقط فلا يُنقل أو يُستنسخ. يبدو أنهم يريدون ذلك ولا بد وراء ذلك سبب عظيم جدًا، لا أحد يعلم به سوى المسؤلين هنا؛ ولهذا يضعون له كل هذا الأمان في مثل هذا المكان بعيدًا عن الأعين.

ولكن ليس هذا وقت معرفة هذه التفاصيل، سأعرف كل شيء في وقته، هذا وقت الإمساك بأثمن كتاب على وجه الكرة الأرضية.

دلفت إلى داخل الصندوق الكبير، ثم اقتربت نحو المنضدة الأنيقة، وفتحت ذلك الصندوق الذي بالكاد

أراد ومددت يدي نحو القرص وأمسكته و..

وحين لمسته شعرت بقُشعريرة في جسمي غريبة جذا أشعر بها لأول مرة، لم يكن لها مثيل لا بد بسبب سعادتي حين صار بين يديّ السبيل الذي سيجعلنا نعود إلى عالمنا الأصلي وتركته مرة أخرى!

بالطبع لن أحركه لخارج الحجرة؛ لأن حين أبعد عن هذا المبنى سيعملون بأن اتصالهم بذلك الملف تم قطعه، وحينها سيعرفون بأنه تعرض للسرقة، وبسبب سرعتهم لن نستطيع أن نتجاوز الفجوة، وإذا افترضت أننا تجاوزنا الفجوة ودلفنا بداخلها سيرونا بالتأكيد وهنا سأعرض حياة نصف مليون شخص للخطر، سأكون سببًا في تدمير العالم السفلي، وسنفقد حينها فرصتنا أمامهم لندرس ذلك الكتاب ونعرف كيف نهزمهم بدون حرب سيقضون علينا قبل أن نتأهب لذلك.

والحل هو عملي الذي أتقنه، سأخترق هذا الكتاب «الملف» سأستنسخ كل محتوياته إلى حاسوبي.

وقبل أن أبدأ في عملية الهاكر، حجبت معرفتهم بأي شيء يحدث للكتاب مثل محاولة نسخ بيانات، أو محاولة اختراق، أو حتى محاولة فتح وعرض معلومات الكتاب، لا بد وأنهم يُفعّلون هذا الخاصية فمنعت كل هذا ثم ... اقتربت مرة أخرى نحو الملف، ثم بدأت في عملية الاختراق وحينها فقط حدث شيءٌ لن أتوقعه يحدث على الإطلاق، بل لن يُخيّل

لأحدٍ أن يحدث شيءٌ مثل هذا.

في اللحظة التي تم فيها فتح الكتاب على جهاز حاسوبي، وعرض معلوماته على شاشتي أطلق القرص شرارة عظيمة! شرارة صدر منها ضوء شديد، شرارة كالبرق الذي صعق المكان بل صعقني أنا!!

كنت على مقربةٍ كبيرةٍ من الملف؛ ولذلك صعقني ذلك الضوء أو البرق، فألقاني من مكاني ودفعني بعيدًا لمسافة مترين، لقد دمر البرق المكان، والزجاج غير قابل للكسر، وانقسم جهازي الحاسوب إلى قسمين، وكُسرت المنضدة الأنيقة، وانطفأت الإضاءة وصار المكان مظلمًا.

كل شيءٍ تدمر إلا شيئًا واحدا فقط .. وهو ذلك القرص اللعين، لم يحدث أي شيء له سوى أن أطلق هذه الشرارة العظيمة.

والغريب أيضًا أنني لم أفقد الوعي، بل سمعت أجهزة الإنذار الخاصة بالمبنى كانت تدوي في جميع أرجائه، بالطبع ما حدث هذا وتدمير حاسوبي، كل ذلك سيلغي الاختراق والحجب المُفعّل بواسطتي.

وما هي إلا خمس دقائق كنت أحاول فيها استعادة توازني ووجدت جيشًا من الروبوتات يوجهون أسلحتهم الليزر نحوي!! وأنا لا زلتُ ملقى أرضًا على ظهري.

لقد هدمت كل أملٍ كان يتعلق به العالم السفلي،

لقد هدرت كل جهود مَن حاول مساعدتي في هذه المهمة: خالي، «وحيد»، «ماجد»، و«دينا»، وكل المسئولين العالمين بهذه المهمة.

تفاديت تحريك القرص لكي لا يحدث شيء، ولكن كل شيء حدث والقرص في مكانه.

ثم رأيت واحدًا أكثر ضخامةً منهم جميعًا يخترق صفوفهم موجهًا سلاحه نحوي، ويقول لي:

- لقد أمسكنا بك يا «نوح»؟

***

جرهم إلى المدينة الوسطى .. مدينة المتهورين، أو المتحالفين مع أيوب، إنها أصغر مدن العالم السفلي، لكنها تمتلك أكبر ساحة إعدامٍ؛ إنها ساحة كبيرة شاسعة يقتلون فيها كل مَن تسوّل له نفسه أن يواجه أو يعترض أي شيء في هاتين المدينتين، كان أغلب ضحاياهم من سكان المدينتين أنفسهم؛ لأنهم لا يقدرون أن يأذوا شخصًا واحدًا من سكان الجنوب.

كما لا تفلت مدينة المحافظين من هذه البشاعة، هناك مَن منهم خُيّل له أنه سينعم بالراحة في المدن الأخرى، لكنه يلقى حتفه إذا كان بلا فائدة بالنسبة لهم؛ وهذا لكي يزرعوا الخوف في قلوب سكان المدينتين الأصليين.

وهذا ما سيحدث مع الغرباء الذين دخلوا مدينة

المعترضين؛ لكي يلبوا نداء توحيد الصفوف، هذا ما سيلقاه كل من: «فهمي»، و«ماجد»، و«دينا»؛ حيث أنهم مكبلون من أيديهم خلف ظهرهم، وراكع كلٌ منهم على ركبتيه منتظرين دورهم في الصف الطويل المكون من أشخاصٍ ستلقى حتفها على أيدي هؤلاء الذين لا يعرفون أي شيءٍ عن الرحمة.

حراس المدينتين مجتمعون بقيادة زعيمهم «أيوب»، وهناك جلّاد واحد فقط يخرج في اليوم الخاص بالإعدام حيث يكون ممسكًا بفأسٍ صغيرة ويهوي بها بكل قوته فوق رأس الضحية.

لقد بدأ الصف الطويل يقل عدده، حيث يهوي أرضًا كل دقيقتين واحدٌ على وجهه مكبل اليدين خلف ظهره بفتحة في رأسه فعلتها فأس صغيرة، ينسال منها الدم بغزارة بعد أن ينفجر مباشرة إثر الضربة.

ينتظر كلٌ من: «فهمي»، و«ماجد»، و«دينا» دورهم حيث هم يحتلون آخر ثلاثة مراتب؛ لأنهم وصلوا توًا مع سجّانهم «أيوب» وبعض الحراس.

علم الثلاثة أن أمرهم سينتهي وسيموتون بعد دقائق، وفي خضم الذعر والخوف الذي يملأ قلوبهم اقترب نحوهم «أيوب» ويقول لهم في استفزازٍ:

- ألم تريدوا أن تقولوا شيئًا قبل أن تموتوا؟

رفع «فهمي» عينيه لينظر له ويرد منتصرًا رغم هزيمته:

- أليس لديك شيء أنتَ لتقوله؟

صمتَ «أيوب» قليلًا ثم بدا عليه التفكير حتى قال:

- في الحقيقة هناك شيءٌ، أريد أن أعرف لماذا تريدون أن تعودوا؟

انعقد حاجبا «دينا» وسألت في اندهاش:

- ألم تريد أن تعود؟!

ثم أكمل «ماجد» الحديث:

- حين يعرف الأربع مدن بأمر العودة فلن يكون هناك شخصٌ واحدٌ في العالم السفلي أجمع يريد أن يبقى هنا.

استنكر «أيوب» وقال بعد ثوانٍ من الابتسامة الساخرة:

- أنا ..

فنظر له «فهمي» في قمة الاندهاش، فأردف «أيوب» حين لاحظ دهشة الأول:

- نعم! أنا أريد أن أبقى هنا، في الحقيقة نصف العالم السفلي يريد أن يبقى هنا .. المدينتان .. كما أننا لا نعرف رأي مدينة المجانين ولن نعرف بتاتًا.

صمت قليلًا ثم استطرد:

- لماذا نعود؟ لو كنتم سألتم أنفسكم لما سَمينا بهذه الأسماء: المعترضون والمتهورون ما كنتم

استغربتم من كلامي، وما كنت أنظر إلى هذه الدهشة التي أراها على وجوههكم الآن.

هل نعود لنعيش تحت سَن القوانين، والالتزامات؟ هل نعود إلى عالم به مسئولون ولا نفعل ما يحلو لنا؟ إننا نعيش هنا كما يتراءى لنا ونفعل ما نريده. بالمختصر نحن هنا القانون، ونحن هنا المسئولون، نحن مَن نحدد مَن يعيش ومَن يموت.

نظر «فهمي» له في اشمئزازٍ وقال له:

- تقول هذا لأنك الزعيم هنا، ولكن هل سألتَ أنت نفسك إذا تم تصويت لأهالي وسكان المدنيتين على رغبتهم في البقاء أم عودتهم فماذا سيختاورن؟

ضحك «أيوب» ضحكة شريرة ثم نظر حوله بنظرة يلمؤها الفخر والانتصار، وسأل «فهمي» قائلًا:

- فلتقول أنت لي: ماذا سيختاورن؟

نظر «فهمي» حوله حيث نظر نحو ما نظر إليه «أيوب» قبل أن يسأل سؤاله وعرف ما يقصده «أيوب»، فقال الأول:

- إنه زرع الخوف عنوة في القلوب، الإجبار على الاختيار المحدد ما هو إلا اختلاس للحرية، فهنا يكون القائد كالحرامي المحترف.

ضحك «أيوب» مرة أخرى ضحكة شريرة مليئة بالغرور والكبرياء، وقال له:

- وهذا ما أريده فلولا أنني محترف ما كنت

أصبحت قائد المدينتين.

ثم ساد صمتٌ مخلوطٌ بذعرٍ وخوفٍ في قلوب الثلاثة، هنا فقط أصوات طرقعة الفأس في رأس أحد الضحايا، وصرخة أحدهم وعويل آخر، هناك فقط رائحة الموت والدم فينظرون من حينٍ لآخر إلى الصف ليكون على علمٍ إذا اقترب دورهم، حتى كسر» فهمي» هذا الصمت الصارخ المخيف وقال:

- في الحقيقة .. أنا أيضًا لديّ ما أريد أن أعرفه.

فنظر له «أيوب» في نهمٍ متلهفًا لسؤاله دون أن ينبس ببنت شفة بعد أن لاحظ الاندهاش على وجه «ماجد» و»دين»ا بسبب ما قاله «فهمي»، يملأ وجوههيما تساؤلات عما يريد الأخير أن يقوله ليعلم به «أيوب»، فسأل سؤالًا فضوليًا:

- كيف وصلتم إلى هذا التقدم، رغم انقطاعكم عن منتجاتنا وتكنولوجيتنا؟ كيف حاكيتم العالم العلوي منذ أكثر من عشرة سنين؟

ابتسم «أيوب» له ابتسامةً ماكرةً تبعها ضحكةً عالية ساخرة وقال له:

- هل أنتم فقط مَن لديكم صاعد؟!

وعند سماعهم هذا جحظت عيون الثلاثة، فكان ما سمعوه لن يتوقعوه ولن يأتي حتى في أحلامهم أن يكون هناك صاعد آخر يصعد للأعلى غير «آدم»!! بدا عليهم قمة الصدمة والدهشة؛ فلاحظ «أيوب»

حركة عينيّ «فهمي» السريعة وكأنه يفكر في شيءٍ ليتذكره حتى سأل الأخير سؤالًا في قمة الدهشة والصدمة موجهًا ل «أيوب»:

- مَن؟

قال له «أيوب» متحايلًا:

- ومَن تعتقد؟

فسأله «فهمي» في دهشةٍ:

- هل أنت «نوح»؟

***

أمسك بي ثلاثة حراس من الروبوتات، وجروني إلى زنزانة كبيرة، واسعة، شاسعة كانت بالمبنى نفسه في الطابق الأول بعد الأرضي، لكنها توجد بنهاية الممر، منعزلة بعض الشيء.

وفي اللحظة التي لامست قدمي أرض الزنزانة تملكني الذهول الدهشة؛ لقد رأيت صديقي «وحيد» مكبلًا!!

كان راكعًا على ركبيته، لقد وصل قبلي إلى هنا لقد أمسكوه أيضًا؛ فقال لي مذعورًا حين رآني حيث تملكه أيضًا الذهول:

- لقد تدمر كل شيء؟

ولم أعطه الفرصة ليضيف شيئًا آخر لكلامه فقلت له:

- اسكت يا «وحيد».

وفي هذا اللحظة، سمعت صوتًا من خلفي، صوت سمعته من قبل إنه صوت حربائي بالتأكيد كان الصوت يسأل:

- وأنا أريد أعرف بالضبط ما الذي تدمر؟

أدرت رأسي ونظرت إلى المتحدث السائل ووجدتها طويلة القامة بيضاء البشرة بنية العينين طويل الشعر، إنها «ريتاج» ومعها ما أصفه بأنه حيوان هذا العالم بسبب بنيته الضخمة، إنه شرس بالتأكيد، إنه الأصلع الذي رآني من قبل عند الشلم، إنه الأحمق الذي قبض علَيّ، إنه «شهاب».

فأجبتها على الفور:

- لا شيء.

فسأل «شهاب»:

- فلماذا قتلت بعضًا من أشخاصنا إذن يا «نوح»؟

كنت أريد أن ألوح بيدي الذين كانا مكبلين أمامي مثل وحيد، فرفعت كتفي وقلت له في غضب:

- ومَن قال أنني «نوح»؟

ردت «ريتاج» بدورها:

- إنكما بشريان ولا أحد له فائدة أن يقتل الروبوتات سوى البشر.

فأجبتها في فخر:

- نعم، إنني أريد أن أبيد كل روبوت ينعم بنعمة الشمس التي خُلِقت من أجلنا نحن البشر، ولكن لست أنا المقصود.

فتابعت «ريتاج» بسؤالها دون أن تنتبه لما أقوله:

- ما يثير فضولي هو أنك كيف جعلتَ بعض الروبوتات يتبعونك؟

فأجبتها بنفس الفخر:

- لو إنني أقدر على ذلك ما كنت ترددت لحظة واحدة لأجعكلم تنقلبون على أنفسكم وتقتلون بعضكم البعض؛ فتريحونا من جهد العناء في ذلك.

سأل «شهاب» بدوره وقال:

- هل هناك غيركما؟

فزفرت زفيرًا غاضبًا طويلًا يدل على الملل من كثرة الأسئلة، وقبل أن أجيب بشيء دخل شخص أعرفه جيدًا أو روبوت أعرفه جيدًا كان ذلك «رامز» ينظر إلى «ريتاج» التي لم تحد نظرها عني، كانت ترمقني بنظراتٍ ماكرة شريرة وقال لها:

- إن «سامر» يطلبكِ.

أخذ الأمر من «ريتاج» بضع ثوانٍ ثم قررت أن تلبي أمر القائد «سامر»، فخرجت ومعها «رامز» النحيف الطويل ذو اللحية الكثيفة.

ثم أحدت نظري نحو «شهاب» الذي كان يرمقني

بنفس النظرات، لكن هذه النظرات تختلف عن التي كانت ترمقني بها «ريتاج»، حيث كانت الأخيرة توحي بالمكر والخداع والحيلة، أما الأولى كانت نظرات لا شيء فيها يملؤها سوى الغضب والقتل، فسألته:

- هل سيأتي مفكك الأجزاء؟

وبعد إنهائي لسؤالي مباشرة لاحظت نظرات «وحيد» الحائرة نحوي؛ الذي بدأ يتساءل في نفسه مَن مفكك الأجزاء هذا الذي سمع عنه للمرة الثانية مني؟ أما «شهاب» أجاب في شرٍ:

- لا تقلق، لقد فكك «سامر» أجزاء الكثير من أتباعك.

وهنا لاحظت وجه «وحيد» تتغير ملامحه بعد أن عرف هوية مفكك الأجزاء، أما أنا فتحدثت بدوري:

- وكيف سيفكك أجزاءنا إذن؟

- هل هذا الوقت المناسب لغرورك؟

قالها «وحيد» الذي كاد يقتله الذعر، ثم أجاب «شهاب» في شر:

- لا تقلق إن «سامر» لديه كل الطرق والأساليب التي تناسب كل جنس ونوع.

ثم صمت وبدا لي أنه يفكر مليًا، وبعد ذلك أردفَ بابتسامةٍ شريرة تعلو وجهه وقال وعينيه تلمع بالشر:

- ولكن «سامر» ليس هنا.

انعقد حاجباي حين سمعت عبارته، ثم وجدت حارسين يقتربان نحوي وأسقطاني أرضًا فركعت على ركبيتيّ بجوار وحيد، ثم رأيت «شهاب» يسحب سلاح ليزر مصنوعًا من الفولاذ من يد أحد الحراس ووجهه نحونا وقال:

- بل أنا الذي هنا الآن ...

وبما أنكما لا تريدان أن تساعداني، فأقتل واحدًا منكما وسيخر الآخر بطيف من المعلومات التي أريدها.

ثم أحاد السلاح نحو «وحيد» الذي ذُعر أكثر من ذعره، حتى جعل ذلك يُخِل من توازنه فيتقهقر ثم يتعثّر بسبب تكبيله يديه فيسقط جالسًا على الأرض، ففهمته أنه يريد أن يقتل «وحيد»؛ لأتفوه أنا بالمعلومات خوفًا على حياتي ثم أردف:

- أنتم هكذا أيها البشر، تخافون الشعور كان دومًا سبب ضعفكم.

فرفعت رأسي ونظرت نحوه وقلت له ضاغطًا على أسناني:

- لو أننا نخاف ما كنا خاطرنا بحياتنا لندخل وكركم: إنه الفضول الذي يحركنا، والفضول ما هو إلا شعور بالطبع الشعور هو ما يميزنا عنكم، ويجعلنا متابرين هل هذا ضعف بالنسبة لك؟

لم يبالِ لما أقوله سوى أنني أثرت غضبه، فصاح سائلًا:

- هل هناك غيركما؟

لم نجب، لقد تحول الموقف لصالحه وبدأ الذعر يتملكنا حين علمت أنني لو لم أجب على سؤاله سأفقد «وحيد»، وهنا سيتدمر كل شيءٍ كما قال صديقي. فسحب أجزاء السلاح وجهزه للإطلاق وتأهب لقتل «وحيد» وأنا لا أعرف ماذا أفعل؟ هل أنقذ وحيد وأقول له ما يبتغيه فتذهب خطتى هباءً، ثم أكون السبب في موت نصف مليون شخص بالأسفل؟ أم أصمت ولا أقول لهم أي شيءٍ وأجعلهم جاهلين، وأكون سببًا في موت صديقي «وحيد»؟

لم أشعر بمثل هذه الحيرة من قبل أريد أن أفكر أكثر فماذا أفعل؟ إنها ثوانٍ قليلة سيضغط على الزناد

ثم ...

ثم وجدتها ..

فقلت له:

- توقف.

فتبت «شهاب» إصبعه الذي كان ينوي الضغط به على الزناد، فأردفت:

- لدي شيءٌ أكثر قيمة من أي شيءٍ يدور هنا.

فنظر لي «وحيد»، وبدا لي أنه تذكر قولي حين قلت لهم بالأمس أن لديّ شيء سأعرضه لهم وتساءلوا ما هو؛ فأخبرتهم أنه ليس هذا الوقت المناسب، ولكن في خضم ما نحن فيه الآن يبدو أن هذا هو الوقت المناسب، فسأل نافد الصبر:

- وأنا ليس لديّ وقت، فلتقل لي ما هو الشيء الأكثر قيمة؟

نظرت نحو «وحيد»، واستغرق الأمر مني ثوانٍ لكي أتفوه به، ثم أحدت نظري نحوه وقلت له:

- إنني من الفولاذ مثلكم.

- «نوح»؟

قالها «أيوب» في دهشة، فرد «فهمي» بدوره:

- إنك بارع حقًا في التمثيل، أتتوقع أن نصدق دهشتك حين سمعت الاسم، لا تنكر أنك هو؟

فقال «أيوب» متحذلقًا:

- لا يهم، المهم هو ألا يصعد العالم السفلي للأعلى.

صاح «فهمي» وقال له:

- لماذاااا؟ ما ذنب كل الفقراء والمساكين والمرضى، إنك أغبى شخص قابلته في حياتي، لماذا لا تفهم أننا في عالم بلا شمس؟ ومع انعدام الشمس فإننا نعيش في عالم بلا حياة.

لم ينبس «أيوب» ببنت شفة لقد ظل صامتًا يعبر

عن عدم اكتراثه لما يقوله «فهمي»، واهتمامه للجثث التي تتساقط مفتوحة الرأس، والدم الذي يتدفق كالسيول، والصف الذي بدأ ينكمش والفأس التي تخوض طريقها مقتربةً نحو «فهمي» وأعوانه.

لقد كان يؤمن بفكرة أن أفضل للإنسان أن يعيش في عالم به حرية مطلقة دون قيود من أن يعيش في عالم به شمس وحياة.

فأردف «فهمي» في حماس وتوترٍ آملًا أن يغير وجهة نظر «أيوب» حتى وإن كان لن يوحد الصفوف، بل على الأقل ليعفو عنهم:

- لقد حدث واهتزت الأرض من قبل بنا نتيجة شيءٍ ما يحدث بالأعلى لا نعرف ماهيته، ولكن يبدو لي أنه بمثابة انفجارٍ ما، ولقد حدث هذا مرارًا وتكرارًا عاجلًا أم آجلًا سندفن هنا أحياء نتيجة انفجار أكبر أو يُكشف أمرنا نتيجة تنقيب بسلاحٍ ما لديهم؛ إننا نسمع منذ عشرة أعوام صوت طرقات أشبه بصوت التنقيب.

بدا على «أيوب» الاهتمام مما يسمعه من معلومات يبدو أنه لم يسمع منها من قبل فسأل:

- ولماذا أصدقك؟ بل لماذا لم تحدث هذه الأشياء التي تتحدث في مدينتي أو مدينة المتهورين؟

أجابه «فهمي» في شكٍ:

- لا بد بسبب أننا في الشمال، وبما أنك الصاعد

الآخر فأنت تعرف بالتأكيد أن الشمال هو وكر قوتهم وتنظيمهم ونظامهم السياسي و .....

قاطع حديث «فهمي» شيئًا ما حدث، لكنه شيءٌ عظيمٌ جدًا، إنه لم يحدث مثله من قبل، كانت أقوى من التي حدثت منذ ساعتين وأنقذت «آدم» من الإمساك به في البداية، لكنهم لا يعرفون عنها شيئًا؛ لأنهم لم يشعروا بها بسبب أنها حدثت في الشمال فوق مدينة المحافظين، أما هذه شعروا بها هنا.

لقد كانت أقوى وأعنف وأشرس.

لقد تسببت في هدم بعض الأسقف عليهم، وتدمرت بعض المباني أو «الخنادق» الضعيفة التي بنوها منذ الأيام الأولى لهم في الأسفل!

لقد اختل توزان المدينة، وحدث الصخب، وتبعثر الجميع هنا وهناك؛ فمنهم مَن يركض ليلحق خندقه، أو مَن في مسكنه أو ما في مبناه، ومنهم مَن خاف وتوارى بعيدًا عن الأنقاض، ومنهم مَن وقف مكانه والذهول يرقص على وجهه والخوف يلعب في قلبه.

في لحظةٍ انقلبت المدينة رأسًا على عقب، واختلت صفوف الضحايا مما أتيح الفرصة ل «فهمي»، و«ماجد»، و«دينا» ليكونوا ضمن مَن ركض بعيدًا؛ ليتفادوا سقوط الأنقاض على رؤوسهم فيموتون. ولكن يواجهون في ذلك صعوبة بسبب أنهم مكبلون.

أما «أيوب» فتسمر مكانه دقيقتين ليستوعب ما يحدث حوله، ثم استعاد عقله إبان الحارس الذي حثه أن يفوق، فعاش الواقع وركض بعيدًا، بل بعيدًا جدًا بعيدًا تجاه مدينته والحراس حوله يحمونه.

صرخت «دينا» في وجوههم:

- ماذا سنفعل؟

قال «ماجد» متسائلًا:

- لماذا هذه المرة حدث هنا فوق المدينة الوسطى؟

بدا على «فهمي» التفكير العميق، ثم قال بعد ثوانٍ:

- لا نعرف لماذا حدث هنا هذه المرة؟ أم هذا مِن فعل «نوح»؟

ثم سكت قليلًا وقال في حيرةٍ:

- لكن هذه المرة تختلف.

سأل «ماجد» في دهشةٍ:

- ولكن أليس «نوح» هذا «أيوب»؟

أجابه «فهمي»:

- لا أعرف، هذا ما كان جليًا قبل أن تحدث هذه الهزة، ولكنها حدثت وهو متواجد معنا.

ثم عاود التكفير وأردف بعدها:

- أم إن له أتباع وأصبح هناك صاعدون.

قالت «دينا» في دهشةٍ:

- صاعدون؟!

ولكن انقطع حديثهم بسبب سقوط أحد الأنقاض من فوقهم! فتفادوه بصعوبةٍ بسبب تقيد حركتهم لأن أيديهم ما زالت مقيدة، ثم توارروا في ركنٍ ما وأكمل «فهمي» حديثه:

- المهم أن هذه الهزة أنقذتنا.

قال «ماجد»:

- ولكن شرائح اتصالاتنا معهم، كما أننا لا زلنا مقيدين.

رد «فهمي»:

- حياتنا أهم، أما بالنسبة للقيود فأمرها سهل.

ثم تساءل «ماجد»:

- ومَن «نوح» هذا من الأساس؟

نظر نحوه «فهمي» وقال في حزمٍ:

- سأشرح لكما كل شيء في طريقنا.

سألت «دينا» في حيرة:

- هل سنعود؟

فسأل «ماجد» في ذات الحيرة:

- دون أن نوحد الصفوف؟

صمت «فهمي» قليلًا، ثم قال بعد تفكيرٍ:

- لا مجال للعودة الآن، إن عدنا سنمر نحو مدينة المعترضين، وسيكون «أيوب» في انتظارنا، وإن بقينا سنموت هنا على أيدي المتهورين.

فسأل «ماجد» و«دينا» في نفسٍ واحدٍ:

- إذن إلى أين سنذهب؟

بدا على «فهمي» الحيرة والقلق، كأنه على وشك قول شيءٍ لم ولن يتوقع أن يقوله أو يفعله، صمت قليلًا ثم أجابهم في توجسٍ:

- سنذهب إلى مدينة المجانين.

***

- كاذب! لقد قرأناك، إنك بشريٌ بالتأكيد.

قالها «شهاب» حين سمع عبارتي التي تبدو مجنونة لي، ثم نظر «وحيد» نحوي بنظرةٍ يملؤها الغضب، فأحدت نظري إلى «شهاب» وقلت له:

- لماذا لا تقترب وتستخدم الأشعة الكهرومغناطيسية التي تتواجد في دائرة دماغك في تشخيص جسمي؛ لكي تعرف ما إذا كنت كاذبًا؟

انعقد حاجباه، بدا كلامي له منطقيًا، وأتوقع أنه سيفعل ما قلت له، ولكن انقطع ذلك الحوار بواسطة حدثٍ عظيم، حدث لم يحدث مثله من قبل، لقد ارتجت الأرض! اهتزت هزة أعنف من أي هزةٍ من

قبل؛ لقد كانت أقوى من التي حدثت منذ ساعتين.

إنه لا يبدو كصوت انفجارٍ هذه المرة، إنه صوتٌ أشبه بكارثةٍ تحدث بالخارج، فاختل توزاننا جميعًا مما أتيحت لي الفرصة أن أهجم عليهم سريعًا.

لم يتوقعوا سرعتي التي كانوا بمواجهتها؛ ففي اللحظة التي استوعبوا فيها الأمر لكي يسحبوا أسلحتهم، أو يضغط «شهاب» على السلاح الذي بيده كنت قد سبقتهم وفي حركة سريعة رفعت رجلي، وضربت بها يد «شهاب» التي تمسك السلاح فطار بعيدًا عن متناول يده.

ثم قلت موجهًا كلامي إلى «وحيد» في حماسٍ ومستوى أدرينالين مرتفع:

- امسكه.

فهم «وحيد» سريعًا أنني أقصد السلاح، فأسرع إليه مكبل اليدين أمامه، كنت أنا في محاولتي لأن لا يسحب أحدهم سلاحه من جنبه فيقتلنا، وبعد محاولةٍ من «وحيد» التقط السلاح وضغط على الزناد فسقط أحد الحراس.

كان هذا في لحظةٍ من الوقت، أثناء حدوث الارتجاج الأرضي بالضبط، فهجم «شهاب» علَيَّ مندفعًا سريعًا نحوي، لكني رفعت رجلي ودفعته بها بكل قوتي، فألقيته مسافة الثلاثة أمتار مما أتيح الفرصة ل «وحيد» أن يقتل الحارس الآخر، و«شهاب» ملقى أرضًا غير مستوعبٍ ما يحدث.

لقد حدث للتو وأن بشريًا دفع روبوتًا على مسافة ثلاثة أمتارٍ، كان «شهاب» مندهشًا جدًا لا يريد أن يصدق ما قلته للتو وهو أنني من الفولاذ مثلهم!!

لقد انهار «وحيد» تمامًا فقتل للتو اثنين منهم، إنها أول مرة يقتل فيها أحدهم، فتوتر وظهر عليه الانهيار الذي جعله يلقي السلاح بعيدًا عن متناول الجميع، وبالطبع لن يسعفني الوقت أن أذهب للسلاح وأقتل «شهاب» فصرخت في وجهه، وقلت له:

- اركض.

ركضنا نحن الاثنان، و«شهاب» ما زال مُلقى على الأرض، وأنا أعرف بداخلي إن إذا كان الأخير يتوقع ذلك لكنت بالكاد تغلبت عليه أنه قوي تمامًا، لكن عنصر المفاجأة دائمًا يبدل أحوال المعركة.

لا زال الارتجاج يحدث، وفي طريقنا للخروج واندهشنا كل الاندهاش نتيجةً ما رأيناه؛ لقد رأينا شيئًا عظيمًا بحقٍ، شيءٌ غمرني بالسعادة والخوف في نفس الوقت.

لقد رأينا بعض المباني الخاصة بهم تنهار، كان هناك أبنية تنفجر كأن تم قصفها، ثم أبنية أخرى تدمر وتنهار تسقط أرضًا كأنه زالزالٌ ومبانٍ بعيدة جدًا عن أنظارنا تسقط.

فقلت ل «وحيد» في توجس:

- لن تنجو مدينتنا إبان ذلك الحدث.

وهذا سبب شعوري بالخوف بجانب السعادة بسبب انهيار مبانيهم، فأجابني «وحيد»:

- معك حق! ولكن يبدو لي أنهم في حربٍ أهلية، ما كنت أتوقع مثل هذا الذي كان يحدث بيننا نحن البشر.

نظرت حولي وقلت متهكمًا:

- يبدو أنها ستكون حربًا عالمية وليست أهلية، إنها حرب ستكون بين الخير والشر.

فقال «وحيد» في حيرةٍ:

- ولكن مَن الذي يفعل هذا؟

نظرت له وقلت في فخرٍ وتيقن:

- إنه «نوح»!

ثم استأنفنا ركضنا قاصدين الفجوة حذرين ألا يكون أحد يتبعنا، لكن ولثاني مرة على التوالي يكون الوقت في صالحنا لقد حدث هذا الحدث في الوقت المناسب، فلا أحد يتبعنا، إنهم منشغلون في الحدث الأليم لهم.

لقد تقدمنا نحو نصف كيلو متر، واستوقفنا ما نراه أمامنا، فصحت في همسٍ إلى «وحيد» وقلت له:

- توارى يا «وحيد».

أحاد «وحيد» نظره نحوي وتساءل:

- ولكن لماذا؟ إنه معنا .. يقتل الروبوتات.

فقلت له في كتمٍ جاحظ العينين:

- كلا، إنه «سامر».

فرفع كتفيه دون أن يتحدث، فأضفت:

- إنه مفكك الأجزاء، ويقتل أتباع «نوح».

جحظت عيناه عند سماع عبارتي فللتو رأى مفكك الأجزاء الذي كنت أتحدث عنه؛ فتوارى سريعًا مثلي وما إن انتهى «سامر» من تفكيك الأجزاء وابتعد، فاقتربنا نحو الجثث الملقاة أو بمعنى أدق الروبوتات المفككة، وفي محاولةِ التقطت سلاح أحدهم ورحت نحو قيود «وحيد» وضغطت على الزناد فانفكت القيود في الحال، ثم أخذ «وحيد» بدوره السلاح وفعل ذلك في قيودي.

ثم وقف ونظر في عيني وقال لي:

- معك حق في كل ما تكهنت به، أعتذر لأني شككت فيك.

فأبصرته دون أن أنبس ببنت شفةٍ منتظرًا أن يكمل ما يريد أن يخبرني به، وبالفعل لقد أضاف:

- إن يوجد بالفعل بشر في حوزتهم، لقد سمعت ذلك حين كنت أختلس السمع في إحدى قاعاتهم.

وبطبيعة الحال لم أتفاجأ؛ لأنني كنت متيقنًا من ذلك. ولكن سعدت حقًا حيث تم تأكيد ذلك وليس

مني بل من غيري.

ثم أضاف:

- ولكنني غاضبٌ منك.

أبصرت في عينيه رافقًا كتفي دليلًا على تساؤلي فأردف:

- حين قلتَ إن لديك ما له قيمة لتبادلهم إياه، هل كنتَ تقصد ذلك؟ هل كنت ستفشي ذلك السر؟

فابتسمت ممتنًا وقلت له:

- لا عليك، إنني معك الآن ليس في حوزتهم ، كما أنني كنت سأفشي ذلك السر لإنقاذك.

قال:

- ولكن ....

قاطعته:

- لا يوجد لكن، ولا أريد أن أتحدث في هذا الأمر البغيض الذي يفكرني بوالديّ وأختي «سارة» رحمهم الله.

ثم أكملنا طريقنا وصولًا للفجوة، وفعلنا ما نفعله في كل مرة ثم نزلنا للأسفل وغطينا خلفنا الفجوة ودلفنا للداخل نزولًا.

وبعد ساعاتٍ وصلنا إلى مدينتنا مدينة المحافظين، لكن صُعقنا نتيجة ما رأيناه.

لقد رأينا ..

بل لا نرى مدينة المحافظين، لقد رأينا خنادق انهارت، ومساكن تدمرت، وموتى من سكاننا تحت الأنقاض، لقد ذهب كل مَن لم تكن مساكنه قوية، لقد مات كل مَن لم يكن قويًا كفايةً ليتحمل هذا الارتجاج الأرضي.

حزنت جدًا لما رأيته، وحزنت على الأجزاء التي تدمرت في مدينتنا، ولكننا نواجه مشكلة أخرى.

إن الطريق مسدود أمامنا إثر الأنقاض، وبسبب الارتفاع الذي نعيش فيه في الأسفل الذي لا يبلغ أكثر من ستة أمتارٍ، فتكومت الأنقاض وكونت بذلك أكوامًا تسد لنا طريقنا نحو المدينة.

فتساءل «وحيد»:

- ماذا نفعل؟

قلت بعد تفكيرٍ:

- سأتراسل مع خالي عبر شريحة الاتصالات.

فقال «وحيد» في لهفةٍ:

- نسيت أن أخبرك بأنني تراسلت معه قبل أن يحدث كل هذا، وأن أيوب وافق على توحيد الصفوف.

نظرت نحوه فرحًا لما أسمعه، إنه الوقت المناسب لتوحيد الصفوف؛ لأنهم رأونا بالفعل وعاجلًا أم آجلًا

سيعملون بوجود بشرٍ غيرنا، وسيعلنون الحرب علينا خصيصًا إن ما حدث في عالمهم قد حدث في وجودنا وكشفهم لنا؛ هذا سيعجل من الحرب.

فأخرجت شريحة اتصالاتي وأرسلت رسالةً إلى خالي كان محتواها:

«مبروك توحيد الصفوف، ولكن عليك العودة سريعًا بالقوة المعترضة والمتهورة، لقد حدث شيءٌ لا بد وأن تراه، نحن معلقان هنا عند حدود المدينة الشمالية».

وبعد ثوانٍ استقبلت رسالةً محتواها:

«لا تتحرك سآتي على الفور».

قرأت الرسالة وتعجبت حين قرأتها، انعقد حاجباي، فلاحظ «وحيد» ذلك وسألني ماذا هناك فأجبته متسائلًا:

- لماذا يقول خالي سآتي؟ لماذا لا يقول سنأتي؟ إنه يتكلم بصيغة المفرد.

فأجابني «وحيد»:

- لأنه هو فقط الذي يكتب لك.

نظرت نحو «وحيد» غير مقتنعٍ بكلامه وقلت له:

- خالي في جميع الأحوال لا يتكلم بصيغة المفرد؛ لأنه يحب الجماعة حتى لو كان سيفعل شيئًا بمفرده.

لم يجبني «وحيد»، فتوجست قليلًا وأخذت أفكر، ثم جال في رأسي شيءٌ فطلبت من «وحيد» أن يعطيني شريحة اتصالاته، فأخذتها وفتحت الرسائل وقرأت تلك التي كانت بين «وحيد» وخالي ثم ...

ثم تمكلني الذعر؛ نظرت إلى «وحيد» متوجسًا جدًا، وقلت له والهواجس تتضارب في رأسي:

- إنه ليس خالي الذي كان يحادثك.

- ماذا؟!

قالها «وحيد» في فزعٍ، فأجبته:

- إنني أعلم حقًا طريقة خالي في الكتابة.

صمت قليلًا وأخذت أفكر بعمقٍ شديدٍ، وشرعت أعيد وأرتب الأحداث والمحادثات، وأحلل الموقف من جميع الاتجاهات ثم استطردت بعد تفكيرٍ عميقٍ:

- لم تتوحد صفوف العالم السفلي، وخالي و«ماجد» و«دينا» بحوزة «أيوب» الذي رفض التحالف. والمشكلة هو أنه يعلم بأمر الكتاب، كما أنه يعلم بمكاننا أيضًا وهو الذي سيأتي على الفور.

تمكله «وحيد» الذعر وتساءل في قلقٍ:

- ماذا سنفعل؟ هل سنعود للعالم العلوي؟

أجبته بعد تفكيرٍ:

- العالم العلوي لم يعد بأمانٍ لنا، لقد انتهى بالفعل أمر الصاعد، والطريق أمامنا لدخول مدينتنا مسدودٌ

لم يبقَ سوى شيءٍ واحدٍ.

سأل «وحيد» في لهفة:

- ما هو؟

صمت قليلًا وكأنني على وشك قول شيءٍ لم ولن أتوقع أن يحدث على الإطلاق، ثم أجبته في توجس مخلوط بخوف:

- ليس أمامنا سوى الطريق الطويل الذي يصل العالم السفلي كله بالفجوة، وهو طريق الفراغ الشرقي، سنعبره لنذهب إلى مدينة المجانين.

وأضفت في حماس:

- سنتحالف مع الجنوب.

الفصل الثاني

العزّافة

@ART_OF_BOOK

مريم

أتواجد في مكاني المفضل، مكاني الذي أمارس فيه أعمالي، أو بمعنى أدق الذي أمارس فيه طقوسي إنه مكان الظلمة كما ندعوه.

إنني مغلقة العينين أحاول أن أرى الطالع، أو أتكهن بالمجهول، جالسةً وسط رسمةٍ رسمتها بنفسي على الأرض بالطبشور، تمثل مثلثين متلاقيين؛ لتوحي بمَن يراها أنهما نجمة كبيرة تتواجد بين فراغتها بعض الأحرف الرونية.

كما أنني أتصبب عرقًا بسبب سخونة الجو أو بمعنى أدق سخونة المكان خاصتي؛ لأنني أجلس أمام شمعة وحيدة هي التي تبث الضوء الوحيد الذي ينير ظلام الغرفة.

وبالطبع لا يخلو المكان من روائح البخور التي تنبعث منها الدخان في جميع أرجاء المكان، سيعتري مَن يدخل إلى هذا المكان لأول مرة الشعور بالخوف والرعب، أما ما أستطلعه الآن إنه شيءٌ مخيفٌ بالفعل .. شئ ... ثم

ثم دخل الغرفة مَن قطع طقوسي؛ إنها «سارة» صديقتي الوحيدة ومساعدتي الأمينة.

فقالت لي متسائلة:

- هل ترين أشياء جديدة يا «مريم»؟

فرمقتها بنظرةٍ ساخطةٍ وقلت لها:

- إنني كنت أحاول ذلك قبل دخولك لينقطع حبل تكهناتي.

فبادلتني هي تلك النظرة الساخطة دون أن تتحدث، ففهمتها وقلت لها:

- أنتِ تعرفين تمامًا أنني لا أمارس الجدل والكذب.

ثم أضفت وأنا ضاغطةٌ على كلامي:

- كما قلت لكِ كثيرًا إنني درست كثيرًا علم الفلك والتنجيم من كتب الخيميائيين الذين عاشوا في الزمن القديم، بل كانوا الأولين في الزمن القديم.

فحولت نظرتها لتوجه لي ابتسامة تعبر عن الحب قائلةً:

- وأنتِ تعرفين كم أحبك! وكم أثق بكِ ومؤمنة بكِ! لكن ما في الأمر هو أن هناك إحساسًا لا إراديًا بداخلي يجعلني أشعر بأنني سأفقدك في يومٍ من الأيام.

إنها أصدق شخص عاملته في حياتي، لها علاقة وثيقة بربها، كم أحبها وكم تحبني، ولكن ما حدث معها يجعلني أريد أن أحتويها لكي أعوّض خسارتها الكبيرة.

لقد فقدت والديها، وتبحث عن أخيها الذي تؤمن بأنه لا زال حيًا بعد مرور خمسة أعوامٍ، لكنها لا تريد أن تخبرني بما حدث معها بالضبط، وأنا بدوري لم

أجبرها على فِعل ذلك حيث لا أريد أن أكون السبب في تذكيرها بأشياء لا تريد أن تذكرها، أو أكون سبب في إعادة أوجاعها.

فكل ما أخبرتني به هو أنها فقدت والديها في حادثٍ أليم، ثم قتلوا أخيها، لكنها لا تصدق ذلك بل في الحقيقة أراها إنها لا تريد أن تصدق ذلك.

ومعرفتي بها هو أنني وجدتها ملقاةً كجثةٍ هامدة مليئة بالجراح منذ أربعة أعوامٍ في أقصى الحدود الجنوبية لمدينتنا، إنه المكان الذي لا أحد يذهب إليه إطلاقًا حيث أنه أبعد مكان من المدن الأربعة، فأخذتها وعالجتها ومن حينها أصبحت ممتنةً لي وظلت معي حتى أحببتها بدوري وظللنا معًا حتى الآن.

دي

بادلتها الابتسامة وقلت لها:

- يبدو أن الأمر سيفلح معكِ.

فأجابت «سارة» ساخطةً:

- هل مرة أخرى يا «مريم»، قلت لكِ مرارًا، إنني لن أكون منجمة ولن أستطيع ذلك.

تحدثت بدوري:

- ستستطعين، وستفعلين يا سارة.

فسألتني متحذلقة من هذا الحوار:

- فلتخبريني ماذا رأيتِ؟

تبدلت الابتسامة في الحال وعدت أتذكر ما كنت أستطلعه؛ لأن ما كنت أراه ليس بالأمر الهين على الإطلاق.

فعادوت إغلاق عيني، وأستأنف طقوسي التي ظللت عمري كله أدرسها لأتقنها، والحمد لله إنني في العام الرابع والعشرين من عمري وأتقن عملي جيدًا رغم صغر سني. أما «سارة» التي تتنظر بجواري لأخبرها عمّا أراه إنها تصغرني بعامين.

وبدأت أتحدث مغلقة العينين؛ إنني أرى شيئًا غريبًا شيءً لم أره من قبل، شيءً لا أستطيع أن أجد تفسيرًا له، الرؤية لا زالت مبهمة، إنها صورة باهتة بلا ملامح.

في الحقيقة إنني أرى شيئين .. لكنهما ..

لكنهما شيئان متشابهان مختلفان ..

وهنا سمعت «سارة» تتساءل في تعجب:

- ماذا؟

أرى شيئين متشابهين لكنهما مختلفان، شيئان نقيضان لكنهما متوازيان..

أرى الشر والخير ..

أرى الندم والأمل ..

الدمار والبناء ..

الحرب والسِّلْم ..

الماضي والمستقبل ..

التقدم والرجوع ..

القديم والحديث ..

الخوف والأمان ..

ناطحات السحاب والكهوف ..

السر والعلن ..

الحياة والموت ..

ثم تساءلت «سارة» مرة أخرى:

- لا أفهم شيئًا، كيف ذلك؟

فغمغت:

- وأنا أيضًا، لا أفهم شيئًا، لكن هذا ما أراه.

فقالت:

- ألستِ مُنجِّمة؟

أجبتها:

- إنني عرّافة، أتكهن بما أراه، وما أراه ليس إلا ملامح، فأستطلع المجهول بناءً على ما أفهمه وما أسمعه ومَن أتعامل معه، بالإضافة لخبرتي وحساباتي التنجيمية.

ثم صمت في حيرة، وأردفت:

- ولكن هذه المرة ليس هناك مَن أتعامل معه وأسمعه، إنني أرى كل شيء مبهم وفي الفراغ.

فسألت في حيرةٍ أكثر:

- ولكن كيف لنا أن نتيقن؟

فأجبتها:

- سنعرف، سيظهر لنا الواقع بنفسه ما نتكهن به.

ثم صمت قليلًا، كان سبب صمتي هذا هو ما أراه الآن وفجأة ..

فجأة فتحت عيني على آخرهما كالمصدومة، حدقت في الفراغ من الدهشة فلاحظت «سارة» ذلك وسألتني في لهفةٍ:

- ماذا؟ ماذا ترين؟!

أخذ الأمر مني وقتًا لكي أتحدث كأنني أفكر فيما أراه؛ حيث أنني أرى أيضًا شيئين لكنهما غريبان فأجبتها بحدقتي عينين واسعتين:

- إنني أرى فؤوس وفولاذ!!

الطريق

قبل خروجهم من المدينة الوسطى ووسط الأنقاض التي تتساقط عليهم، كان هناك مسكنٌ أو خندقٌ مهدومٌ، فرأوا أشياءً لامعة تحت تلك الأنقاض بدت لهم كالمعادن، وفي نهاية كل جزءٍ يمثل ذلك المعدن ذراعًا من الخشب، فاقتربوا نحو ذلك الخندق المهدوم؛ فيتقنوا أن تلك المعادن والأذرع ما هي إلا فؤوس! فالتقط ماجد إحدى تلك الفؤوس وحاول بقدر الإمكان أن ينزل هذه الفأس على قيود «دينا» أو «فهمي»، ولكن وبسبب يديه المقيدين خلف ظهره لم يستطع أن يفعل ذلك، وحاول كلٌ منهم فعل ذلك لكن فشل الثلاثة فرآهم أحد سكان المدينة كان في الأربعينات من عمره، فاقترب نحوهم.

لقد دخل الذعر في قلوبهم حين رأوا ذلك الشخص، وفكروا أن أمرهم قد كُشِف، لكنهم تفاجأوا حين مد ذلك الشخص يده نحوه ماجد دون أن يتحدث كأنه يريد أن يخبره بأن يعطيه تلك الفأس.

تردد «ماجد» في البداية، لكن سبقه ذلك الشخص وأخذ الفأس من يده ورفع ذراعه ممسكًا بالفأس ثم أنزلها بكل قوته، فهوث الفأس على قيود «ماجد» فانفصلت وتخلص من قيوده.

وقد فعل «ماجد» بدوره مع «دينا» و«فهمي»، ففك الجميع قيوده ثم توجهوا إلى الشخص الغريب

وعبروا عن شكرهم له، وسألوه لماذا فعل هذا فأجابهم:

- ليس جميعنا متهورين، كما أننا ليس جميعنا راضيين بأمر تلك الساحة الذي يموت فيها المساكين والذين ليس لهم قوة.

ثم صمت وبدا عليه الحزن فأضاف مشيرًا للفأس:

- كما أن ابن أخي كان من ضمن ضحاياهم الذي مات بمثل هذه الفأس.

شعر الثلاثة بالأسى عليه وعلى الضحية ابن أخيه، وعبروا عن شكرهم وامتنانهم ثم غادرهم ذلك الشخص الغريب.

اقترب الثلاثة نحو تلك الأكوام الترابية التي تغطي الفؤوس، والتقط كل واحدٍ منهم فأسًا آخذين احتياطهم حين يقابلهم أي شيءٍ يهدد طريقهم إلى الجنوب.

وبعد مسيرة يومين وصلوا إلى خارج حدود مدينة المتهورين، واستوقفهم ذلك المشهد المخيف الذي يرونه أمامهم، إنهم يرون مدخل مدينة الجنوب الذي كان عبارة عن ظلام قاتم، فما يخيفهم حقًا هو أنهم لا يرون شيئًا إطلاقًا.

اقتربوا أكثر ليكتمل ذلك المشهد ليوحي لهم أنه أكثر خوفًا، فكلما يقتربوا يزداد المشهد رعبًا؛ إنهم بالكاد يرون دخانًا كثيفًا يتصاعد للأعلى، فبدا

المشهد لهم أن دخانًا يتصاعد من الظلام نفسه، دخان يتصاعد من لا شيء!! إنه فقط ظلام ودخان.

فقالت «دينا» في ذعرٍ:

- صدق مَن أسماها مدينة المجانين.

ثم تحدث «ماجد» معبرًا عن رأيه:

- بل مدينة الرعب.

ثم قال «فهمي»:

- لا تتعجلا الحكم، إنكم على وشك دخول مدينة الأشباح.

***

أخذا طريق الشرق طريق الفراغ اللا شيء؛ طريق اتصال المدن الأربعة بالفجوة متجهين نحو الجنوب، نحو الجنون .. نحو الجن والأشباح.

وصلا إلى منتصف طريقهم حتى تساءل «وحيد» موجهًا حديثه إلى «آدم»:

- لم تخبرني هل أتيتَ بالكتاب؟

ثم قطع عبارته بنفسه حين تذكر أنه لم يكن كتابًا كما خُيِّل لهم، ثم أردف:

- حسنًا .. أقصد هل أتيتَ بما يحتوي على المعلومات التي نريدها؟

فأجابه «ادم»:

- بل السؤال الأكثر دقةً هو .. كيف كان الكتاب؟

فنظر نحوه «وحيد» منعقد الحاجبين في انتظار أن يستأنف «آدم» حديثه، فأردف الأخير:

- إنه كتاب بالفعل، لكنه ليس كتابًا ورقيًا، لقد كان كتابًا إلكترونيًا، بل بمعنى أدق إنه كتابٌ رقمي لم أرَ مثله من قبل، لقد كان عبارة عن ...

وشرع «آدم» يصف له شكل الملف الرقمي الذي كان يحتوي على المعلومات التي تساعدهم في هزيمة العالم العلوي، وكيف كان مُشفرًا بطريقةٍ غريبةٍ ومعقدة للغاية.

وفي كل مرة يغوص «آدم» في وصف القرص ينعقد حاجبا «وحيد» أكثر وأكثر، وجحظت عيناه واتسعت على آخرهما حين وصل الأول في وصف الشرارة والصعقة التي ضُعِق بها، ودمرت كل شيءٍ من حوله وكانت سببًا في الإمساك به.

وبعد أن انتهى «آدم» من حديثه حزن وحيد جدًا وقد عبر عن استيائه لـ «آدم» في غلظة:

- لو لم نسمع لاقتراحك من الأول، ما كان هذا حالنا.

نظر «آدم» نحوه في ألمٍ داخلي، ثم أخفض عينيه للأسفل كأنه نادمٌ، لكنه نادمٌ على فشله في تحميل المعلومات، لا على ما فشل خطته، فصمت الاثنان قليلًا، ثم أضاف «آدم»:

- ولكن ما قد رأيته بالأعلى ونتيجته على العالم السفلي يدل على أننا فعلنا ذلك في التوقيت المناسب. ألم يتضح لك الأمر بعد؟ حتى إن لم تسمعونني من البداية ولم نصعد لهذه المهمة الانتحارية، ولم يذهب خالي وصديقي وخطيبته إلى الغرب هل كان ذلك سيمنع سقوط تلك الأنقاض على هؤلاء المساكين؟ بل كانت بالفعل ستسقط علينا نحن أيضًا.

لم يرد «وحيد» بشيءٍ بل ظل صامتًا نادمًا على ما تفوه به منذ قليلٍ؛ آسفًا لطريقة حديثه مع صديقه، ثم قرر أن يعبر عن خطئه، فقال ل «آدم»:

- أعتذر منكَ، سامحني لم أكن أعرف ماذا أقول كما أنني مستاءٌ أننا لم نحصل حتى على الكتاب.

أومأ «آدم» بقبوله لاعتذاره وأعرب عن موافقته لكلام صديقه دون أن يتحدث.

فأردف «وحيد» قائلًا:

- ولكن ما وصفته لي الآن يفسر ما سمعته بالأعلى بتلك القاعة.

بدا على وجه «آدم» الاهتمام لما يقوله «وحيد» فتساءل في لهفةٍ:

- ماذا سمعت؟

فأجاب «وحيد»:

- بعدما علمت بأنه ليس كتابًا ورقيًا وأنه كتابٌ

رقمي حين سمعتهم يقولون أنه غير قابل للحذف أو النقل بل قابل للنسخ فقط. سمعت أيضًا أنهم يحتفظون به في مكانٍ بعيد عن الأعين، وأنهم يعرضون منه المعلومات على شاشاتهم عن طريق الاتصال غير المباشر دون أن يرى أحدًا أين الكتاب أو القرص؛ وبذلك يستخدمونه دون أن يلمسونه أو يرونه.

فأومأ «آدم» قائلًا:

- نعم! وبذلك أيضًا يتفادون محاولات الاستنساخ.

فأكمل «وحيد» حديثه:

- ولكن الأهم من ذلك هو أنهم أوضحوا أن هناك شيئًا ما لا أعرف ماهيته يضعونه على هذا الكتاب «القرص» يجعل كل من يلمسه يموت.

اصطدم «آدم» بتلك العبارة الأخيرة، وانعقد حاجباه على آخرهما وتساءل:

- ولكن ها أنا أمامك الآن.

استكمل «وحيد»:

- وهذا ما يحيرني كثيرًا، كيف ذلك؟

فقال «آدم»:

- دعك من هذا وقل لي: هل لك أن تعلم بأمر ذلك الشيء الذي يضعونه على هذا القرص؟

أجاب «وحيد» في تفكير:

- إنه أشبه بموجاتٍ كهرومغناطيسية تقتل كل من يقترب نحو القرص ويلمسه.

فقال «آدم» بنظرةٍ ثاقبةٍ وحدقتي عينين ضيقتين:

- وهذا يفسر وضعهم للقرص في أعلى مبنى لديهم، بل في أعلى طابق متواجد داخل أعلى مبنى لديهم؛ ليكون الكتاب بعيدًا عن الجميع، إنهم وصلوا إلى المستحيل.

ثم تساءل «وحيد» في إصرارٍ من تعجبه:

- ولكن ما زلت أتساءل كيف لم تقتلك تلك الموجات؟!

فأجابه «آدم» بذات النظرة الثاقبة وحدقة العين الضيقة:

- لربما بسبب ذلك السر الذي كنت قد اقتربت من إفشائه إليهم.

رد «وحيد» في في القليل من الغضب:

- لماذا فعلت ذلك؟ لقد كنت على وشك الإفشاء عنه بالفعل.

أجابه «آدم» واثقًا:

- كنت أحميك.

ثم صمت قليلًا ناظرًا إلى صديقه، وقد لاحظ تقلص وجهه، فأردف:

- أعلم جيدًا أن هذا السر يذكرك بأختي؛ الفتاة التي لم تحب سواها، ومنذ موتها وأنت ترفض فكرة الزواج بغيرها.

ظل الاثنان يسيران لأميالٍ حتى كاد التعب والإجهاد يتملكانهما، فقررا أن يأخذا قسطًا من الراحة، فجلسا على حافة الطريق بعد أن اقترح آدم وقال:

- لن نظل كثيرًا هنا، ف «أيوب» قد يكون وصل إلى حدود مدينتنا، وعرف أننا لسنا موجودين هناك، وحينها سيلاحقنا لطالما علم بأمر الكتاب.

فقال «وحيد»:

- ولكن الكتاب ليس بحوزتنا.

فأجابه «آدم»:

- لن يصدقنا، وسيظن أنه بحوزتنا بالفعل ونخفيه عنه.

أسند «وحيد» ظهره على الحائط المهدوم نصفه الكائن خلفه، وقال في تنهد:

- أتساءل أين الخال وصديقنا «ماجد» وخطيبته الآن؟

تابعه «آدم» وأسند ظهره وقال دون أن ينظر إليه:

- لو كانوا بحوزته ما كان قال لي أنه سيأتي على الفور، بل كان سيهددني بهم مقابل أن أعطيه

الكتاب.

صمت قليلًا ثم استطرد:

- إنهم عالقون في مكانٍ ما بعد سقوط الأنقاض كما نحن الآن.

شرع الاثنان يستأنفان مسيرتهما نحو الجنوب، يتصببان عرقاً يستفدان قوتهما يخرّا مجهودهما، يبلعان ريقهما عطشًا، تتأرجح أرجلهما تعبًا حتى قرابة الستة ساعات من بعد راحتهما.

كانا يشعران في طريقهما بالرطوبة ويشمون رائحتها بسبب قرب ذلك الطريق من البحر، وبسبب أنهم بالعالم السفلي أي أقل من منسوب المياه فكانا يرون الطحالب على حوائط وجدران طريقهم.

يرون الناس من حينٍ لآخر هؤلاء الذين يهرولون من مدنهم بسبب سقوط مساكنهم، تلك المساكن الكائنة على الحدود الشرقية للمدينة حيث سقطت مكونة أكوامًا من الأنقاض سدت الطريق عليهم؛ فتعلقوا بالخارج غير قادرين على دخول مدينتهم مثلما حدث معنا على الحدود الشمالية. بالطبع، من يسكن عند حدود مدينته فهو عسير الحظ دائمًا، كان منهم من تعرفا عليهم في البداية لأنهم من سكان مدينتهم، ومنهم المجهولون لهم فيبدون من سكان مدينة المعترضين أو المتهورين.

وفي الأخير وصلا بعد مسيرة شاقة قاسية استمرت حتى اليومين ونصف، استوقفهم ذاك

المشهد المخيف الذي لم يشاهدا مثله من قبل؛ فكان ذلك المشهد غريبًا بالنسبة لهم في عصرٍ مثل الذي يعيشونه هذ.

كان المشهد هو اللا شيء، كان يخيفهم أنهم لا يرون شيئًا سوى الدخان الصاعد من الظلام.

فقال «آدم»:

- يبدو أننا وصلنا إلى مدينة السحر.

***

وصل «أيوب» عند الحدود الشمالية لمدينة المحافظين، وأزال بعض رجاله «حراسه» الأنقاض التي سدث الطريق على «آدم» و«وحيد»؛ ليتمكنوا من اختراق الطريق وخلقوا منفذًا فعبروا من خلاله فوق الأنقاض، فتفاجأ أيوب بعدم وجود «آدم» و«وحيد» فتساءل مساعده الأقرب «كرم»:

- إلى أين قد ذهبا؟

أعاد «أيوب» صيغة السؤال بعد تفكير:

- بل إلى أين قد هربا؟

فانعقد حاجبا «كرم» ليحاول أن يفهم رئيسه، فأردف الأخير:

- لقد علما بأمر الرسائل، يبدو أن «آدم» أكثر ذكاءً ما توقعت.

ثم تساءل المساعد «كرم» في حيرة:

- وإلى أين هربا؟

نظر «أيوب» أعلاه وبعدها مباشرة أمر «كرم» مساعده الأقرب وقال له:

- خذ معك بعض الحراس واصعد إلى الأعلى وابحث عنهما.

فأومأ «كرم» بالإيجاب المخلوط بالقلق والخوف .. الخوف من الأعلى؛ فهذه أول مرة له ولا أحد يصعد للأعلى سوى «آدم» و«أيوب»، فلاحظ «أيوب» ملامحه التي تغيرت فقال له:

- لا تنسَ يا «كرم»، أن تتقلد بهم.

فأومأ «كرم» مرة أخرى وذهب ببعض الحراس إلى طريق السرداب الذي يؤدي للأعلى.

ثم نظر «أيوب» حوله إلى جميع الاتجاهات، وركز بصره على ذلك الطريق الفارغ الشاسع، وقال بنظرةٍ ثاقبةٍ:

- لا بد وأن نحصل على ذلك الكتاب، فلنتجه نحو الجنوب.

كان قد وصل «كرم» إلى الفجوة وصعد إلى الأعلى، وأخذ طريقه دون أن يغلق خلفه الفجوة.

السر

وبعد أن جحظت عيناي بعدما أخبرت «سارة» أنني رأيت فؤوسًا وفولاذًا، سمعنا صوت طرقاتٍ صاخبةٍ عاليةٍ متوترةٍ؛ ففزعنا ثم نهضت «سارة» لتفتح الباب للطارق .

كان الطارق الشخص الذي أكِنُّ له كل ما هو طيب، ولكنني لا أطيقه حين يغازلني؛ لأنه يفعل ذلك بدافع حبه لي ومراده بالزواج بي كما يخبرني، لكنني لا أكِنّ له سوى الخير والحب، لكن ليس هذا النوع من الحب .. كان ذلك «فاروق».

ركض فاروق نحوي وأخبرني أن أحد الجدالين الكذابين في قبضته ثلاثة أشخاصٍ منهم فتاة.

فقلت له في عدم اهتمامٍ:

- وما لي بهذا الأمر؟

انعقد حاجبا «فاروق» وقال في دهشةٍ:

- ألم تمقتي دائمًا أفعال هؤلاء الدجالين الكذابين؟

أجبته:

- نعم، أمقته بالفعل، لكنني لا أريد أن أشن حربًا على نفسي مع هؤلاء الثعالب.

ثم ضيقت حدقتي عيناي وسألته:

- أم تريد أن تصنع حجةً تدخل بها إليّ وتتحدث

عنها معي.

أنزل بصره إلى الأسفل، فيبدو أنني فهمت ما بداخله، فابتسمت «سارة» بجواري ثم قال متحذلقًا محاولًا أن يغير اتجاه الحوار.

- يبدو عليهم من الأشرار.

انعقد حاجباي وسألته في تعجبٍ:

- ولِمَا تقول عليهم ذلك؟

فأجابني تلك الإجابة التي غيرت اتجاه النقاش تمامًا، الإجابة التي بدلت عدم اكتراثي إلى أن أصب كل اهتمامي لهؤلاء الثلاثة، لقد قال لي:

- كان معهم فؤوس.

انتفضت من مكاني فانتفض معي «فاروق» و«سارة» حيث كان الاندهاش على الأول أكثر، وسألت في لهفةٍ:

- أين هم؟

أجابني بمكانهم، فاتجهت نحو الباب وقبل أن أكون بالخارج قلت ل «سارة»:

- ابقي مكاني يا «سارة».

نظرت «سارة» نحوي بتلك النظرة التي أفهمها تمامًا، فأردفت بقولي لها:

- ستعرفين يا «سارة»، بالإضافة إلى أنني لا أثق بأحد سواكِ.

ودعتني «سارة» ملبيةً لكلامي وخرجت ومعي «فاروق» الذي كاد أن يطير فرحًا؛ لأنه يسير معي حيث وجد منفذًا يتحدث من خلاله معي.

وصلتُ إلى مسكن ذلك المشعوذ الأحدب، ودلفتُ إلى الداخل ورأيتُ الثلاثة في قبضته في حضرة ثلاثة من الأشداء التابعين للدجال.

كان أحدهم يرتدي القبعة فوق رأسه، ذو لحية ويبدو عليه الوقار والحكمة، كان الأكبر عمرًا، والآخر نحيف أملس الوجه، يبدو لي كالولهان في عشق الفتاة السمراء التي بجواره، قصيرة القامة التي سمعتها تقول أثناء لحظة دخولي:

- يبدو أن في كل مرة ندخل مدينةً ما يتم القبض علينا.

لا يبدو عليهم الشر كما أخبرني فاروق، أراهم أناسًا عاديين بل وأكثر منا خيرًا؛ فنحن سكان الجنوب يملأنا الحقد والكراهية والأهم من ذلك فلدينا الكثير من الخداع والمكر، إنها مدينة الشعوذة والجن والكذب.

لم يرحب بي الدجال الأحدب، بل تغيرت ملامحه للشر حين رآني، وقال لي مشيرًا بسباته نحوي:

- إنهم ملكي.

فقلت له:

- إنهم بشر مثلنا.

فسألني في حقدٍ:

- ماذا تريدين؟

أجبته:

- لقد رأيت رؤية و ...

قطع ذلك الأحدب حديثي بقوله الغاضب الماكر:

- هل تصدقين نفسك؟

أجبته في دهشةٍ مستنكرةٍ:

- وهل أنت كذلك؟

ثم أشرت أنا هذه المرة بسبابتي مقتربةً نحوه وقلت في حزمٍ .. حزم شديد للغاية، فبدا عليه الخوف والتقهقر؛ لأنه يعلم تمامًا مَن أكون ومَن هو يكون، يعلم تمامًا بكذبه كما يعلم بخبرتي وصدقي، فقلت له:

- إنهم ملكي.

لم ينبس ببنت شفةٍ، فوليت بنظري نحوهم، رأيتهم يجثو كل منهم على ركبتيه، ثم لاحظت تلك الفؤوس التي كانت على المنضدة أمامهم، فانعقد حاجباي وتساءلت في حيرةٍ ودهشةٍ:

- أين الفولاذ؟

تبادل الثلاثة النظرات فيما بينهم كأنهم لا يفهمون سؤالي، ولكن لا أعرف لماذا أشعر بأن أكبرهم سنًا

متغير الملامح، فبدا لي أن هناك شيئًا بداخله لا يريد البوح به.

وأخيرًا انتبهت بأنني بمكانٍ لا يصلح فيه أبدًا الحديث في شيءٍ مثل هذا، فاقتربت نحوهم وقلت لهم:

- اتبعوني!

وأخبرت «فاروق» ألا يأتي معي، خرجنا إلى خارج المنزل وأعربوا عن شكرهم لي؛ لأنني خلصتهم من ذلك الأحمق، ثم سألني الأكبر سنًا في لهفة وبدون أي تنبيه:

- أين قائد المدينة؟

أجبته في تعجبٍ من سؤاله:

- لا يوجد قائد هنا، السحر فقط هو قائدنا.

لاحظت عدم اكتراثه لما أقوله، بدا لي أنهم من النوع الذي لا يؤمن بالسحر.

ثم تعارفنا أثناء طريقنا في وسط المدينة، وشرع الثلاثة يحكون لي ما أصابهم وما حدث معهم وصولًا إلى هنا، ولماذا يسأل عن القائد هنا بسبب فكرة قريبة للجنون في العودة إلى الأعلى، ذلك الشخص الذي أشبه أن يكون من سكان مدينة المجانين، كم أتشوق لرؤية ذلك المجنون الصاعد المدعو «آدم».

وقد عرفوا عني أنني عرّافة وأدعى «مريم»، وغير

كل الدجالين الذين يعيشون هنا، وأن قليلين مَن هم مثلي.

وبعد نقاشٍ ودي طال، قررت أن أدخل في صلب الموضوع، فسألتهم:

- أين الفولاذ؟

فتبادلوا ذات النظرات فيما بينهم، ولاحظت ذات الملامح على وجه «فهمي» التي تشير إلى الكتمان على أمرٍ ما، فقال لي:

- أي فولاذٍ تقصدين؟

فأجبته:

- قبل أن يأتيني «فاروق» بخبر القبض عليكم رأيت رؤية؛ أبصرت فيها شيئين: الفؤوس والفولاذ. وها أنا أرى الفؤوس، ولكنني لا أرى الفولاذ.

أجابني متحذلقًا:

- إنها رؤيتك .. لا رؤيتنا؛ فتخصك بمفردك.

قلت له في حزم:

- إنني لا أرى الرؤى بدون أهدافٍ خلفها، لطالما رأيت شيئًا فهذا يعني أن هناك شيئًا سيحدث ومرتبطًا بي، أو بهذه المدينة بطريقةٍ أو بأخرى، ثم لم تتعدَ دقائق ورأيت الفؤوس، وهذا يعني أننا جميعًا مرتبطون بهذا الأمر. ولكن البازل ينقصه قطعة؛ فإن كنتم تعلمون بأمر الفولاذ أخبروني به؛

لتكتمل القطع وأستطيع أن أساعدكم في مسعاكم.

فسألني الذي يُدعى «ماجد» في غباءٍ مستنكرٍ:

- ولما عساكِ تساعدينا؟

فنغزته خطيبته «دينا» وقالت له ضاغطةً على أسنانها:

- إننا طلبنا ذلك للتو.

نظرت إليهما، ثم إلى «فهمي» وأكملت حديثي:

- إنني أستطيع أن أقنع الكثير هنا بالانضمام لكم.

قال لي «فهمي» في حذرٍ:

- كان يقصد «ماجد» لماذا مهتمة بمساعدتنا إلى هذا الحد؟ لأن هذه أول مرة نرى فيها بعضنا فتتحدثين كأنكِ منا، لكنه غشيم ولا يعرف ماذا يقول أو متى يقول.

تنفست الصعداء وأجبته:

- لقد سبق وأخبرتك برؤيتي، وبما أنكم في رؤيتي في هذا يهمني كثيرًا، وهذا يعني أنكم في طريقي وأبغي أن أستدرك بعض الأشياء الأخرى، وخصيصًا لكي أفهم بقية رؤيتي؛ فهناك أشياء غامضة مبهمة لا أفهمها، فأريد أن تتضح أمامي الصورة، وبعدما تقابلت معكم ورأيت تلك الفؤوس فأنتم لكم علاقة بهذه الأشياء المبهمة.

ولم يلبث فلاحظت ملامح وجهه التي تقصلت،

ورأيت كم التساؤلات في عينيه، ثم سألني في لهفةٍ:

- أي أشياء؟

شرعت أحكي له موضوع الشيئين المختلفين المتشابهين؛ الشيء ونقضيه مثل: الحرب والسلم، البناء والدمار، الحياة والموت، وبعدها مباشرة رأيت الفؤوس والفولاذ، ثم أضفت في ترقبٍ:

- وبما أنكم أصحاب الفؤوس فأريد أن أعلم أين الفولاذ؟

بدا القلق والتوتر يتسرب بداخلهم بعد سماعهم لبقية رؤيتي، ورأيت على ملامحهم تصديقهم إياي، وبعد تفكيرٍ عميقٍ دار بداخله فقرر أخيرًا أن يقول ما كان في قمة الاندهاش والصدمة، قال أغرب شيءٍ أسمع به في حياتي، لقد قال:

- «آدم» هو الفولاذ.

وكأن ما قاله صعقني، لن أنكر كم الذهول الذي فيه غارقة، كيف ذلك؟! هذا يعني أن «آدم» روبوت! ولكن كيف؟ إنهم أمامي بشرًا!! أم يكذبون وهم في الحقيقة روبوتات؟ لا أعرف كيف ذلك؟ وظللت أفكر في كل تلك الهواجس حتى قُطِعت بسبب حديث «فهمي» حين قال:

- إننا بشريون، بالتأكيد رأيتِ تغيير ملامح وجوهنا حسب الحديث؛ الأمر الذي يدل على شعورنا بما نسمعه ونقوله والشعور هو ما يفرقنا عنهم، وإن لم

تلاحظي ذلك؛ فبالتأكيد ترين هذا الدم على جباهنا إثر ما حدث لنا في مدينة المتهورين.

بدا الأمر لي منطقي، ولكن لا زال هناك شيء غير واضح، فسألته في حيرةٍ:

- و«آدم»؟ أم أنه ليس ابن أختك؟

أجابني:

- إنه بالفعل ابن أختي، كما أنه بشري أيضًا مثلنا.

لا زلت غارقةً في كم الذهول وسألته في غضبٍ:

- ولكن كيف؟!

أجابني بما أول مرة أسمعه في حياتي:

- سأشرح لكِ الأمر.

لقد تعرض «آدم» وعائلته لحادث فظيع على يد عم «أيوب» زعيم مدينة المعترضين، كان عمر الأول حينها عشرين عامًا، فقتل والدي «آدم» وأخته، وكاد سيقتل «آدم» نفسه لكنه نجا بأعجوبة بعد أن تكسرت كل عظامه إثر مرور عجلات مركبة صغيرة من تلك التي نستخدمها في عالمنا السفلي ذهابًا وإيابًا، فبعد أن رأى أخته تُطعن بسكينٍ حادة؛ فأراد أن يفجر جام غضبه فيهم، فذهب إليهم في الحال ولكنه لم يستطع التغلب عليهم، لقد كانوا يفوقونه عددًا، ولولا وصولي في الوقت المناسب لكان «آدم» الآن ميتًا، ونتيجة ما رأيته وكم الغضب الذي كان بداخلي الذي كان كافيًا لأن أقتل عم «أيوب» بأبشع

طريقة لقد قطعتُ جسده!!

ثم نقلنا «آدم» سريعًا وأجرى بعض المختصين في مدينتنا العمليات له التي أفادت بتبديل جميع عظامه بالفولاذ القوي، ومن ثَمَّ استرد عافيته وأصبح أسرع شخصٍ في العالم السفلي، إنه سريعٌ مثلهم.

أما عن سبب هذا الحادث فكنتُ أنا السبب حين أحببت أخت المذكور «عمة أيوب»؛ فرفض هو ذلك وهددني بأختي «والدة آدم».

ثم نفذ وعده وقتل أختي وزوجها وابنتهما «ضحايا حبي»، ومن حينها قررت ألا أتزوج وأن أتفرغ ل «آدم» فقط.

والآن لم يعد متواجد ذلك الشخص المذكور أو التي أحببتها، أو أخوهما الذي هو «والد أيوب»، فقط أنا لا زلت حيًا من هذا الجيل.

لقد انتهى «فهمي» من حديثه، ولا زلت في كم الذهول المتزايد، وحزني على ما حدث لعائلته، لا أجد الكلمات المناسبة لمثل هذا الموقف، بل لا أتعرض لمثل هذا الشيء في حياتي، إن ما أجيده حقًا السحر والتكهن.

فأنقذني هو من ذلك المأزق بقوله:

- إنه سرّ لا أحد يعرفه.

- لم يعد سرًا.

@ART_OF_BOOK

كان صوتًا غريبًا قال هذه العبارة، ليس من ضمنهم بل كان آتيًا من الجهة الأخرى، نظرنا جميعًا نحو اتجاه هذا الصوت فوجدته طويل القامة، قوي البنية، ذا شعر طويلٍ ينسدل حتى أكتافه، لحيته خفيفة، لقد كان وسيمًا، ومعه آخر قصير القامة لا أرى على وجهه سوى الشارب، ولكن تساءلت مَن هذان؟ فعلمت مَن هو حين قال الجميع في نفسٍ واحد:

- «آدم»!

علمت أنه ذلك المجنون ومعه صديقه «وحيد»، لقد لُم شمل العائلة مرة أخرى.

اللقاء

اقترب إليهما الثلاثة في اشتياقٍ لم أره من قبل، ثم توالت الأسئلة الكثيرة عليهما، ولكن كان أهم سؤال الذي تساءله «فهمي» موجهًا إياه لآدم:

- ماذا حدث بالعالم العلوي؟ وهل حصلتَ على الكتاب؟

أجابه «آدم» دون تفكيرٍ ولكنه يبدو أن اليأس يتسرب إليه:

- الذي حدث كان من أفعال «نوح».

قال «فهمي» حامدًا ربه:

- الحمد لله لا يوجد صاعدون.

فتساءل «آدم» في تعجبٍ:

- صاعدون؟!

رد «فهمي» آسفًا:

- للأسف، هناك صاعد آخر غيرك.

ثم صمت قليلًا كان الأول جاحظ العينين منتظرًا للحديث بقية، فأردف الأخير:

- لقد كان «أيوب» يصعد مثلك ويفعل ما تفعله أنت؛ لكي يمد مدينتيه بكل ما يحتاجه للحياة في العالم السفلي، حيث بدأ فِعل ذلك منذ أن قطع علاقتنا بمدينتنا.

كنت أنا واقفة بجوارهم دون أن أنبس ببنت شفةٍ، أشعر وكأني أشاهد فيلمًا أو أقرأ رواية لا تخلو من الإثارة والتشويق.

حتى استطرد «فهمي»:

- أين الكتاب؟

أجابه «وحيد»:

- لا يوجد كتاب.

فقال «ماجد» في لهفةٍ واستنكارٍ:

- لا يوجد كتاب؟!

ثم بدأ «وحيد» يشرح لهم ما حدث بالضبط، وكيف بدا الكتاب وما حدث لـ «آدم» وله وأن أضحى العالم العلوي يعلم بوجود بشر. وهم بدورهم يقصوا ما حدث لهم بدءًا من دخولهم عند «أيوب» حتى دخولهم مدينتي. أما أنا فلا أبدل من حالي لا زلت أشاهد الفيلم أو أقرأ الرواية؛ حيث تظل الأحداث في تصاعد مستمر، ولكن ما ألاحظه جيدًا ذلك الحزن في عيني «آدم»، ذلك اليأس والأسف أشعر به؛ لأنني أفهم شعوره جيدًا، إنه يرى أنه هو السبب في كل ذلك؛ لأن ببساطةٍ كان اقتراحه وكانت خطته، ولكن ما حدث كان خارج إرادته في الحقيقة أرى أن «آدم» لم يخطئ ولم يفشل في تنفيذ خطته، لكن دائمًا هناك ما يحدث للخطة ولم يكن في الحسبان فيخلق مسارًا آخر لتلك الخطة، مسارًا لا

يخلو من المنحنيات، وهنا تأتي المثابرة والإصرار؛ الشيئان اللذان أراهما بكّيان ووجدان «آدم».

ظلت مشاعري تنحاز لهم حتى قطع ذلك عبارة «آدم» التي قالها في حزمٍ ناظرًا نحوي، لم ينتبه لوجودي حتى هذه اللحظة حيث قال:

- و«أيوب» في طريقه إلى هنا، لا بد وأن تنتبهوا له.

فسألته «دينا»:

- ولم تظن أنه سيأتي إلى هنا؟ قد يصعد للأعلى بسبب ظنه هو أنك هربتَ للأعلى.

فأجابها «آدم» في ذكاء شخص واضع خطط متحذلق:

- بسبب أنه عَلِمَ أنني كشفته سيعتقد أنني سأفكر فيكم قلقًا عليكم، وسأحاول أن أنقذكم وبما أنكم لم تعودوا؛ فيظن أنكم ذهبتم إلى هنا.

ثم صمت قليلًا وأردف:

- ولكن معكِ حق يا «دينا»، من المحتمل أن يقسم قوته إلى قسمين حيث يصعد آخرون إلى الأعلى بحثًا عنا وعن الكتاب.

ثم نظر إلى خاله بنظرة أسفٍ وندمٍ شديدين، وأضاف:

- وفي هذه اللحظة سيكون هناك صاعدون.

أما أنا لم أصدق أن هناك أحدًا على وجه الأرض السفلية يريد أن يبقى كالأموات هنا رغم حياتنا اللائقة التي نعيشها، مهما كان فهُم على حق، «آدم» على حق لا بد وأن نعود إلى موطننا الأصلي مكاننا حيث من المفترض أن نكون.

ثم ساد هدوء جميل بعد سماعي للقصة التي تبدو في ذروة أحداثها، مما أتيحت لي الفرصة لأتعرف على «آدم»، وبالفعل تم ذلك كنتُ أفعل ذلك بدافع الشعور بهم والأسف نحو حالتهم.

ولم ننتبه بأننا لا زلنا نقف في وسط الشارع نسرد فيه بعض القصص، فدعوتهم إلى منزلي قائلةً لهم:

- لنذهب إلى مسكني، سأعرفكم على صديقتي الصدوقة؛ إنها تشبهكم تمامًا في رأفة قلوبكم ونزاهة ضميركم.

رفض الجميع ذلك بدافع أن ليس هناك وقت؛ لأن «أيوب» قد يكون هنا في أي لحظة.

ومن ثَمّ اقتربت نحو «آدم» لأستكمل معرفتي به ومعرفته بي، ولكن ما أعرفه عنه أكثر مما يعرفه هو عني؛ فظللت أحكي عني وعن صديقتي التي فقدت أخاها ولم تكف عن البحث عنه، وحين سمع قصتها رأيته سرح بعيدًا في الفراغ كأنها تفكره بأحدٍ ما، وبما أنني أعرف قصة أهله فسألته:

- ما اسم أختك؟

نظر نحوي بعينين مغرورقتين، وقال لي:

- لا تحاولي أن تقولي لي أن صديقتك هي أختي؛ لأنني كنت بالخلف ورأيتهم بنفسي وهو يطعنون جسدها بسكين حادة.

فأجبته في أسفٍ لما أسمعه:

- كلا بالطبع، كيف ذلك وأختك توفاها الله؟!

رد بقولٍ قاسٍ:

- إذن لا داعي لذلك، هذا لن يغير الواقع رحمهم الله جميعًا.

بدا لي أنه يهرب من الذكريات أو لا يريد أن يتمادى في هذا الحوار؛ تجنبًا لانهيار مشاعره في وقتٍ لا يصلح فيه الرِقة والمشاعر بتاتًا.

غيرت اتجاه الحوار لأسأله سؤالًا آخر:

- كيف لم تمت؟

نظر نحوي بنظرةٍ ثاقبة، ثم قال بعد أن صمت ثوانٍ كأنه يفكر:

- لا أستطيع الجزم، لكن ربما قد يكون بسبب الفولاذ الذي بداخلي فقط حمى أعضائي الداخلية من الإشعاع، أو أنه امتص الإشعاع.

فسألته مندهشةً مما أسمعه:

- هل وصلنا إلى هذا الحد من التقدم؟

أجابني عاقدًا حاجبيه مستنكرًا سؤالي:

- تتحدثين هكذا كأنك لا تعاصرين هذا التقدم؟!

لم أجبه بل أخرجت من جيب عباءتي السوداء شيئين؛ إحداهما قطعة معدنية دائرية الشكل، والأخرى قطعة ورقية مستطيلة الشكل، ثم سألته:

- هل تعرف ما هذه الأشياء؟

انعقد حاجباه مرة أخرى مندهشًا مما رآه وأجابني متعجبًا جاحظ العينين:

- نقود؟! عملات معدنية وورقية؟

أجبته:

- نعم.

فسألني:

- ولكن كيف؟

قاطعته:

- لا زلنا هنا نشبه الزمن القديم؛ إننا نتعامل بالعملات، ولا زال لدينا كتب ورقية، كما أننا نمتلك القليل من الأسلحة النارية القديمة.

اندهش مما سمع، وكأنه لم يتوقع أن يعاصر في زمنه الحديث زمنًا قديمًا.

وفجأة شعرت أن جال له فكر جعله يسألني ويقول:

- كيف تعيشون؟

في الحقيقة لم أفهم سؤاله فانعقد حاجباي وفعلت تلك الحركة التي تدل على أنني لم أفهم شيئًا، بل أريد أن يعيد السؤال بصيغةٍ أخرى، وبالفعل فَهِم هو ذلك وقال:

- نحن نتنفس الهواء من أجهزة شفط الأكسجين من الأعلى، وضخه للأسفل عن طريق أنابيب تهوية تصل لنا، ونأخذ فيتامين د الموجود في الشمس عن طريق الأدوية والمركبات.

أجبته باعتيادية وبمنتهى التلقائية:

- نأخذ فيتامين د بنفس طريقتكم، فلا تنسى أن يوجد هنا خيميائيين مثل الزمن القدم. أما بالنسبة للهواء نتنفسه عن طريق صنع فجوات صغيرة بالسقف.

وأشرت بإصبعي للأعلى أثناء قولي الجزء الأخير من عبارتي، فنظر هو للأعلى وفجأة وبدون أي مقدماتٍ رأيته انتفض من مكانه مفزوعًا مذعورًا، ثم قال في غضبٍ وصدمةٍ:

- فجوات صغيرة؟

بالفعل صنعنا فجوات صغيرة ليتسرب منها الأكسجين إلينا، ماذا كنا سنفعل غير ذلك؟ لكنني لا أفهم ذعره إلى ذلك الحد فسألته:

- ماذا حدث لكَ؟

نظر نحوي بحدقتي عينين واسعتين على أخرهما، وقال لي:

- ولكن هم علموا بوجود بشر، وعاجلًا أم آجلًا سيعرفون مكاننا، ولكن بوجود هذه الفجوات ستجعلونهم يعلمون بذلك مقدمًا جدًا قبل الوقت المتوقع. كيف لم يكشفوكم أثناء كل هذه السنين؟!

أرى أن كلامه منطقيًا في الجزء الأول من عبارته وحاولت أن أهدئ من روعه، وأما عن سؤاله فأجبته أن مدينتنا متقدمة مثل مدينتهم، وأن لدينا القوة والسحر الكافيين لأن نبعد أنظارهم عن تلك الفجوات. فمثلًا نضخ عبر هذه الفجوات الدخان الأسود الذي يعمي رؤيتهم، ويجعلهم يبعدون عن هذه المنطقة لأننا نعرف تمامًا أنهم لا يستطيعون أو يجربون مرة واحدة أن يتصدوا للطبيعة وظواهرها؛ لأننا كنا نجعل الأمر يبدو لهم كذلك ظواهر طبيبعية، ولا ننكر أيضًا أن موقعنا ساعدنا في ذلك كثير؛ لأن موقعنا هو الجنوب كما أنه كذلك بالأعلى وهذا يعني أن هذا الموقع هو الحدود بالنسبة للعلوويين. والحدود لا يوجد بها الكثير منهم سوى حراس المدينة الذين بدورهم لا يتصدون للطبيعة وظواهرها.

بدا الأمر له منطقيًا حين علم كيف لم يتم كشفنا كل هذه السنين، ولكنني فشلت في تهدئة ذعره من وجود الفجوات حاليًا متزامنةً مع الوقت الذي تم فيه كشفه هو وصديقه بالأعلى حين قبضوا عليهما.

فانتفض مرة أخرى واقترب نحو الجميع وأخبرهم بوجود تلك الفجوات الصغيرة، وبطبيعة الحال فزع الجميع وتملكهم الذعر وحاولت أن أهدئ من قلقهم لكن بلا جدوى. وفي الحقيقة أرى أن معهم كل الحق في شعورهم بالخوف والقلق، ولكن نحن سكان مدينة المجانين لم نكن لنعرف ما سيحدث لكي نتجنب مثل هذه الواقعة.

ونصحوني بأن أحمي مدينتي؛ لأن من الممكن أن يعلمون بوجودنا بدءًا من تلك الفجوات حتى وإن كان بدا الأمر لهم ظاهرة طبيعية، فلم يعد الأمر كذلك الآن ويجب أن نضع في حسباننا لأسوأ الاحتمالات.

لا أنكر بأن القلق والخوف أخذا يتسربان لداخل قلبي، أما الآن فيبدو أن هناك عدوًا آخر سيدخل المدينة قبل العلوييين، ولا بد وأن ننتبه جميعًا ويجب أن أسرب الخبر إلى جميع أهل المدينة ليتصدوا لأي خطرٍ يهددهم.

فقلت للجميع في لهفةٍ بعد أن انتهى حواري مع «آدم»:

- يجب أن أعود إلى مسكني الآن، ويجب أن تختبئوا حتى أذيع الأمر إلى أهل المدينة للتصدي ل «أيوب» ثم للعلوييين.

أحاد «فهمي» بنظره نحوي وقال:

- لا يجب أن نبقى هنا، سيكون عليكِ أن تحمي مدينتك لا أن تحمينا، وحين يتيقن «أيوب» بعدم وجودنا هنا سيترككم ويرحل، أما إذا بقينا سيعود ذلك بمخاطر على المدينة في وقتٍ أنتم بحاجة إليه أن تتصدوا للعلويين.

فقلت له في حزمٍ:

- لا تنسَ أن هذه مدينة المجانين، وسيفكر ألف مرة قبل أن يفعل أي شي هنا، سيعلم أنه هو الدخيل وهذه مدينتنا ونحن سكانها المجانين. أما عن أمر العلويين فلا سبيل لدينا سوى التحالف معكم كما أردتم.

ثم أردفت وأنا مشيرة بإصبعي لهم في حزمٍ:

- ولكن بدون حرب.

ثم تحدث «آدم» قائلًا:

- هذا ما أريده .. بدون حرب، أريد فقط أن يعلموا أننا متحدون ومستعدون للتصدي لهم.

فأجبتهم موجهة نظري نحوهم جميعًا:

- سأجعل المدينة تتحالف معكم، ولنتصدى لأي خطر يهددنا.

اندهش «آدم» وتساءل في شكٍ وحزمٍ ليقول لي:

- لماذا مهتمة إلى هذا الحد للتحالف معنا؟

أجبته في ثقةٍ وحزمٍ أيضًا:

- تعجبك هذا كان سيبقى في محله قبل أن تعلموا بوجود الفجوات، ولكن بعد علمكم بهذا وعلمكم أيضًا كم نحن معرضون للخطر لأننا أول من سيكشتف أمرهم بالعالم السفلي فلا داعي لقلقك يا «آدم».

ثم صمت قليلًا وأردفت بعدها في أملٍ:

- سنتحالف لأننا نريد أن نعود، بل نريد أن نعيش في عالم به شمس.

العودة

عدت إلى مسكني بعد أن غادرتهم، ووجدتْ «سارة» في انتظاري، لتنهض في لهفةٍ وتسألني بذات اللهفة:

- لِما تأخرتِ كل هذا الوقت؟ هل أذوكِ؟

جلست على أقرب أريكةٍ ولم أجبها، فغضبت ثم سألتني بلهفةٍ وحزمٍ:

- مَن هم؟ هل أشرار إلى هذا الحد الذي يجعلكِ لا تجيبيني؟

نظرت لها وأجبتها:

- هم ليس بأشرار؟ بل في الحقيقة هم أناسٌ أخير منا.

اندهشت «سارة» مما تسمع وقالت متسائلة:

- ماذا؟ أليس كما قال عليهم فاروق؟

فأجبتها:

- إنهم من مدينة المحافظين، ولديهم ما يكفي من المتاعب، كما أنني أنقذتهم من أيدي ذلك الأحدب الدجال.

وشرعت أحكي لها ما حدث، وأسرد لها قصصهم بدءًا من فكرة العودة للأعلى تلك الفكرة التي بدتْ لها غريبة ومدهشة في نفس الوقت حتى وصولهم

إلى هنا، كما أنني ذكرت لها حكاية ذلك الصاعد الثامن المجنون، وكيف نجا من موتٍ محتم مرتين آخرهما كان منذ يومين بالأعلى، أما الأولى حين فقد والديه وأخته.

وعند ذلك الجزء بالتحديد الذي تستكمله الحكاية التي تصف تعرضه لمرور العجلات عليه مرارًا وتكرارًا، نهضت .. بل انتفضت من مكانها كالمذعورة وسألت في لهفةٍ لم أرها من قبل لتسألني:

- ما اسمه؟

فتعجبت مما رأيته من ملامح غريبة بدت على وجهها وسألتها:

- ما بِكِ؟

فكررت سؤالها مرة أخرى بصوتٍ حادٍ للغاية:

- ما اسمه يا «مريم»؟

فُزعت من حدة صوتها، وأجبتها في توتر بالغ، فلا أعرف لماذا هي كذلك:

- حسنًا، اسمه «آدم».

وعند سماعها للاسم غمرت عينيها الدموع، ونزلت أرضًا على ركبتيها، وشهقت حتى أخرجت آهة حزينة جدًا، لقد كانت آهة هزت كياني بالكامل حتى جعلت جسمي يقشعر عند سماعي لها.

كم كانت آهة تعبر عن كم الألم والوجع الذي يكمن

بداخلها! فنهضت من مكاني ودنوت نحوها وانهمرت معها متضامنة مع شعورها، لم أكن قادرة على أن أتمالك نفسي أمام دموع أعز صديقة لديّ. فسألتها بصوتٍ مبحوح:

- ما بِكِ؟

فقالت مجيبة بنفس تلك الآهة:

- إنه أخي .. إنه أخي يا «مريم».

انعقد حاجباي لحظات كنت فيها أحاول أن أستوعب ما أسمعه فتساءلتُ:

- كيف؟! كيف ذلك وأخته ماتت؟

نظرت نحوي بنظرةٍ لا أرى فيها عينيها التي كانت تملؤها الدموع وقالت:

- أنا أخته .. أنا أخته .. لم أمت، لقد أرادوا أن يظن كلٌ منا أن الآخر ميت.

ثم صمتت لتلتقط أنفاسها محاولة منها أن تستأنف كلامها، ثم تابعت:

- لقد افترقنا .. بل فرقونا.

فقلت لها في ندمٍ:

- لو كنتِ حينها أخبرتني بما حدث لكِ، لكنت عالمة حين حادثني بذلك وقلت لها أن أخته لا زالت حية وأتيت به إليكِ، لكنكِ رفضتِ آنذاك.

وجهت لي نظرة يملؤها الندم والأسف وقالت لي:

- الآن علمت حقًا أن كما هناك أوقات يكون فيها الصمت فضيلة؛ فهناك أيضًا أوقات لا يصلح فيها سوى إخراج ما يكمن بالداخل.

صمت ولم أنبس ببنت شفةٍ، فسألتني في فزعٍ ناهضةً من مكانها:

- أين هو الآن؟

فأجبتها على الفور:

- لقد غاردتهم في منتصف المدنية.

قالت في لهفة وبسرعة:

- هيا بنا لنلحق بهم.

ثم وصلنا إلى المدينة حيث غادرتهم، لكنهم غير موجودين، غضبت «سارة» فحاولت أن أهدئ من غضبها بقولي:

- لا بد وأن عادوا إلى مدينتهم.

فأجابتني على الفور:

- يجب أن نلحق بهم إلى مدينة المحافظين.

كم أريد أن أذهب معها وأساعدها في إيجاد أخيها ذلك الوسيم، لكن الواجب يحتم عليَّ أن أحمي مدينتي، فقلت لها:

- إذا ذهبت معكِ فلن يكون هناك مدينة الجنوب حين نعود، الحقي أنتِ بهم وأنا سوف أذيع الخبر

في أرجاء المدينة، لا بد وأن نتصدى لذلك الأحمق الذي يدعى «أيوب»، كما أننا يجب أن نكون مستعدين للخبر الأكبر.

ثم صمت لحظات وأردفت بعد تفكير:

- يجب أن أتمم التحالف.

وأخذت «سارة» تشق طريقها خلف أخيها «آدم».

***

أخذوا طريق العودة إلى مدينة المحافظين من طريق الداخلي للمدينة وليس الطريق الشرقي؛ لكي يروا أحوالهم وما حدث للمدينة إبان تلك الهزة الأضية حيث كان قرارهم أن يعودوا لكي يكشفوا أمر الفجوة الكبيرة الأساسية، حيث أنهم اعتقدوا أن أيوب قسَّم قوته إلى قسمين إحداهما: في طريقه إلى مدينة المجانين، والآخر: من المحتمل أن يصعد للأعلى وكلا القسمين يبحثان عن «آدم» وعن كتابه الذي لم يحصل عليه.

تساءلث «دينا»:

- هل تعتقدون أن يُكشف أمرهم بالأعلى؟

فأجابها «وحيد»:

- إن لم يُكشف أمرهم بسبب فشلهم في تمثيل أدوار الروبوتات لكي يغدوا مثلهم، فسيتم كشفهم بسبب أن العلويين الآن على علمٍ بوجود بشر غير مَن بحوزتهم.

ثم تابع «ماجد» بسؤاله:

- وماذا عن الفجوة؟ إنهم لا يفقهون بها شيئًا.

فأجابه «فهمي» في غيظٍ مكتومٍ:

- ولأي سببٍ نحن عائدون أيها الأحمق؟!

ثم لاحظ الجميع أن «آدم» صامت لا ينتبه لأي سؤال مما سبق كأن شيئًا ما يشغل عقله، فاقترب خاله نحوه أثناء سيرهم إلى الشمال وسأله:

- ألم يشغلك أمر الفجوة؟

أجابه «آدم» واثق الخطوة، بدا لخاله أنه مقتنعٌ بقوله:

- في الحقيقة لا يشغلني ذلك، لقد علموا بنا بالفعل، إنها مسألة وقت لا أكثر.

فدنا منه وقال وهو يشير بإبهامه على رأس ابن أخته:

- ما يدور في رأسك؟

نظر نحوه «آدم» وقال بنظرة بعيدة المدى:

- حان الوقت لكي أعرف الشيء الذي مر عليه عشرة أعوام وأنا لا زلت جاهلًا بأمره.

تنفس «فهمي» الصعداء وقال بعد طلقة زفير:

- هل مرة أخرى يا «آدم»؟

أجابه «آدم» بنفس طريقته السابقة:

- يجب أن أعرف ما هي تلك الطرقات التي كنا نسمعها؟ وأعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لكي أعرف ذلك خصيصًا بعد سقوط بعض الجدران وأجزاء الأسقف.

وظلوا يشقون طريقهم قلقين مما قد يواجههم في طريق العودة، دخلوا مدينة المتهورين لكنها لم تكن كما دخلوها، بل وجودوها كما غادروها؛ أناش تركض هنا وهناك، والشغب في كل زاوية حيث قام أهالي ضحايا تلك الساحة -ساحة الإعدام- على حراس المدينة المواليين لأيوب فأسقطوا منهم العديد، ولكن وبسبب الأسلحة التي كانت بحوزة الحراس فلم يستطع الأهالي المقاومة، فسقط منهم أكثر مما سقط من الحراس، كان هذا غير أجزاء الأسقف والجدران التي تهشمث إثر الهزة الأرضية التي كانت بسبب سقوط بعض المباني بالأعلى.

فقال «فهمي» في ندمٍ وأسفٍ بصوتٍ مسموعٍ للجميع:

- هل هذه المدينة التي كانت من المفترض أن تتحالف معنا؟

أجابه «آدم»:

- الله يزيح عنا بلاءً كنا نعتقده في وقتٍ سابقٍ أنه هناء.

أومأ «فهمي» مقتنعًا بكلام ابن أخته ثم استأنفوا طريقهم.

لقد عبروا المدينة بسلام وأحد لم ينتبه لوجودهم، ومن بعدها وصلوا مدينة المعترضين، حيث كل شيءٍ ظل كما في السابق بخلاف بعض المساكن التي سقطت أجزاؤها فكونت أكوامًا من الأنقاض، وبعض الأشخاص الذين راحوا أمواتًا تحت الأنقاض، يظل الهدوء الذي يسكن المدينة حيث يتولى زمامها الموالين والمساعدين لأيوب، بالإضافة إلى حراس المدينة والأهالي الذين يرون «أيوب» حاميهم الذي يوفر لهم المعيشة المناسبة لكل أحدٍ منهم بخلاف أولئك الفقراء والمساكين الأقل الذين يكرهون ذلك القائد المغرور.

اختلف الأمر هنا عن مدينة المتهورين؛ فلقد تسللوا خفية عن أنظار الحراس لكي لا ينبهوا لهم؛ لأن لو حدث ذلك سيقبضون عليهم ويسلمونهم إلى «أيوب» الذي يريد الكتاب.

وبشق الأنفس بلغوا الحدود التي تفصل مدينتهم عن مدينة أيوب، وصلوا بعد مسيرة دامت أكثر من يومين حيث وجدوا أكبر كمٍ من أكوام الأنقاض وأكبر عددٍ من القتلى تحت تلك الأنقاض؛ الأمر هنا اختلف كثيرًا إنه الشمال حيث يوجد أسفل قوة العلويين العظمى وأسفل منظمتهم مباشرة، لقد كان لمدينة المحافظين النصيب الأكبر في الدمار والضحايا والشعور بالهزة الأرضية. بالطبع ستكون

عبارة عن هزة أرضية بالنسبة لهم؛ لأنهم يعيشون بالأسفل، إنما في الحقيقة ما هي إلا سقوط بعض المباني الكبيرة بالأعلى.

فقال «فهمي» في ندمٍ أكثر شدةٍ مما سبق:

- راح العالم السفلي، لم يعد هناك أحد ليقاوم قوتهم.

ثم نظر إلى «آدم» صاحب فكرة العودة، وأردف:

- لم يعد هناك أحد للعودة.

أجابه «وحيد» في محاولة لتلطيف الجو:

- انظر، لا زال هناك الكثير، هناك أحياء كثيرة، هم مَن يقاومون وهم مَن سيعودون.

نظر «فهمي» ل «وحيد» دون أن ينبس ببنت شفةٍ وكأنه يريد أن يخبره بأنه عالمٌ تمامًا بأن لا زال هناك أحياء كثيرة قادرة للمقاومة، ولكن ما ذنب هؤلاء الضحايا .. ضحايا حربهم الأهلية التي تدور بالأعلى؟!

وهنا تدخلت «دينا» على الفور لتنقذ الموقف وقالت متسائلة:

- إذن، من أين نبدأ؟

فتابع «ماجد»:

- الفجوة.

تبادل «فهمي» و«آدم» النظرات فيما بينهما،

واختار الأول أن يصمت ليوَلّي الأخير زمام الأمور، فتحدث «آدم» قائلًا:

- لا بد وأن نحمي الفجوة؛ إنها غطاؤنا وستارنا، وأيضًا نريد أن نطمئن ما إذا أحد صعد إلى الأعلى لنتأكد من أمر إغلاقها.

ثم صمت قليلًا ونظر بعينيه إلى كل أحدٍ منهم بدوره، والجميع ينتظر بقية حديثه فأضاف:

- لقد عرفوا وجهي و»وحيد» بالإضافة إلى أن هناك أمراً آخر يشغلني.

ثم أحاد بنظره مرة أخرى إلى «ماجد» وأردف:

- فيتعين عليك أنت يا «ماجد»، ومعك «دينا» لتبتًا في أمر الفجوة، أما نحن سنبحث عن مصدر صوت الطرقات.

أومأ الجميع على ذلك وانقسمت قواهم؛ وذهب «ماجد» و»دينا» ليشقا طريقهما نحو الفجوة، أما الباقي ظل بالمدينة إلى أن يسمعوا صوت الطرقات المعتاد. ومن حسن حظهم لم تمر سوى ساعاتٍ وها قا أتى ذلك الصوت؛ فبدأ كلّ منهم في البحث عن مصدر الصوت المسموع لآذانهم، ولكن حدث شيءٌ غريب هذه المرة؛ لقد تعجبوا أن صوت هذه الطرقات صارت أوضح وأعلى مِن أي مرةٍ سابقة، كما أنها أضحت بشكلٍ مستمر لم يحدث مِن قبل.

ظلوا يبحثون ويبحثون ويتابعون ويتبعون

الصوت ليعلموا بمكان مصدره، استغرق هذا البحث ما يقرب من ثلاثة ساعات حتى بدا الصوت يقترب إليهم ويقترب ويقترب إلى أن توصلوا أخيرًا إلى المكان الذي يصدر منه الصوت، كان في مكان قريبٍ من مسكن «آدم» حيث كان صادرًا من الأعلى، وبدا الصوت أوضح مما سبق، وتيقنوا تمامًا أنها صوت طرقات مثل الأصوات الناتجة عن أعمال التنقيب، لكنها أصوات بطيئة وخفيفة جدًا كأن فاعل هذا الصوت خائف مِن أن أحدًا ما يسمع تنقيبه.

نظر الثلاثة إلى الأعلى حيث الصوت، فاقترح «آدم» على الفور:

- سنحفر تصاعديًا بالأعلى.

فقال «وحيد»:

- ألم يتركك الجنون بعد؟

فأتبعه «فهمي»:

- إنه يقصد ما إذا كنا نحفر تصاعديًا فنتفاجأ بأحد الروبوتات يحفر تنازليًا ليُكشف أمرنا.

أجابه «آدم»:

- كلا، لا أعتقد ذلك، وإذا كان هم بالفعل فلم ينتظروا هذه الفترة الطويلة وخصيصًا بوجود أسلحة فتاكة لديهم، إنهم لن يبذلوا مجهود طفل صغير في العثور علينا، بالإضافة إنهم لم يعلموا بوجود بشر سوى من بضعة أيامٍ، وفي الحقيقة أننا

نسمع هذا الصوت منذ سنواتٍ.

ثم صمت قليلًا وأضاف:

- إنه تنقيب خفيف كأن مَن يفعل ذلك لا يريد أن يسمعه أحد.

بدا عليهم الاقتناع واتبعوه في تنفيذ اقتراحه، وأتوا بالمعدات التي بحثوا عنها ثم عثروا عليها، وشرعوا في التنقيب تصاعديًا في المكان الذي بدا يصدر منه الصوت بشكلٍ أوضح.

وينقبون وينقبون وصوت الطرقات يقترب ويقترب، ويعلو ويعلو .. وأصوات الطرقات التنازلي والتصاعدي اقتربت على التلاقي والعرق منهم يتصبب، وبعد كثيرٍ من المجهود والتعب غضب «آدم» جدًا ووصل الحماس لديه إلى أقصى درجاته، وقد نفد منه الصبر فضم بأصابعه على كفه وضرب السقف بقبضةٍ قويةٍ عنيفةٍ؛ فتهدمت أجزاءٌ كثيرةٌ من السقف نتج عنه ترابٌ كثيفٌ جحب رؤيتهم.

ظلت الرؤية محجوبة لحظات كثيرة ثم بدأ التراب والدخان يتلاشيان شيئًا فشيئًا، وبدأت الرؤية تتجلى رويدًا رويدًا حتى رأوا ما أمامهم .. أو باللفظ الأدق .. مَن أمامهم!

جحظت عينا «فهمي» و«وحيد»؛ لقد اندهشا لم يصدقا ما أمام عيونهما، ولكن لم يندهش «آدم» مثلهما فبدا عليه الأمر كأنه شيءٌ كان يتوقعه.

لقد رأوا أمامهم شخصًا أسمر اللون، لديه لحية كثيفة جدًا، شعره أسود قاتم، يبدو عليه التعب والإرهاق. في الحقيقة لقد رأوا شخصًا وسمعوا أصواتًا كثيرة أخرى كانت ضوضاء مثل تلك الناتجة عن صخب أشخاص كثيرة يتحدثون.

ثم قال «آدم» منفرج الشفتين موجهًا حديثه إلى خاله وصديقه:

- انظروا! إنه بشري!

ثم أحاد بنظره للأعلى نحو الشخص وسأله:

- مَن أنتَ؟

فأجابه الشخص على الفور:

- أنا «موسى».

***

و«سارة» تشق طريقها نحو الشمال.

***

أذعتُ الخبر في جميع أرجاء المدينة، وكان ذلك في وقتٍ قصيرٍ، وساعد في ذلك معرفتي بكثيرٍ من الأشخاص هنا الذين يثقون بي، وبفضل علم أهالي مدينتي بمكانتي وسحري وعلمي وكم أنا أرى الطالع؛ فلذلك صدقوا قولي ووثقوا بي وبما أعرفه، وفي خلال أقل من يومين كان معظم سكان مدينة الجنوب مجتمعين في وسط المدينة، كلٌ منا ممسك

بسلاحه سواء كان سلاحًا أبيض أو قضيبًا من الحديد.

كان عددنا كبيرًا ولكن لسنا كلنا، هناك مَن لم ينضم لنا، ففغشت عيني كثرة أعدادنا عمَن لم يلبِ ندائي وهذا كان سبب ما فوجئت به بعد ذلك، حينما رأيت بعض الأشخاص آتين من اتجاه الشرق حيث الطريق الذي يصل الأربعة مدن بعضهم ببعض، عددهم ليس بقليلٍ ولكن ليس أكثر منا.

ويبدو زعيمهم هو مَن يحتل المقدمة، كما أنني رأيت سيفين لامعين أنيقين حادين على جانبيه منبثقين من ذراعيه؛ فعلمت للتو أنه المزعوم .. أنه «أيوب».

ولكن ليس «أيوب» مَن فاجئني، بل كانت المفاجأة التي أدهشت الجميع هنا هي .. مَن نراهما آتيين جنبًا إلى جنب مع «أيوب»؛ إنهما مِن سكان مدينتنا، بالتحديد هما «فاروق» الأحمق و«الدجال» الأحدب.

وهنا علمت لما سبب تأخر وصول «أيوب» إلى هنا، كان من المفترض أن يصل إلى هنا بالأمس، ولكن الحقيقة كانت اتفاق «فاروق» و«الأحدب» مع «أيوب» ليدخلا به إلى المدينة؛ فتكون تلك نقطة قوة لصالح «أيوب» الذي سيفكر مئة مرة قبل أن يفعل أي شيءٍ أحمق في المدينة، وبسبب هذين الخائنين أصبح ذلك سهلًا له.

يقفون قبالتنا بشكلٍ متوازٍ مِن المكان الذي نقف

فيه، ثم ساد صمتٌ لدقائق يحدق كل فردٍ منهم في كل فردٍ منا.

وقلت في نفسي يبدو أن ليس العالم العلوي بمفرده في خضم حربٍ أهلية، ها نحن سكان العالم السفلي الآن نفعل ذلك.

وبدون أي مقدماتٍ وكسرًا للصمت، تحدث «أيوب» بصوتٍ جهورٍ قائلًا:

- أين هم؟

أحد لم يجبه، ظللنا صامتين فأعاد السؤال مرة أخرى بصوتٍ أكثر حدةٍ:

- أخبروني أين هم؟ ولن أؤذي أحدًا.

وهنا ازداد حماسي، وارتفع مستوى الأدرينالين وقلت له بصوتٍ حادٍ:

- أنتَ تعلم تمامًا أنك لن تستطيع أن تفعل شيئًا لهذه المدينة، كما تعرف أيضًا ما قد نفعله بكم.

ضحك «أيوب» ضحكةً ساخرةً، كأنه يسخر من أن أحدًا لا يجييه سوى فتاةٍ، فقال مبدلًا ملامح وجهه من السخرية إلى الجد:

- وأنتم تعلمون أنني لن أقول كلامي هذا إلا إذا كنت واثقًا منه ولست بخائفٍ منكم.

أجبته بنفس طريقته الساخرة:

- وكيف ذلك؟!

قلتها وأنا ناظرةٌ إلى مَن حوله ثم أضفت:

- إننا الأكثر ولا يخدعنك انضمام اثنين لك أحدهما أحمق والآخر كذّاب.

ضحك نفس ضحكته السابقة الساخرة وكل مَن يقف في هذه الساحة يستمع إلى هذا الحوار، ثم قال:

- هل تظنين أن انضمام اثنين فقط من مدينتكم لي سيجعلني أشعر بهذه الثقة والقوة التي أشعر بهما الآن وأنا أقف في المدينة المرعبة لكل سكان العالم السفلي بما فيهم أنا؟

انعقد حاجباي عندما سمعت هذه العبارة وتساءلت في نفسي ماذا يقصد؟ ثم إنني بالفعل اندهشت من ثقته التي أراها الآن، لم يسبق لأحدٍ وفعلها أمام مدينتنا القوية.

ثم لم يلبث أن ينهي عبارته ووجدنا عددًا من الناس «سكان مدينتنا» مَن يقفون وسطنا، يتركون صفوفهم متجهين نحو صفوف «أيوب» منحازين لهم!! ثم سمعته يقول مستأنفًا كلامه:

- علمتِ الآن لما هذه الثقة أمام أقوى مدن العالم السفلي؛ لم أكن أستطيع التغلب عليكم سوى بانقسامٍ يحدث داخلكم، إنها الطريقة الوحيدة أن تنقسم صفوفكم.

لم أنكر أنني شعرت بالضعف والهزيمة حتى ولو

للحظات قليلة، وهذا ما رأيته في عيون من لا يزالون يقفون بجواري ينحازون لصفي، لقد دب الخوف في قلوبهم، وسمعت بلبلةً كثيرة فيما بينهم تدل على القلق.

ثم أحدت نظري نحو «فاروق» الأحمق، فلاحظ هو ذلك وقبل أن أوجه له أي كلامٍ سبق هو وقال:

- إنني ظللت سنوات كثيرة أتمنى رضاكِ، فعلت كل ما بوسعي لكي أجعل قلبك يريدني.

ثم بدل ملامحه إلى الغضب وقال مضيفًا:

- ولكن عندما يأتي شخصٌ غريبٌ لأول مرة ليس منا، وتنحازين له ولرؤيته الحمقاء، وتتحادثين معه على انفرادٍ كأنه عشيقك هذا يفطر قلبي ويجعلني أريد أن أفطر قلبكِ أيضًا؛ لكي تذوقي ما ذوقتني إياه لي.

حدقت به بمقلتين واسعتين على آخرهما والغضب كاد أن يطفح منهما كالبركان الذي يريد أن ينفجر في ذلك الأحمق الغبي، فلاحظ ذلك واستطرد:

- نعم، كنت أراقبكِ.

أصبحت الآن صفوف «أيوب» بها عددٌ كثيرٌ لكن ليس بكثرة عددنا، ولكن بسبب هؤلاء الحراس الذين يمكلون أسلحةً أكثر منا فصارت القوتان متساويتين، وزاد معدل الخوف والضعف بداخلنا حتى وإن كنا نستطيع أن نفعل أشياءً كثيرة من السحر تجعلنا

نهزهم، لكن هذا يحتاج إلى وقتٍ .. وقتٍ لا نملكه، ثم دب الخوف بقلوبنا أكثر حين أشهر حراس «أيوب» أسلحتهم الفتاكة المتطورة في وجوهنا؛ إنها أسلحة ليزر يبدو أنه سرقها من خلال صعوده بالأعلى، وسأل أيوب للمرة الثالثة:

- والآن أخبروني بمكانهم.

وفي هذه اللحظة تحديدًا، اللحظة التي أشهروا فيها أسلحتهم وسأل أيوب سؤاله الذي شعرت منه بالملل، صار انفجارٌ عظيم، إنه انفجار ولأول مرة في عالمنا السفلي، انفجار نتج عنه هدم سقفنا الذي يفصلنا عن العالم العلوي! لقد صارت بجوارنا على الجانب الآخر فجوة كبيرة شاهقة نتج عنها ضوء .. ضوء لم نره من قبل .. ضوء تنبعث منه الحرارة .. ضوء يعيد حيوية أجسامنها .. هذا ما شعرت به حين انسدل هذ الضوء على جسمي .. إنه ضوء الشمس!

لم نستطع أن نقف كما كنا ونواجه وننظر بعيوننا أمام هذا الضوء، لقد رفع الجميع ذراعه ليخبئ عينيه خلف ذراعه فيحميهما من هذا الضوء، الكل فعل ذلك جميع منَ يقف في الساحة سواء صفوفنا أو صفوف «أيوب» بما فيهم أنا أكثر العرَّافين مهارةً، و«أيوب» أكثر الأشخاص خطرًا أحد لا يستطيع أن ينظر في ضوء الشمس، الشمس التي يحارب «آدم» بسببها.

ولكن هناك مَن يقفون ولا يتأثرون بذلك الضوء، يقفون واثقين خطوتهم لا يهمهم شيءٌ، إنهم يقفون بالأعلى فوق سقفنا أو على أرضهم بجوار الانفجار، إنهم مَن فعلوا ذلك وثقبوا السقف! مَن أحدثوا اختراقًا لعالمنا، إنهم الروبوتات .. سكان العالم العلوي عدونا الأوحد جميعًا.

ثم نزلوا للأسفل كالأسراب الشجاعة وأصبحوا بجوارنا؛ إننا نقف الآن بجوار أعدائنا الروبوتات!

هنا زاد معدل الخوف أكثر بكثير، ذُعر الجميع وهناك من هرب سواء من من صفوفنا أو صفوف أيوب.

لقد نزلوا إلى أرضنا كالجنود المقاتلة كالغزاة المغتصبة، ثم أشهروا نحونا أسلحتهم الفتاكة المدمرة الهالكة الكبيرة أكثر بكثيرٍ من تلك الأسلحة التي يمكسها رجال أيوب.

وهنا في هذه اللحظة تحديدًا، اللحظة الأكثر رعبًا على الإطلاق، تلك اللحظة التي شعر فيها الجميع أنها النهاية بالفعل لقد شعرت أنني سأموت بعد أقل من لحظة، وهنا أطلق الروبوتات أشعتهم الليزرية!!!

***

وتركض سارة لتشق طريقها نحو مدينة المحافظين.

***

«موسى» نحيف البينة، أسمر الوجه، متوسط القامة، أشيب الشعر، يبدو في أواخر العقد الرابع أو أوائل العقد الخامس من عمره، وكأنه يحمل على عاتقه جهد سنوات كثيرة مضت، فتظهر على وجهه التجاعيد.

كان قطر الحفرة التي صنعها «آدم» بقبضته تكفي لإنزال «موسى» بجسمه للأسفل، وبالفعل نزل «موسى» وساعده في ذلك «آدم» و«وحيد».

الجميع مندهش حتى «موسى» نفسه، بل هو مَن كان الأكثر اندهاشًا من بينهم، فلاحظ «فهمي» ذلك وسأله:

- ماذا هناك؟

أجابه «موسى» على الفور بعينين ملتمعتين:

- لم أتخيل يومًا أن حُلمي يصبح حقيقةً؟

فسأل «وحيد» بدوره عاقدًا حاجبيه:

- أي حُلم؟

أجابه «موسى»:

- أن يكون هناك بشر بالأسفل.

وهنا تحدث «آدم» وقال له:

- إنك مثلي.

دومًا ما اعتقدت أن هناك بشرًا بالأعلى، ولكنك تختلف معي لأنني كنت أرى ذلك يقينًا وليس حُلمًا،

@ART_OF_BOOK

وها أنت الآن تقف بيننا وتثبت يقيني.

ثم وجه بصره بعينين ملتمعتين إلى أهله؛ فدومًا ما شككوا في نظريته.

نظر «موسى» نحو «آدم» وقال مدعمًا كلام الأخير:

- مثلما حدث معي، سنوات طويلة قضيتها في محاولتي لأجعلهم يؤمنون بحُلمي.

انعقد حاجبا «آدم»، بل توقف الجميع عند سماعهم هذه الجملة التي خرجت من فم «موسى» للتو، فسأل الأول:

- تجعلهم يؤمنون؟!

أجاب الأخير:

- نعم، إننا كثيرون بالأعلى .. إننا آلاف البشر.

وهنا المفاجأة، اندهش الجميع بما فيهم «آدم» الذي اعتقد دائمًا بوجود بشر بالأعلى، ولكن لم يتوقع أبدًا أن يكون هناك بالآلاف منهم ينتظرون إخوانهم وأبناء عمومهم، ينتظرون الخلاص مما يحدث بالأعلى.

وشرع «موسى» يحكي لهم ما حدث منذ البداية وكيف وصل عددهم إلى هذا الرقم، وكيف يعيشون بالأعلى، وكيف ما زالوا أحياء حتى الآن رغم وجودهم بالأعلى وسط الروبوتات، وما أتى بهم إلى هناك من الأساس؟

وهم ينصتون بآذانٍ صاغية ما يقوله «موسى» على لسانه:

«منذ أكثر من مائة عامٍ، حين حدثت الحرب العظمى وتم القضاء على البشر بواسطة العالم الجديد .. عالم الروبوتات، ولكن احتفظوا بمئات البشر لكي يحافظوا على أعدادهم، بل لكي يكثروا أعدادهم على حساب البشر.

لقد احتفظوا بالرجال والنساء واحتجزوهم في مكانٍ شاسعٍ يكفي تلك الأعداد، كان مكانًا يشبه السجون به زنازين، وجعلوا كل رجلٍ مع امرأةٍ غريبة عنه؛ وبذلك ومع مرور الوقت يتم التكاثر، وتزيد أعداد البشر لكي تقل مرة أخرى.

نعم، إنها تزيد لكي تقل بسبب عملياتهم التي يفعلونها علينا؛ إنها عمليات استنساخ روبوتات بل استنساخ الآلاف من الروبوتات عن طريق سحب كل ما يملكه البشري، وينقلونه على أجسامهم المعدنية وأمخاخهم التي تشبه الدوائر الكهربائية الأكثر تطورًا.

كانوا ينقلون الأفكار، والمهارات، والذكاء، والذاكرة، حتى الجلد .. الجلد البشري ليغطوا به أجزاءهم المعدنية، ووصل التطور بهم إلى استنساخ الوجه (الشكل) ليغدو في آخر المطاف نفس ذات الشخص البشري السابق، ولكنه في الحقيقة شخص معدني (روبوت) ثم يموت البشري مسلوبًا

كل شيء!! ويلقون بجثته بل بكل ما تبقى فيه إلى المستنقعات.

ما كان يغيروا منه في الاستنساخ شيئين اثنين فقط أولهما: تبديل الأسماء القديمة بأسماء حديثة، والآخر هو: مسح بعض الذكريات من الذاكرة البشرية التي لو تذكرها لجعلت أفكاره مشتتة، ومن هنا يفقد تركيزه فتتوقف دائرته. ولتجنب ذلك بدلوا تلك الذكريات بأفكارٍ تحث على القضاء على أي مخلوقٍ أو شيءٍ آخر غير أنفسهم والبشر المحتجزين.

ولكي تستمر تلك العمليات فتستمر زيادة أعدادهم، كان لا بد من زيادة أعدادنا أيضًا؛ ولذلك جعلوا كل ذكر وأنثى في حجرة بمفردهما، ومن هنا وصلت أعدادنا من المئات إلى الآلاف بعد مرور أكثر من مائة عامٍ.

وكانت حياتنا طبيعية جدًا؛ نتلقى الأكل، والشرب، والتعليم، والثقافة، واكتساب المهارات والذكاء وكل شيء يستطيع أن يفعله الإنسان، ومن ثَم يسرقونه.»

انتهى «موسى» من حديثه وتبعه «آدم» بقوله:

- لقد كانوا على يقينٍ بأنهم مهما وصلوا من ذكاءٍ وتطور فالإنسان أفضل منهم؛ لأنهم على علمٍ بأن الإنسان هو مَن صنعهم، وهذا ما يميزنا عنهم وما لم يستطيعوا أن ينقلوه منا إليهم .. وهو الشعور.

وتبعه وحيد موجهًا حديثه ل «موسى» وهو يشعر بالغيظ:

- لم يظنوا أن ما فعلوه بكم لزيادة أعدادكم سيرتد إليهم بقوةٍ غاشمة قد تقضي عليهم.

ثم سأل «آدم» منعقد الحاجبين:

- كيف لم تتناسب نسبة الوفيات منكم مع نسبة المواليد وتكون أعدادكم كما هي لا تزيد؟

فأجابه «موسى»:

- لقد كان خطؤهم أنهم احتجزوا منا في البداية بالمئات، وهذا ما جعل التكاثر عند البشر أكثر سرعة من عمليات الاستنساخ، وخصيصًا أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا أكثر من عملية واحدة في اليوم، في حين نزداد نحن البشر أكثر من ثلاثة أطفال في اليوم.

ثم صمت الجميع يفكرون فيما عرفوه، فقد فهموا أشياء كانت منذ قليلٍ تشبه الصورِ الباهتة، وبات الأمر الآن أكثر وضوحًا في مُخيلتهم.

فتساءل «فهمي»:

- قل لي يا «موسى»، أنت تبدو في العقد الرابع أو الخامس من عمرك، وما حدث كان منذ مائة عامٍ تقريبًا؛ فهذا يعني أنك من الجيل الثاني. لماذا لم يأخذوك في أي عمليةٍ من عملياتهم ولا زلتَ على قيد الحياة حتى الآن؟

أجابه «موسى» على الفور:

- هذا لأنني العميد.

تساءل «وحيد» في استنكارٍ وتعجب:

- العميد؟!

ثم تدخل «آدم» وقال في استنتاجٍ:

- هذا يعني أنك قائد البشر بالأعلى، وجعلوك الوسيلة التي تصل بهم إلى البشر وتقنعهم بأفكارهم.

نظر «موسى» نحو «آدم» في أسفٍ وندمٍ وقال:

- لقد أصبتَ، كان البشر يفضلون أن يبقوا على قيد الحياة فترة من الزمن رغم علمهم بما سيحدث لهم حين يبلغون السن المطلوب عن أن يموتوا في الحال قتلى بتهديداتهم لنا.

ثم أردف في نظراتٍ نحو الأرض:

- لقد كانت مهمة صعبة بالنسبة لي، كنت أموت تدريجيًا كل يوم.

ورفع نظره نحوه في حماسٍ وفخرٍ وتابع:

- لقد كان أملي في أن أعبر بهم إلى الأسفل؛ لكي أنقذ أرواحهم كان ذلك سلواني الوحيد، وحُلمي الذي أحد لا يصدقه هو أن أجد بشرًا بالأسفل ننضم إليهم لنستطيع التغلب عليهم.

وكان مبررهم لعدم تصديقي هو أني أتخيل سماعي لأصواتٍ تحت الأرض، فكرت أنها أصوات

لبشر لا زالت تعيش بالأسفل، بعد كل هذه السنوات لقد كانت بالنسبة لهم هواجس لتقدمي في العمر، لقد كنت الوحيد العجوز.

ولكن لم أيأس، وظللت أحفر وأحفر بهدوءٍ لمدة سنوات لكي أصل إلى هنا.

وهنا قال «وحيد» له وهو مشيرٌ بيده نحو «موسى»:

- وها هو شيء آخر تركوه ليستفيدوا منه، فيكون الجحيم الذي سيحرقهم.

وقبل أن يتحدث أحدٌ حدث شيءٌ غريبٌ ومريبٌ حتى درجة الفزع، فما قد رأوه كان مرعبًا للغاية، تسمرت أقدامهم، جحظت عيونهم، تقصلت ملامح وجوههم، ثبتت نظراتهم على هذا الشيء المرعب.

لقد رأوا رأسًا بشريًا تطايرت أمام أعينهم! لقد كانت الرأس لـ «كرم» ذاك الراجل التابع ل «أيوب» الذي كانت مهمته أن يصعد للأعلى ليبحث عن «آدم» وترك خلفه الفجوة مفتوحة.

ثم وجهوا نظراتهم جميعًا نحو الاتجاه الذي تتطايرت منه تلك الرأس، وكانت المفاجأة بل الصدمة لهم جميعًا، لقد حدث ما كان يخشونه منذ أكثر من مائة عامٍ، تسمرت أقدامهم أكثر، وجحظت عيونهم أكثر، وتدفق الدم في عروقهم.

لقد رأوا سربًا على الأرض من الروبوتات يزحف

نحوهم، وفي مقدمتهم ذلك القصير «وسام» وبجواره الضخم الأصلع الذي يبدو صديقًا للشر .. إنه «شهاب»، ولكن مَن بحوزتهم؟ لقد أمسكوا ب «ماجد» و«دينا»!!

***

ولا زالت سارة تشق طريقها لتلحق بأخيها.

***

جميعنا غطينا وجوهنا خلف أذرعتنا خوفًا، كلٌ منا يجثو على ركبتيه رعبًا، ننتظر جميعًا الموت المحتم، ولكن ..

ولكن لا شيء ..

نعم، ما شعرت به منذ لحظاتٍ وتوقعت أنه سيحدث وهو أنني سأموت لم يحدث! ما زلت على قيد الحياة، ثم فتحت منفذًا بين ذراعيّ لأرى من خلاله ما يدور من حولي، ورأيتهم جميعًا مثلي على قيد الحياة.

استغرق الأمر مني لحظات لكي أستوعب بأن طلقات الأشعة الليزرية لم تصوب نحونا ... بل ..

بل نحوهم هم، نحو سكان مدينتي المعترضين والمتهورين، نحو «أيوب» وكل مَن كان يقف بجواره!

ما هذا الذي أراه؟! كيف ذلك؟! أليس من المفترض أن يطلقوا علينا جميعنا؟! أليس نحن بالنسبة لهم عدوهم اللدود أو العكس؟! أم سيقضون على

صفوف «أيوب» ثم يتوجهون نحونا؟

تساؤلات كثيرة في رأسي ولكنها توقفت بسبب ما لاحظته أخيرًا، وهو أن «أيوب» يقف صامدًا على قدميه شاهرًا سيفيه المميزين ليجعلهما متقاطعين ويصد بهما تلك الأشعة الليزرية، وكل مَن كان يقف بجواره يسقط واحدًا تلو الآخر.

وكأن هناك شيئًا غريبًا في سيفيّ «أيوب» .. نعم كأنه دعمهما بقوة غريبة تتولد حين يتقاطع السيفين، قوة تستطيع أن تصد أشعة أسلحة العالم العلوي الفتاكة.

ولكن هذا يحتاج إلى علمٍ ودراسةٍ وتجاربٍ من أين له ذلك؟!

علامات استفهام تتكاثر تجعل رأسي يدور، ثم يتوقف فجأة حين شرع «أيوب» بعد أن لاحظ أن مَن حوله يسقط واحدًا تلو الآخر وقريبًا سيكون بمفرده أن يرجع للخلف متقهقرًا، ثم يأخذ ساترًا له ليتجنب طلقاتهم، وبعد ذلك نجح في أن يُخلّص نفسه ويركض بعيدًا نحو الغرب، الاتجاه الذي يؤدي إلى مدينته.

أخذ هذا المشهد الحركي بضع دقائق ثم كل شيءٍ توقف، لم يعد هناك «أيوب»، أو «فاروق»، أو «الأحدب»، أو أيٌ من الخائنين من سكان مدينتنا، لم يعد هناك طلقات تصدر منها أشعة ليزرية، هدأ كل شيء، توقف كل شيءٍ وكأن وجهتهم مقصودة إلى

هنا نحو «أيوب» وجماعته لينقذونا منهم!

وهنا عاودت الأسئلة مرة أخرى حتى شككت في أمرهم، وظننت لحظة أنهم قد لا يكونوا روبوتات، وإنما هم بشرٌ مثلنا مخلصون لجانب الخير، وأن حركتهم الانتظامية وأسلحتهم المتطورة قد يكون هذه نظام مدينتهم أو حتى عالمهم.

ويبقى السؤال الذي يلوج بداخلي .. مَن هم؟ ولما فعلوا ذلك؟

أما عن صفوفي فبالتأكيد تبعثرت، إن لم يكون بسبب البلبلة التي حدثت منذ قليلٍ فسيكون من الخوف الذي تمكلنا جميعًا حين واجهنا الموت. فمنهم من صمد مكانه، ومنهم من أخفق وركض بعيدًا لينجو بحياته.

كل مَن تبقى منا لا يتعدى نصف القوة، أما عن أعدادهم كان يتعدى العشرين شخصًا أو العشرين بشريًا لا أعرف! ربما العشرون روبوتًا.

وها هم ينظرون إلينا آتين في اتجاهنا، يقتربون نحونا وأيضًا يقتربون لا تفصلنا عنهم سوى القليل من الأمتار؛ دب في قلبي الخوف مرة أخرى ثم توقفوا، لقد بدوا لي في لحظةٍ أنهم هم أعداؤنا تخلصوا من جماعة «أيوب» وها الآن سيقضون علينا.

ثم تقدم أحدهم كان ليس مخيف الشكل لكنه قويًا، طويل الشعر مثل «آدم»، يبدو لي ممسكًا

بزمام الأمور بشكلٍ محكم.

ونظر في عيني بنظراتٍ جريئةٍ وقال لي في صوتٍ جهوري:

- أين الصاعد؟

شارفت «سارة» على الوصول نحو الشمال، نحو مدينة المحافظين، إلى أخيها «آدم».

تقابلت عينا «آدم» بعيني «شهاب» وصاح الأخير قائلًا في أمرٍ لجنوده الروبوتات:

- آتوني بذلك الأحمق ذي الشعر الطويل واللحية هو وصديقه.

قالها مشيرًا بإصبعه نحو «آدم» وهو غاضبٌ جدًا؛ بسبب ما حدث في آخر لقاءٍ بينهما حين ألقى الأخير به بدَفعةٍ واحدةٍ بقدمه لمسافة ثلاثة أمتار، وحان الآن وقت الانتقام.

وقف «شهاب» مكانه وتقدم جنوده بقيادة «وسام» تلبيةً لأمره نحو «آدم» ومَن معه، وبقي اثنان بجوار «شهاب» ممسكين ب «ماجد» و«دينا».

أما هم ما زالوا متسمرين في أماكنهم يحاولون أن يستوعبوا أن أمرهم لم يعد سرًا بعد، وقد تم اكتشاف العالم السفلي بزُمته وهذا سوف يبيد كل مَن تبقى من البشر، وكل ما كان يخططون له سيهوى في الجحيم، ستُمحق أرضهم .. أرض الظلام.

ظلّت القوات تتقدم نحوهم، وتتقدم أكثر فأكثر ثم أشهروا أسلحتهم الليزرية. أما هم فلا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا، ليس لديهم الوقت الكافي ليختبئوا، وليس بحوزتهم أسلحة وإن حدث هذا فلن تجدي نفعًا في مواجهة أسلحتهم الفتاكة، بل ظلوا مكانهم مستسلمين تمامًا.

و«آدم» جاحظ العينين كل ما كان يفكر هو محقٌ؛ كل سكان أرض الظلام بواسطة الروبوتات وكل هذا بسببه هو حين كان يريد أن يمسك القرص (الكتاب الإلكتروني) وثم حدث ما حدث، رغم معرفته بأن عالمهم عاجلًا أم آجلًا كان سيكشف أمره بسبب الصاعد الآخر «أيوب»، أو حتى بسبب الفتحات التي افتعلها سكان مدينة المجانين، والآن أصبح هناك سببٌ ثالث وهو تنقيب «موسى» في سقفهم؛ فلا بد كانوا سيعلمون بأمر ذلك، إنهم آلاف اختفوا فجأة تاركين خلفهم آثار حفرٍ وتنقيبٍ، كل هذا بالإضافة إلى ذلك الأحمق الذي ترك الفجوة مفتوحة وترقد رأسه بجوارهم.

كان «فهمي» ينظر تارة إلى «آدم» وتارة إلى هذين الاثنين الذين بقبضتهما «ماجد» و«دينا». أما «وحيد» فيحمل على وجهه ملامح الغضب والنفور إلى هؤلاء المعادن، و«موسى» كاد أن يسقط من الرعب الذي يتملكه فكل ما كان يخطط له من سنوات هوى عميقًا وأصبح بلا فائدة.

وثم...

عند قرب وصول الروبوتات إليهم شاهرين أسلحتهم؛ لينتشلوا «آدم» ليحققوا معه ماذا فعل بالأعلى ويتحققون مما قاله لهم حين أمسكوه، في هذه اللحظة بالتحديد دوى صوتٌ، كان صادرًا من خلف «آدم» ومَن معه بمواجهة الروبوتات، إنه صوتٌ يبدو مألوفًا في أذني «آدم»؛ ثم أنه أبصر «وحيد» وعيونه تلتمع بالاشتياق والحنين.

هنا انتبه «آدم» ونظر خلفه، بل الجميع نظروا نحو الاتجاه الذي صدر منه هذه الصوت

لقد رآها ..

اندهش .. صُدمَ .. فَرِح .. دمعت عيناه .. فتح ذراعيه .. لم يصدق مَن أبصرته عيناه ..

لقد رآها ..

إنها أخته «سارة»!

ركضت نحوه وهو يريد أن يركض نحوها، وبمجرد أن حرك قدمه ليصل إليها وكان شعاع من الأشعة الليزرية قد أُطلِقَ عليه؛ وبسبب سرعته التي يمتاز بها استطاع أن يتفادى ذلك الشعاع، ولم يلبث أن يتقدم خطوة واحدة نحو أخته ووابل من الأشعة الليزرية أُطلقت نحوه بل نحو الجميع.

ولحسن حظ «آدم» وخاله وصديقه قد شعروا بأن الروبوتات سيطلقون مرة أخرى وسينهالون عليهم بالأشعة الليزرية؛ فتفادوا ذلك مسبقًا وأخذ

كل واحدٍ منهم جانبًا ليتوار خلفه (فهمي، وحيد، موسى) وأيضًا «آدم» ركض نحو جدارٍ ما يختبئ خلفه، وكذلك «سارة» فعلت ذلك.

وكان المشهد كحربٍ بين مجموعتين كل واحدةٍ منهما أخذت ضفة في مواجهة بعضهما البعض؛ فقد أخذ الروبوتات الجانب الشمالي من المكان، و«آدم» ومَن في صفه الجانب المقابل له لكنهم متفرقون «فهمي»، و«وحيد»، و«موسى» في زاوية واحدة معًا. و«آدم» في زاويةٍ أخرى بمواجهتهما من نفس الجانب، و«سارة» وحيدة في زاويةٍ أخرى بمقابلة أخيها.

وكأن اللقاء بين «آدم» وأخته لا يريد أن يكون بصفهما؛ فحين رأيا بعضهما بعد مرور الكثير من السنوات كان فيها يظن أحدهما أن الآخر قد مات فلا يستطيعان أن يضما بعضهما، لقد حُرما من الحضن الأخوي ذلك الحضن الذي لا يعبر سوى عن الحب والأمان، يا له من حظٍ!

ثم صدر صوت يبدو أنه صوت إنسانٍ خارجٍ من آلة ضخمة، إنه صوت «شهاب» وهو يأمر حراسه:

- اهجموا عليهم، أما هو آتوني به حيًا.

عرف «آدم» أن المقصود بالمطلوب حيًا هو نفسه، ولكن لا يشغله الآن سوى أخته «سارة» وكم يريد أن يذهب إليها ليضمها بين ذراعيه بعد كل هذه السنوات! ولكن لا يستطيع أن يذهب نحوها إن خرج

أحدٌ مِن مخبئه سيسقط ميتًا مكانه.

ما كان يشغله هو أن يحمي أخته من هذه الحرب التي ستنتهي بعد دقائق بموتهم جميعًا ما عداه!

كانت أصوات خطاهم تقترب .. تعلو .. تجلجل .. تبث الخوف في قلوبهم، وأسلحتهم مصوّبة نحوهم .. مستعدة .. جاهزة .. لا تريد أن تنتظر، الكل مختبئ منتظر ما سيحدث له، لا يرون أمامهم سوى موتهم المحتم.

ولكن ..

وفجأة ..

أصوات أخرى

أصوات أعلى

أصوات مجلجلة في الأنحاء أكثر وأكثر، تقترب تعلو آتية من الجهة الأخرى، تلك الجهة التي أتت منها «سارةط، الكل يسمعونها سواء كانوا روبوتات أو بشرًا، الكل ينتظر ما الذي سيأتي نحوهم ويبدو من هذه الأصوات أنه سيدمر الجميع.

الصورة تقترب رويدًا رويدًا، واتضح قليلًا ماهية ذلك الشيء القادة إليهم.

إنها مركبات! مركبات كثيرة، مركبات مثل تلك التي رآها «آدم» بالأعلى، مركبات تبدو مألوفة لدى «شهاب» وأعوانه الروبوتات!

يتساءل الجميع مَن الذي يقود تلك المركبات؟ الكل ينتظر أن تكون الصورة في أوضح شيء يمكن رؤيته.

لقد أبصر «آدم» شخصًا مميزًا عن غيره يعلو المركبة التي في الصادرة، شخصًا يرتدي عباءة سوداء به غطاء للرأس مرفوعًا على رأس ذلك الشخص، يبدو هذا الرداء مألوفًا لدى «آدم» وأعوانه؛ لقد علم مَن ذلك الشخص.

المركبات تقترب واتضحت الصورة على أعلى مستوى؛ إنها «مريم» بعباءتها وبجوراها مَن لا يتوقعه «آدم» أبدًا؛ لقد صُدم تمامًا وبسبب ما رآه فكر بأن «مريم» خانت عهدها معه واتفقت مع العالم العلوي! لقد رآها تعلو المركبة وبجواها «سامر» مفككك الأجزاء.

***

قبل ذلك بساعات:

وحين سألني بصوته الضخم قائلًا:

- أين الصاعد؟

وبالطبع أعلم مَن هو الصاعد، فأجبته في توتر مستنكرة:

- الصاعد ؟

فقال لي الروبوت:

@ART_OF_BOOK

- اسمعي! نحن لسنا أعداءكم.

أجبته في استنكارٍ مشمئز وبداخلى كمّ هائل من الخوف:

- إذن مَن تكونون؟

فأجابني على الفور ودون أن يحاول أن يفكر في حيلةٍ ذكية يقنعني بها ليخبرني بها:

- الأعداء الحقيقيون هم مَن يريدون أن يفرضوا السيطرة على كل شيء، هم مَن يتُوقون إلى القوة، هم مَن يريدون أن يملكوا كل شيءٍ مثل ذلك الأحمق الذي هرب للتو، ومثل نصفنا الآخر.

تعجبت من كلامه رغم أنه يبدو لي مقنعًا، كنت أعلم أنه يقصد أيوب بقوله الأحمق الذي هرب للتو، ولكن ما لا أفهمه هو الجزء الأخير من جملته، فتساءلت:

- نصفكم الآخر؟!

رد قائلًا:

- نعم، بلا شك نحن نمثل النصف الأضعف أو الأقل، ولكننا نمتثل لقضيةٍ هامة ونريد أن ننصرها.

بالطبع كان حديثه غامضًا بالنسبة لي وكلما يتحدث كلما يزداد عدم فهمي له؛ فقررت أن أقطع حديثه وتساءلت:

- قضية هامة؟! ومن هم النصف الآخر؟

قال لي مجيبًا:

- نصف العالم العلوي من الروبوتات هو عدوكم الحقيقي وليس نحن، كما أننا ننصر القضية التي تفيد بأنكم أنتم مَن صنعتونا ولا تستحقون هذه الحياة، لقد تعرضتم للهزيمة الساحقة منذ أكثر من مائة عامٍ، ولكنكم في الحقيقة أقوى منا، العالم العلوي عالمكم الحقيقي وأنتم مَن تستحقونه.

لا أعرف بماذا أجيبه؟ وماذا أقول له؟ أنني الآن بصدد كلامٍ جريء جدًا ويغير من مجرى ما يخطط له «آدم» بالكامل، لا أعرف حتى أصف بما أشعر به الآن، لا أعلم إن كنت سعيدة بما أسمعه، أو مصدومة بما لن أكن لأتوقعه أبدًا، أم أنني خائفة والشك يلوج بداخلي ليخبرني بأن هذه خدعة ما.

فقلت له في تحايل:

- ولما لا تكون هذه حيلة لكي أخبرك عن مكان الصاعد؛ لأنك تعتقد أنني أعرفه؟

ضحك الروبوت أمامي ضحكةً ساخرةً، وتعجبت أنهم يضحكون مثلنا، ولا زلت أستوعب كيف يفهمون كلامي مجيبًا عليه بمنتهى القناعة، وقال لي:

- أفهم جيدًا لما لا تصدقينني؟ ولكن إن تسمحي لي أن أساعدكم فسيكون الصاعد في مأزقٍ لا يستطيع النجاة منه وأحبائه.

ثم أردف ليدعم كلامه بقوله:

- لقد علمنا أنه تم رصد بشريين منذ بضعة أيامٍ ومنهما الصاعد، واليوم جاءتنا أخبارٌ تفيد بأن هناك آخرين تم رصدهم وقتلهم وقطعوا رأس أحدهم، فمن خلالهم علم العالم العلوي بمكان الفجوة الكائنة بالشمال.

وعند سماعي كل ما قاله تبدَّل حالي، وتسارعت دقات قلبي وتملكني الخوف تمامًا، إن كل ما يقوله مقنعًا تمامًا ومنطقيًا ومتناسقًا بشكلٍ كبيرٍ بما أخبرني به «آدم»، كما أنني أرى أنه يقول الحقيقة.

ووسط زحام أفكاري تذكرت «سارة»، وأنها في طريقها إلى الشمال؛ لتلحق بأخيها في مدينته التي قد تكون تعرضت للهجوم على حسب قول ذلك الروبوت.

ثم جاء في فكري سؤالٌ لا أعلم لماذا لما أسأله إياه حتى الآن، فسألته:

- مَن أنت؟

نظر في عيني صامتًا للحظاتٍ كأنه لا يريد أن يخبرني بذلك ولكنه متردد، ولكنه انتصر على حيرته وكسر صمته وقال لها:

- أنا «سامر».

صُعِقت مما قاله، ثم استنكرت:

- مفكك الأجزاء؟

فقال:

- ولماذا تقولينها كأنك لم تصدقيني؟

أجبته على الفور:

- لأن ما أعرفه عنك هو أنك مناصرٌ قويٌ للحفاظ على نوعكم، كما أنك تطارد أتباع «نوح» وتفكك أجزاءهم.

ضحك ذات الضحكة الساخرة وقال:

- دعِك من حوار «نوح» وأخبريني بما يحدث هنا وأين ذلك الصاعد؟، ليس هناك وقت، لا بد أنهم نزلوا إلى هنا بالفعل، وها أنتم من الواضح مما رأيته منذ قليلٍ أنكم في بداية حرب أهلية، وهذا يشير إلى نزول الكفة في صالح عدوكم الحقيقي.

لا يوجد سببٌ واحدٌ فقط يجعلني لا أصدقه، لا أجد مبررًا يجعلني لا أقول له بما يحدث وأخبره بمكان الصاعد، ثم أنني لا أريد أن تتأذى صديقتي الوحيدة «سارة» وسط هذا الزحام من الأحداث المتفاقمة.

لقد أخبرته بكل ما أريد أن يعرفه: تاريخ هذه الأرض السفلية، أرض الظلام، وأقسامها، وطُرقها، ومدُنها الشمالية «مدينة المحافظين»، الغربية «مدينة المعترضين» وزعيمها ذلك الأحمق الذي هرب منذ قليل، الوسطى «مدينة المتهورين» حليفًا للمدينة الغربية، وأخيرًا نحن مدينة الجنوب أو

الجنون وأخيرًا طريق الشرق.

وبعد أن أعلمته بما أريد أن يعلمه وذلك ما يخدم قضيتنا الجديدة وهو صعودنا مرة أخرى للأعلى، وإنقاذ مَن يمكن إنقاذه من تلك الحرب التي على مشارفها.

وبعد مرور ثلاثين دقيقة من المعلومات، انتهيت من حديثي، وقال مباشرة على الفور:

- ليس هناك وقت، لا بد وأن نلحق بهم.

سألته:

- كيف ذلك؟ وهم على بعد يومين من هنا.

أجابني بكل ثقةٍ:

- لدينا ما يميزنا عنكم وهو السرعة؛ إننا نملك مركبات تقلنا إلى هنا في ساعاتٍ قليلة.

وهنا أمر جنوده أو حراسه أو روبوتاته، لا أعرف ماهيتهم وقال لهم أنزلوا بالمركبات إلى هنا.

ومن ثَمَّ تحطم جزءٌ كبيرٌ من سقف أرضنا لكي ينزلوا بتلك المركبات، ولم تعد مدينة الجنوب من ضمن أرض الظلام، لقد أنارت الشمس بأشعتها مدينتنا.

تركته يؤدي ما عليه ليجهز جنوده وأنا نظرت حولي نحو أرجاء المدينة، إلى سكانها الذين لم يروا من قبل ما رأوه اليوم، وأبصرت في داخلهم الفزع

والذعر والخوف، استغرق الأمر مني دقائق قليلة لأتمحص في كل ما ومن يتواجد حولي، ثم توقفت ومن هنا ناديت بأعلى صوتٍ بكل عزيمةٍ وإصرارٍ ما زالا ينبضان بداخلي وصرخت من أعماق قلبي:

- يا مدينة الجنوب .. يا سكان مدينة المجانين.

استوقفت نفسي لحظةً أدقق النظر فيما انتبه لي ودنا نحوي وأطل عليَّ، وهنا لاحظت سامر كان مِن ضمن مَن انتبه لي ثم استطردت:

- أتعلمون لماذا يلقبون هذه المدينة بمدينة المجانين؟

لأن سكانها تفعل ما أحد لا يفعله من قبل؛ لأن نفعل كل ما هو خارج التوقعات، نفعل الجنون، نفعل ما يميزنا عن غيرنا، وحان الآن الوقت الذي نفعل فيه ذلك. ولأول مرة سنتحالف مع مَن كانوا من قبل ليسوا من أحبائنا.

ثم أشرت بيدي إلى ذلك الخراب الذي عمَّ بمدينتنا لكي يفهموا ما أحاول أن أخبرهم به، كما أنني لاحظت تزايد الأعداد مِن حولي، ثم استأنفت:

- سنربط مصيرنا بمصير مدينة المحافظين،

وكما ترون لقد حدث ما كنا نخشاه منذ زمن،

وحان الآن أن نتصدى لهم، وذلك بمساعدة هؤلاء.

أشرت نحو «سامر» وأتباعه، وهنا حدثت بَلبلة واستنكار كأنهم يريدون أن يقولوا كيف يساعدونا

هؤلاء الروبوتات وهم مَن كنا نختبئ منهم منذ زمن؟! فأردفت:

- أعلم أن هذا غريب ومريب ليس بالنسبة لكم فقط بل وأنا أيضًا، ولكن نحن المجانين تذكّروا ذلك دائمًا؛ نفعل ما هو بالفعل يشير إلى الجنون، سنكون أول مَن خلق صداقة مع العالم العلوي،

سنتحالف مع مدينة المحافظين ونساعدهم؛

إنهم في مأزق بواسطة مَن مثل هؤلاء «سامر وأعوانه» وهم النصف الآخر منهم العدو الحقيقي .

وكما نحن وسطنا الخائن والشرير؛ فهُم في وسطهم مَن ينصر قضيتنا.

كنت أقصد بقولي ذلك الخائن هو» فاروق» و»الأحدب» وأعوانهما، والشرير «أيوب» ومدينتا المعترضين والمتهورين، وأكملت حديثي:

- والآن لا بد أن تستعدوا، ستتكاتفون معًا لتصدوا كل ما هو يهدد حياتنا، ستدافعون عن مدينتكم بكل عزيمة وإصرار، تذكروا أنكم مدينة المجانين.

وهنا انتهيت من خطابي الحماسي لهم، وبالفعل وجدت نتيجة هذا في عيونهم، رأيت ذلك الحماس والوطنية بداخلهم.

وبدأ كل واحد منهم يبحث عن كل ما يكون بحاجةٍ إليه؛ ليحمي ويدافع به عن نفسه وعن أهله وعن وطنه.

ومن ثَمَّ دنا نحوي «سامر» وهو مبتسمٌ ولكن ليس تلك الابتسامة الساخرة، إنما توحي لشيءٍ آخر هذه المرة وسألني:

- ما اسمك؟

وبالطبع لم أتردد مثله وأجبته على الفور:

- اسمي «مريم».

ثم نظر نحوي بنظرةٍ ثاقبةٍ وقال لي:

- إنكِ تشبهين الروبوت «ريتاج» بالأعلى في جرأتها، ولكنك أكثر عقلانية.

شكرته وفعلت تلك الحركة بالشفتين المنفرجتين المقفولتين التي تدل على الامتنان.

ومن ثَمَّ جهز حاله وترك الكثير من الجنود هنا في مدينتنا ليحموها من أي خطرٍ سواء مِن نصفهم الآخر أو من «أيوب» وأعوانه، وأصبح متأهبًا ومعه ستة من أعوانه الروبوتات، وصعدوا المركبات الثلاث وأنا صعدت بجواره في المركبة الأولى لنكون ثمانية أشخاصٍ سوف يشقون الطريق ولأول مرة نحو الشمال، نحو أجمل مكان نعرفه في أرض الظلام.

لقد أخذنا طريق الشرق، وفي غضون ثلاث ساعات وصلنا الحدود الجنوبية لمدينة الشمال؛ وهذا وقت قصير جدًا بفضل تلك المركبات الكهربائية التي سرعتها تقترب من سرعة الصوت.

ثم دلفنا إلى الداخل ووصلنا إلى وسط المدينة، وعلى مسافة تبعد عنا الكثير من الأمتار نرى شيئًا مختلفًا مثل الذي رأيته منذ ثلاث ساعات حين كشف سامر وروبوتاته سقفنا ونزلوا لينقذونا من «أيوب»، إنني أرى الكثير من الأشخاص التي تبدو لي بأن حركتهم متناسقة بشكلٍ ما؛ فأدركت حين اقتربنا نحوهم أكثر أنهم روبوتات وشاهرون أسلحتهم، وعندئذٍ كانوا على أهبة الاستعداد لإطلاق أشعتهم الليزرية نحو بعض الأشخاص البشريين المختبأ كل واحد منهم في زاوية خلف جدارٍ حامٍ له أو أثاث.

وحين اقتربنا وأصبحنا بمواجهة هؤلاء الروبوتات الذين يبدون من ضمن النصف الآخر الشرير من العالم العلوي، تأكدت أن مَن ينظر نحويَ بنظرةٍ توحي بالصدمة هو «آدم».

بالطبع سينظر لي بتلك النظرة التي تقتلني بداخلي؛ لأني أفهم ما يشعر به الآن، إنه يرى الشخص الذي تحالف معه منذ أيامٍ؛ ليتصدوا للعدو العلوي بجوار ذلك العدو بالفعل على مركبة واحدة ومع مَن؟! مع الشخص الذي يعرف عنه أنه مفكك الأجزاء ويلاحق أتباع «نوح».

إنه يراني الآن خائنة غرست الطعنة في ظهره الطعنة المؤدية به للموت هو وكل سكان أرض الظلام! من أجل ماذا؟! من أجل أن أحمي مدينتي بتحالفي مع العالم العلوي.

ثم أنني رأيت في الجهة الأخرى ل «آدم» تمكث «سارة» خائفة مذعورة لا تعرف أن تفعل شيئًا، كل ما تفعله هو نظرتها التي تعير عن الاشتياق نحو أخيها، ثم أنها أحادت بنظرها نحوي وتلقيت نفس تلك النظرة التي تعلو وجه «آدم»، ولكن سيعلم الكل بالحقيقة بعد قليل، لا وقت الآن للأفكار إنهم في مأزق بالفعل.

وفي هذه اللحظة التي أصبح فريقنا في مواجهة الفريق الآخر من الروبوتات، لا تبعدنا سوى القليل من الأمتار أمر «سامر» جنوده بأسبقية إطلاق الأشعة نحو مَن مِن نفس جنسهم.

وهنا بدأت الملحمة، بدأ إطلاق كل فريق منهما أشعته الليزرية، بدأت الحرب الأهلية العلوية بالفعل كما توقع آدم ولكنها بدأت بالأسفل.

التحما الفريقان، وأنا نزلت من المركبة لكي أتفادى أي شعاعٍ يصيبني، وركضت نحو «سارة» بأقصى سرعتي وهي لا تصدق ما تراه؛ لقد كانت منذ قليلٍ تراني شيئًا، والآن تراني شيئًا آخر، ذلك الشيء الذي اعتادت أن تراه، ثم احتضنتها أشد حضنٍ بالعالم العلوي والسفلي معًا.

لقد أبصرت في عيونها التي تتحدث وتدل على الشعور بارتياح ما بعد الصدمة، كأنها وجدت ما كانت تبتغيه؛ وهو أن ما رأته منذ قليلٍ لا تريد أن تصدقه، وبالفعل لقد حدث ذلك ثم قالت لي:

- كنت متيقنة أنك لن تتركيني وستأتيني من العدم لتحميني.

***

لقد تنفس «آدم» الصعداء بعد أن علم بنية «مريم» وتيقن إنها أتت بالمساعدة، ولكنه اندهش جدًا حين رأى «سامر» مفكك الأجزاء الذي يطارد أتباع «نوح» هو مَن يساعد البشر.

وهنا رأى «شهاب» في مكانه «سامر» الذي يعلم عنه أنه يطارد أتباع «نوح»، ولكن أصبح يعلم الآن أنه يساعد البشر.

والتحما الفريقان وهو لا يستطيع أن يفارق مكانه بسبب شوقه نحو أخته وهي كذلك الأمر، ولا يستطيع أن يفعل شيئًا مفيدًا وهذه غيرَ عادته، ثم أحاد نظره نحو مَن نسي أمرهما، وهما «ماجد» و«دينا» اللذان ما زالا بقبضتهما وسرعان ما سيتفهم «شهاب» الموضوع ويستخدمهما كطُعمٍ لإيقاف تلك المذبحة.

ولكن ما يجعله متأنيًا على فعل ذلك هو فارق عددهم من عدد مَن أتى مع «سامر»؛ فالأخير أتى بستة روبوتات فقط، ولكن «شهاب» آتٍ ومعه ما يقرب من خمسة عشر روبوتًا، وسيضغط علينا بهما في حالة رأى هزيمته أمامهم.

ولكنه قرر ألا يعطيه تلك الأفضلية، وآثر أن يفعل شيئًا مهمًا، وهو أن يتوارى عن أنظار الجميع كي

يذهب إلى صديقه وخطيبته لينقذهما.

وبالفعل بدأ يختلس أنظارهم جميعًا ويتوارى خلف الجدران والأثاثات، في نفس الوقت كان الفريقان ما زالا ملتحمين، وسقط من فريق «سامر» اثنان، ومن فريق «شهاب» أربعة، ولكن ما زالت الأفضلية لفريق «شهاب».

وبعد عشر دقائق استطاع «آدم» أن يصل بالقرب من «ماجد» و«دينا»، فشرع يخطو بهمسٍ كي لا يراه أحدٌ، ثم اختار موضعه أن يكون خلف هذين الروبوتين الذين يحرسان صديقه وخطيبته، حيث كان موضعهما خلف «شهاب» مباشرة؛ لأن الأخير كان يراقب المشهد أو القتال عن بعد.

فرفع «آدم» ذراعيه الاثنين خلف واحدٍ من الروبوتين وفي أقل من لحظة بسبب سرعته الفائقة كان قد أمسك برأس الأخير، وغيّر اتجاهها للخلف نحوه بقوةٍ كبيرةٍ ثم فصلها عن جسده؛ فأصبح الروبوت في الحال بدون رأسٍ فسقط أرضًا. وفي هذه اللحظة كان قد رأى الروبوت الثاني ما حدث، وبدأ يتأهب ليقتل «آدم» ولكن سبقه الأخير حين ضمّ على كف يده اليمنى بشدة، ثم صوّب ضربته بقوة غاشمة في صدر الروبوت مثل تلك القبضة التي استخدمها في خلق فجوة في السقف لينزل «موسى»، فتهاوى الروبوت في الحال.

وبسبب استمرار القتال بين الطرفين فلم يرَ أو

يسمع «شهاب» ما حدث خلفه، فللتو فقد اثنان من أعوانه.

ثم أخذ «ماجد» و«دينا» بهمسٍ حتى يختلسا أنظار «شهاب» وأعوانه، وبالفعل تم ذلك إلى أن عاد بهما إلى موضعه الأول حيث كان يختبئ، ولا زال هو مكانه في مواجهة أخته ويريد أن يأخذها بين ذراعيه ولكنه لا يستطيع، كما أنه لم يبقَ في فريق «سامر» سوى «سامر» نفسه وروبوت واحد فقط معه، فاغتاظ وضغط على أسنانه حتى زمجر بصوتٍ عالٍ وفي هذه اللحظة خصيصًا اهتزت الأرض هزة خفيفة.

لم يلاحظ الروبوتات تلك الهزة وذلك لأنهم في خضم معركة طاحنة وكأن ما حدث توًا فبسبب قتالهم، ولكن في الحقيقة أن كل بشري يتواجد في هذه الساحة شعر بها، فنظر «فهمي» نحو ابن أخته لأنه وشعر بهذا الارتجاج، فحدَّق الأول نحوه حتى حدث شيءٌ قطع تلك النظرات.

فما حدث هو أن حان وقت تماسك سكان مدينة المحافظين بعضهم ببعضٍ؛ لكي يحموا هم الآخرين مدنيتهم، لقد تجمعوا وأتوا من ذات الاتجاه الذي جاء منه «سامر» و«مريم»، كل واحد منهم ممسكٌ بيديه ما قد يظنه أن يكفي ليحمي به نفسه ومدينته مثل: الأسحلة الحادة كالسكاكين، وبعض القضبان الحديدية المتآكلة، ومنهم مَن أتى بمجسماتٍ كبيرة متحركة يختبئون خلفها تمثل

الدروع التي تصد أي ضربةٍ أو طلقة آتية نحوه.

وبدأوا التقدم نحونا بالفعل، كأنهم يصدقون أن تلك الأشياء التي أتوا بها ليبدأوا قتالًا مع آليين يمسكون أسلحةً فتاكة ستجعلهم يستطيعون أن يتغلبوا عليهم!!

ولكن «آدم»، و«مريم»، و«سارة»، و«سامر»، وكل مَن عالم بالعالم العلوي علم أن ما يفعلونه لا يجعل منهم سوى أموات، لقد قرأوا بالفعل ما قد يؤول إليه ما قد يفعلونه، وهنا لاحظ «آدم» «سارة» تخرج من مخبئها وتقف في الوسط بمواجهة سكان المحافظين لتجعلهم يتوقفون عما يفعلونه؛ لأنها أدركت بالفعل أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا أمام هؤلاء الروبوتات.

ذُعِر «آدم» كل الذعر، ارتعد، فَزِعَ، جَزِعَ، هَلِعَ حين رأى أخته في العراء أمام أنظار هؤلاء الروبوتات، وسط طلقات الأشعة الليزرية التي لم تتهاون أبدًا مع البشر فتجعلهم أمواتًا في ذات الحين.

ولكن ..

حدث ما حدث و«آدم» لا يستطيع أن يفعل شيئًا؛ لقد أصاب شعاعٌ من تلك الأشعة القاتلة «سارة»!! لقد اخترق الشعاع كتفها الأيسر من الخلف فسقطت في الحال.

حدَّق جميع البشر في تلك الفتاة التي كانت تريد أن تستوقف ذلك التجمع الهائل الضعيف

المتهالك، الذي ظن نفسه أنه قادرٌ على العالم العلوي وأسلحته، الكل يتعاطف مع تلك الفتاة التي ضحت بنفسها لتقف وسط المعركة؛ لتنقذ أعدادًا ليست قليلة من البشر.

«آدم» جاحظ العينين، لا يفكر سوى في أخته التي سقطت أمام عينيه، لم يعد يفكر في نفسه إذ ما خرج من مخبئه فيصيبه الشعاع المميت.

كل ما كان يريده الآن هو الوصول إلى أخته تحت أي ضغطٍ أو أي ظرفٍ، وبالفعل ركض وخرج من مخبئه قاصدًا أخته، وفي الحال صار بجوراها على ركبتيه يذرف الدموع، تلك الدموع التي تتساقط على وجه أخته فتنتفض عضلات وجهها؛ ففتحت عينيها لترى ذلك الوجه الذي لم تره منذ سنواتٍ، فتحت عينيها لترى نفسها بين ذراعيّ أخيها، فتحت عينيها لتتلقى تلك الدموع تتساقط عليها، ثم تسمع ذلك الأنين العالي الحزين الذي يخرج من صدر «آدم»، تسمع زمجرة أخيها المتعالية، ثم تتحول ملامح وجهه إلى علامات الغضب الصارمة، وبقوة حين وقف على قدميه متقدمًا الخطوات نحو الاتجاه الذي يتواجد فيه العدو، ولا يهمه تلك الأشعة وانتظر حتى أصبح كل البشر خلفه تمامًا، وأن كل مَن يقف أمامه ليس سوى العدو الذي وقف متسمرًا مكانه متعجبًا مما يفعله ذلك الأحمق المجنون.

وفي تلك اللحظة أصدر «شهاب» وهو واقفٌ مكانه

خلف حراسه أن يطلقوا عليه، والأرض بدأت تهتز ولكن هذه المرة كان ارتجاجًا أقوى وهنا نفد انتظار «آدم»، وخرج ذلك الغضب الذي بداخله وانبثق ذلك الأنين العالي الحزين من صدره، ثم انفجرت تلك الزمجرة العالية ليتحول كل ذلك إلى صرخةٍ لم ولن تحدث مثلها من قبل.

لقد كانت صرخةً عظيمةً جدًا عالية جدًا قوية جدًا، اندفعت نحو العدو لتدمر كل ما يقابلها في طريقها!

لقد كانت صرخة مثل الإعصار الذي لم يبقِ على شيءٍ أمامه، فأخذ صدى تلك الصرخة كل الروبوتات أمامه وتفككوا إلى أجزاءٍ في الحال! وهنا لاحظ «شهاب» ذلك سريعًا وقبل أن يلامسه إعصار تلك الصرخة فرّ بعيدًا، لقد هرب بعيدًا منقذًا نفسه من السلاح القوي الذي لم يرَ بشريًا يفعل ذلك مِن قبل، بل لم يرَ مثله على الإطلاق.

وبعد دقائق من الغضب العارم الذي بداخل «آدم» وتحوّله إلى إعصارٍ عنيف دمر كل شيءٍ أمامه، وتناثرت المساكن والأشياء هدأت العاصفة، وهدأ معها «آدم» حين بالكاد لاحظ أن لم يعد هناك روبوت واحد من العدو سوى «شهاب» الذي هرب بعيدًا.

وأبصر أرضًا حتى وجد أحد الروبوتات الذين رآهم بالأعلى في تلك الحجرة الخاصة بالعمليات، فتعرف

عليه إنه «وسام» كان ساقطًا جامدًا متفكك الأجزاء.

ثم سقط على ركبيته، وعمَّ بعد ذلك هدوء ما بعد العاصفة.

الاندهاش رُسِمَ على ملامحهم، الصدمة تعتلي وجوههم، الصمت يتملك لسانهم، ما الذي حدث للتو؟ وكيف ذلك؟ وأي منطق يثبت ما رأوه لمَن لا يروه؟ أيوجد بشري على وجه أرض الظلام يفعل ما فعله «آدم» للتو؟ أم أنه ليس «آدم» الذي يعرفونه وحدث له شيءٌ حين لمس تلك الشرارات بالعالم العلوي محاولًا أن يمسك ذلك القرص؟.

نظر «آدم» حوله، وشعر أنهم يرونه شخصًا غريبًا عنه، أما الوحيد الذي لم يندهش فهو «سامر» وقد لاحظ الأول ذلك، لكنه كان يعرف أنه لا يشعر فبالتالي لن تُرسم على وجهه أي انطباعاتٍ تعبر عن الموقف، ولكن لا وقت لأي سؤالٍ بخصوص ما رأوه مما صدر من «آدم»، فهناك الأهم وهو «سارة» المصابة.

تجاهل «آدم» كل هذا وعاد إلى أخته راكضًا نحوها، وقبل أن يفعل شيئًا كان قد دنا منه «سامر»، وقال له:

- لا تخف؛ لدينا كل ما هو متطور وكفيل أن يشفي أختك.

ثم أمر ذلك الروبوت الوحيد الناجي وقال له:

- اذهب للأعلى، وآتني بأمهر الأطباء لدينا، وأجود أنواع الأدوية والمعدات الطبية اللازمة وعُد بهم إلى مدينة الجنوب.

أخذ ذلك الروبوت مركبة من الثلاث، وفعّل نظام النفاثات بالمركبة لتجعلها تصعد للأعلى في مكانها، ثم فعّل نظام الأشعة الخارقة تجاه الأعلى فتدمر السقف وأصبح الروبوت في الحال بمركبته بالأعلى.

وهنا اقتربت «مريم» نحو «آدم»، و«سارة»، و«سامر» وقالت:

- وأنا سأعود لمدينتي لأحضر أجود أنواع الأعشاب الطبيعية المناسبة لجُرحٍ مثل هذا.

فقال «فهمي» بعد أن اقترب هو الآخر:

- يبدو أن الجميع سيعود إلى مدينتك.

رد «ماجد»:

- نعم، لقد علموا بنا بالفعل، وذلك الأحمق صاحب تلك الرأس المقطوعة «مساعد أيوب» قال كل شيءٍ يعرفه؛ لقد سمعناه حين كنا نغلق الفجوة التي تركها مفتوحة.

دعّمتْ «دينا» حديث خطيبها بقولها:

- ولهذا علموا بنا؛ يبدو أن ذلك الأحمق تجول بداخل المدينة ولم يستطع أن يتنكر مثلما كان يفعل «آدم»، وأدلى بمكان الفجوة ثم قطعوا رأسه ومن هنا عرفوا طريقنا.

ثم تحدث «وحيد» وقال ملاحظًا:

- بناءً على كلامكم فإن كل مدن أرض الظلام تم اكتشافها، وليس مدينة المحافظين فقط.

صمت لحظة وقال مشيرًا نحو «سامر»:

- وها هي مدينة الجنوب تم اكتشافها بالفعل.

الجميع يتحدث، الجميع يدلي برأيه، الجميع في خضم مناقشة، ولا يوجد سوى شخص واحد فقط لم يتفوه بأي شيءٍ، لا يفعل شيئًا سوى أنه منصت للمناقشة السارية حتى نهض أخيرًا من مكانه بجوار «سارة»، وتقدم بضع خطواتٍ نحو «سامر» ونظر في عينيه كثيرًا متأملًا، يفكر فيما سيقوله، حتى كسر صمته وتحدث موجهًا حديثه ناظرًا نحو الجميع:

- إنني توصلت لشيءٍ هام جدًا، ظل الكثير منا يتساءل في شأنه؛ لقد كنت أرى «سامر» يقصد أتباع «نوح» ويفكك أجزاءهم، وبالفعل لقد جعل الخوف يدب بداخلي في كل مرة أراه.

ثم إن تم اكتشافي بالأعلى بسبب ذلك الكتاب الملعون الذي يهدد جنسهم.

وبما أن هناك مَن يُدعى «نوح» يدمر بناياتهم، ويتلف محتوياتهم، كما أنه يقتل بعض الروبوتات وبسبب اسمه علم الجميع بالأعلى أنه بشري؛ ولهذا السبب حين قبضوا علَيّ فكروا بأنني «نوح».

وبعد ذلك أقول لهم إنني من الفولاذ مثلهم، وهذا بسبب بأن يوجد فولاذٌ متطور ومخصص بالفعل بداخل جسمي بديل العظام التي تلفت تمامًا بسبب حادثٍ ما فقدتُ فيه أبي وأمي، وظننت أنني فقدت أيضًا أختي.

فيكون ما قلته لهم منفذًا لي استطعت من خلاله الهرب منهم، وهم لا زالوا يفهمون أنني «نوح»،

ثم أذهب إلى مدينة المجانين، وأعقد تحالفًا معهم بقيادة «مريم»، لأعود بعد ذلك لأجد بشريين بالأعلى كما كنت أظن؛ وأنهم ينقبون في سقفنا لينزلوا عبر أنفاقٍ ويهربون مما يفعلونه بهم الروبوتات.

وبسبب تلك الفجوات التي فعلوها سكان مدينة الجنوب تم اكتشافها بواسطة الروبوتات.

وبسبب أيضًا حماقة «أيوب» تم اكتشاف الفجوة عن طريق مساعده، ثم نزلوا إلى هنا وتم حصارنا، لتعود لنا بعد ذلك «مريم» ومعها المساعدة «هؤلاء الروبوتات التي كشفوا مدنية الجنوب» التي لم ولن أتوقعها يومًا، تأتي «مريم» بمساعدة «سامر» مفكك الأجزاء قاتل أتباع «نوح».

والسبب الوحيد الذي وجدته الآن وراء مساعدته لمدينة الجنوب، ثم مساعدته لنا عن طريق «مريم» هو شيء واحد فقط.

ثم أحاد بنظره في عينيّ «سامر» وأكمل جملته

قائلًا:

- إن «سامر» هو نفسه «نوح».

ذُهِل الجميع مما قاله «آدم»، ثم صوبوا نظرهم نحو «سامر» الذي رأوه لم يقل شيئًا وظل ناظرًا كثيراً نحو «آدم» حتى تحدث قائلًا:

- نعم، إنني «نوح».

هذا هو مبدأنا، وهذه هي قضيتنا التي ندافع عنها؛

إننا بالفعل نتاج الذكاء الاصطناعي، ولكننا نعلم تمامًا بأن الإنسان هو من صنعنا، فبالتالي لا نعلوه أبدًا في الذكاء، حتى تم انقراضكم كما كنا نعلم، وأصبحنا ننكر أن الإنسان هو مَن صنعنا، كما أننا نذم العنصر البشري ونقول عليه عديم القيمة، وقيمته الوحيدة هو نقل كل ما يملكه البشر لجسمٍ معدني يصير بعد ذلك البشري القديم لكنه آلي،

ومن هنا خرجنا نحن لندافع عن ذلك بقيادتي، ونُدعى أنفسنا بالمرتدين نسبةً إلى ارتدانا عن جنسنا الاصطناعي، كما أنني خلقت شخصية «نوح» الوهمية.

ثم نظر «سامر» نحو الجميع وقال لهم:

- ولا تفكروا أننا لم نكن نعلم أن هناك بشرًا بالأسفل؛ فبسبب موقفي تجاه الإنسان كنت أول مَن عرف بكم، ولكن ليس بسبب «آدم».

يبدو أن «آدم» كان أذكى مِن أن يكتشفه أحد، لكن

تم اكتشافكم عن طريق «أيوب»، وهو يظن حتى الآن أنه استطاع أن يخدعنا بالأعلى، وبسبب أننا ننصر العنصر البشري ففعلت كل شيءٍ يبعد عنكم الأنظار، وكنت أنا السبب في ألا يوجد كثيرًا من المارة في المكان الذي تتواجد فيه الفجوة بالشمال، كما المكان الذي يتواجد فيه الدخان بالجنوب. ولا ننكر أنكم أنتم مَن ساعدموني في إخفاء ذلك؛ لقد كنتم أذكياء للدرجة التي توقعتها بل وأكثر، إنكم اخترتم الأماكن المناسبة لخلق الفجوة الكبيرة أو تلك الفجوات الصغيرة، لقد اخترتم حدود مدينتنا العملاقة.

كما أن حيلة مدينة المجانين كانت ذكية جدًا؛ لتجعلنا نقول بأن هذه الأرض التي تخرج منها الدخان الأسود غير آمنة لعالمنا.

كما أنني كنت أنا من فعل ذلك الانفجار الكبير بالأعلى؛ لأجعل منه إلهاءً يجعل «آدم» يأخذ منه منفذًا ليهرب؛ لأنني كنت على علمٍ بأنه تم القبض على بشري بالأعلى حاول أن يسرق الكتاب، لقد ظننته «أيوب».

وهنا تحدث «فهمي» قائلًا:

- أنت لم تنقذ «آدم» فقط، لولا ذلك الانفجار لكانت رؤوسنا مقطوعة بجوار أجسادنا في ساحة الإعدام بمدينة المتهورين.

ثم تحدث أخيرًا «موسى» الذي كان متواجدًا

من قبل الحصار، ولأنه غريبٌ عنهم فلم يتفوه بأي شيءٍ، ولكنه قرر أن يتحدث قائلًا:

- لقد كان «سامر» هو الوحيد الذي يعاملنا بإحسانٍ بالأعلى، ولكن لم أكن أتوقع أن يكون مناصرًا للبشر.

رد «سامر» قائلًا:

- وبسبب هذا، وبعد كل ما حدث، وبعد أن تم كشف كل الأوراق من جميع الأطراف، فاسمي الآن ليس «سامر» .. إنني أفضل «نوح».

ثم انتهى الحوار، ودنا «آدم» نحو «سارة» ورفعها بين ذراعيه، وركب الجميع تلك المركبات بقيادة «سامر».

لقد ذهب الجميع إلى مدينة الجنوب آخذين طريق الشرق، غادر كل من «آدم» ومعه أخته، و»فهمي»، و»مريم»، و»وحيد»، و»ماجد»، و»دينا»، و»موسى» أيضًا مع «سامر».

وصل الجميع إلى مدينة المجانين في ساعاتٍ قليلة بسبب سرعة تلك المركبات التي تشبه السفن الفضائية، ثم أسرعت مريم بهم إلى مسكنها، ثم دخلت حجرتها الخاصة بأعمالها وأحضرت الأعشاب اللازمة المناسبة لذلك الجُرح الذي بكتف «سارة»، ووضعت عليه بعض أوراق النباتات التي تساعد في التئام الجُرح، وبعض الأعشاب المطحونة التي تساعد في تخفيف الألم حتى راحت «سارة» في النوم.

كان «آدم» في هذه اللحظات كاد أن يفقد صوابه بسبب قلقه على أخته، حتى وصل الروبوت التي صعد بالأعلى وأحضر معه طبيبًا، وبعض المعدات الطبية والأدوية اللازمة باستشارة ذلك الطبيب، وشرع الأخير في عمله الذي استغرق ما يقرب من الساعة كان الجميع فيها قلقًا على «سارة».

ثم بدأت الأخيرة تستفيق، وتعود لوعيها رويدًا رويدًا، واطمأن «آدم» ومَن معه على حالتها.

وبعد ساعاتٍ أخرى استردت «سارة» وعيها إلى حدٍ يجعلها تشعر بمن حولها وتستطيع أن تتحدث، فنظرت إلى أخيها وقبل أن تقول شيئًا سبقها هو قائلًا:

- لن تتغيري أبدًا يا أختي.

ردت عليه قائلةً:

- وأنت تغيرتَ كثيرًا، ما الذي رأيته في المعركة! لولاك لتغلبوا علينا.

صمت «آدم» ولم يعرف ماذا يقول، كان الجميع ينظر نحوه منتظرًا الإجابة، لكنه كسر صمته وقال:

- للأسف أنا لم أعرف إجابةً لذلك السؤال، وتوقعت أن تعلموا بهذا الأمر.

ثم أحاد بنظره نحو «نوح» وأردف:

- ولكن يبدو أن هناك مَن يعرف، أرى ذلك في

عينيه.

نظر «نوح» إليهم جميعًا وقال:

- حسنًا، سأشرح لكم كل شيء.

@ART_OF_BOOK

من المتوقع أنكم ظننتم أن الكتاب كان محميًا بواسطة أشعة ما .. هذا حقيقي، لكنه كان من الماضي.

في الحقيقة إنهم بالفعل نفذوا كل الطرق الممكنة التي تحافظ على الكتاب، وتحميه من الوقوع في الأيدي الخاطئة حتى وإن كانت هذه الأيدي من العالم العلوي نفسه؛ فربما يُساء استخدامه فيدمر كل من بالعالم العلوي.

كانت الأشعة من نوع جاما أخطر أنواع الأشعة التي قد تدمر كل شيءٍ أمامها، وقصدوا ذلك لكي لا يستطيع أحدٌ أبدًا الوصول إليه حتى أصحاب هذه الفكرة.

ولكن مع مرور السنوات حدث شيءٌ غريب؛ لم تعد تلك الأشعة موجودة، حلت محلها أشعة أخرى لم نعرف مصدرها، إنها من نوعٍ غريبٍ غير متآلف لدينا، وبعد الكثير من الدراسات والأبحاث التي استطعنا أن نتوصل إليها هي أن الأشعة ليست أشعة من الأرض؛ إنها أشعة من كوكب آخر، فلنقل إنها أشعة فضائية!

والسؤال يبقى حتى الآن: كيف وصلت تلك الأشعة

إلى هناك؟

ولم نتوصل سوى لحلٍ واحد فقط يبدو مقنعًا، وهو أن كائنًا غريبًا من الفضاء نزل عن طريق الخطأ في كوكب الأرض يملك قوةً خارقةً، لكن تلك القوة وجدت شيئًا في كوكبنا يبدو وكأن شيئًا جذب تلك القوة الخارقة إليها، وهذا الشيء هو أشعتنا جاما؛ ولذلك حلت هذه القوة الخارقة مكان الأشعة جاما، وبسبب فكرنا في الحفاظ على جنسنا قرر الجميع ألا يقترب أحد من ذلك القرص؛ خشيةً أن يحدث شيءٌ عكسي يهدد العالم العلوي بأكمله فظل الوضع كما هو عليه، وأوصلنا للغير أن شيئًا لم يحدث ولا زالت الأشعة جاما موجودة ولا أحد يجرؤ الاقتراب نحوها، حتى جئت أنت يا آدم وكأن فيك شيئًا آخر جذب تلك الأشعة أو القوة الخارقة فمكثت بداخلك، ثم خرجت منك على هذا الشكل الذي رأيتموه جميعًا في المعركة، وواضح أن تلك القوة لن تصدر منك سوى إن حزنتَ، هذا ما لاحظته حين تأثرت بجراح أختك وبكيتَ وغضبتَ وأردتَ أن تقتلهم جميعًا فصببتَ جام غضبك عليهم. كما أنني رأيت أن تلك القوة لها اتجاه واحد فقط وهو ما يكون أمامك؛ لذلك لم نتأثر نحن لأننا كنا خلفك، هذا كان من حسن حظنا وإلا لكنت قتلت أهلك أيضًا.

وبسبب كل هذا فإنك لم تمت كما من المفترض أن يحدث، لم نكن نعرف أن تلك القوة الخارق تريد أن تمكث في مكان آخر مثل جسمك، ثم استنتجت

مما حكيته لي منذ ساعاتٍ أن بداخلك فولاذًا بديلًا للعظام، وواضح أن هذا الفولاذ الذي بداخلك هو ما جذب تلك القوة إليك عندما لمستها.

وبسبب فكرنا في الحفاظ على أعدادنا، لكان لامس أحدٌ فينا ذلك القرص وأخذ هو تلك القوة، ولكن نحن نفكر بعقلنا المصطنع فقط، نفكر فيما هو الضروري لبقائنا، كأنه تفكيرٌ في اتجاه واحد. أما أنتم وبسبب ما تتميزون به عنا وهو أنكم تفكرون بعقلكم وقلبكم، وتفكرون في جميع الاتجاهات نجحتم في ذلك، إنكم بالفعل أذكى منا لكن لا بد من وجود الشخص الذي يستغل ذلك الذكاء.

كنتَ أنت يا «آدم»، إنكم تفكرون من خلال الفطرة والعقل الذي ميزكم به الخالق الذي خلقكم، ولستم تفكرون عن طريق معادلات ورياضيات تم وضعها في أمخاخنا لنفكر ونستنتج من خلالها ما يحدث أمامنا.

انتهى «نوح» من سرده لهذا الكم الهائل من المعلومات التي صدمت الجميع وأولهم «آدم» نفسه، لا زال لا يستوعب أنه ذو قوة خارقة بداخله تدمر أمامها كل شيءٍ حين حين يحزن، فقال لهم وهو في وسط هذا الهول:

- هل أنا ممنوعٌ أن أحزن؛ لكي لا أدمر أي شيءٍ أمامي؟ هذا الأمر آراه حقًا لعنة لُعِنت بها.

رد «نوح» قائلًا:

- إنك أول بشري يفكر في العودة للعالم العلوي، كما أنك أول بشري يتجرأ ليذهب إلى مدينة الرعب والخوف وتعقد تحالفًا معهم، والآن أنت بمثابة أول بشري يتمتع بقوة خارقة، كما أنك تستطيع التحكم بها؛ ولهذا السبب إنها نعمة لك وليست لعنة.

استنكر «آدم» قائلًا:

- أتحكم بها؟

أجابه «فهمي» على الفور قبل أن يفتح «نوح» فاه، وقال:

- نعم، «نوح» على حق؛ إنك انتظرتَ أن تتقدم نحوهم أولًا ثم صببتَ جام حزنك عليهم، هذا ما لاحظته أنا أيضًا، إنها خرجت منك بإرادتك بعد أن جعلت مَن منك يكون خلفك؛ ليكون بعيدًا عن تلك الصرخة وكأنك تعرف ماهية ما بداخلك!

ثم قالت «مريم» مدعمةً ذلك الكلام:

- نعم، وأنا لاحظت ذلك.

ثم قال الجميع ذات الجملة:

- نعم، لقد لاحظنا جميعًا ذلك.

***

وبعد أن وضح كل شيء، ساد صمتٌ عظيمٌ قطعه «موسى» بقوله:

- لا بد وأن أعود حيث كنت؛ لأطمئن البشريين

الموجودين بالأعلى؛ إنهم يريدون ذلك الأمل، وآتي بهم إلى هنا في الوقت المناسب .

فنظر نحوه «آدم» قائلًا:

- لا، عليك أن تبقى بالأعلى أنت وكل البشر هناك.

ثم صمتَ لحظات وتابع بعد ذلك في نظرةٍ حادةٍ:

- لأن الجميع سيعود للأعلى .. حيث عالمنا.

فقال «موسى»:

- وماذا سنفعل حتى يحدث ذلك؟

هنا رد «نوح» قائلًا:

- اترك هذا الأمر لي، سأتواصل مع أتباعي غير المعروفين ليخفوا كل ما فعلته أنت لكي لا يرى أحد تلك الحفرة.

ثم أخرج «نوح» من صدره شيئًا صغيرًا ودقيقًا للغاية وأعطاه ل «موسى» قائلًا:

- إنك تريد دليلًا ليصدقوك، كما أنهم يريدون شيئًا عظيمًا ليبث الأمل بداخلهم، هذه كاميرا بداخلها فيلم فيه كل ما حدث منذ ساعات.

أخذ «موسى» تلك الكاميرا وركب المركبة مع ذلك الروبوت وذهب به بعيدًا.

كانت تلك النظرة الثاقبة لا زالت تعلو عيني «آدم» حين لاحظت «مريم» ذلك فسألته:

- ما بكَ؟

فأجابها «آدم» بذات النظرة:

- بي كل شيءٍ يبدو لي مجنونًا.

فتابعها «فهمي» بقوله:

- لقد عديتَ كل مراحل الجنون.

ثم تبعته «سارة» بسؤالها وهي على فراشها:

- حسنًا، ماذا الآن؟

صارت نظرة «آدم» أكثر حِدةً، وأكثر ثقوبًا:

- لقد حان وقت ما كنت أتجنبه منذ أن بدأنا في هذه المغامرة.

إنها الحرب.

الفصل الثالث

حربٌ عُظمى

سارة

اشتقت لما أفعله الآن، إنني أحترق شوقًا لكتابة مذكراتي، لقد مرّ الكثير منذ آخر مرة كتبت فيها شيئًا، ولا بد أن أدون كل شيءٍ حدث لي حتى هذه اللحظة.

لقد مرَّ يومٌ من حدوث المعركة، وعادت «سارة» أختي إلى وعيها تمامًا، وأستطيع أن أقول الآن إنها عادت بعافيتها بسبب الطب والأدوية المتطورة، وأيضًا أعشاب «مريم».

«مريم» .. إنها الفتاة التي تحرك لها قلبي منذ أن رأيتها، لقد اهتز أخيرًا وجداني، دومًا ما كنتُ أرى فتيات كثيرات ولكن لا فتاة من بينهن استطاعت أن تحرك ساكنًا في مشاعري سواها، لا أعرف لماذا؟ ربما لاختلافها عن غيرها؟ أو ربما لجرأتها، وشخصيتها الجسورة؟

إنها تتمتع ببشرة بيضاء، وشعر أسود طويل ناعم، كما أنها معتدلة القوام، طويلة القامة، تمتلك جسدًا ممشوقًا جذابًا، وعينين سوداوين واسعتين جريئتين لا تخافان، ولكن ليس هذا ما جذبني إليها؛ ربما بسالتها، أمانتها، شجاعتها، إقدامها، لا أعرف، بل ما أعرفه أنها جذابة لدرجة مستفزة تجعلني لا أطيق البعد عنها، ولا أعلم كيف ذلك وبهذه السرعة؟!

لكنني لا أوضح ذلك، ومن يراني لن يستطيع أن

يرى تلك المشاعر المتضاربة التي تتصارع بداخلي تجاه هذه العرّافة المجنونة.

وظللت أكتب وأكتب كلمات كثيرة في «مريم»، وشردت في وصفها كثيرًا، حتى جاء مَن قطع حبل إفراطي في رثائها؛ إنه ذو الشارب وحيد بالطبع، وأعرف لماذا أتى؟ وما الأمر الذي يريد أن يتحدث عنه؟

- كيف حالكَ؟

قالها بنظرةٍ توحي بالقلق، فنظرت له وأجبته بنظرةٍ توحي بالشك:

- أم تقصد كيف حالها؟

ابتسم «وحيد» ابتسامةً خفيفة تدل على الخجل قليلًا، ثم تلعثم فأسرعت بقولي لأنقذه من موقفه أمامي:

- إنها بخير يا «وحيد».

فأومأ ثم فعل تلك الحركة بيده اليمنى مشيرًا نحو حجرتها، حيث تدل على أنه يريد أن يتحدث إليها .

فقلت له في حزمٍ مخلوطٍ بقليل من الامتنان:

- ولكن أريدك أن تؤجل الحديث معها، ليس الآن كما تعرف، انتظر الوقت المناسب حيث يتسنى لنا أن نعرف ما حدث لها؟ فرغم أنني أخوها ولكن لا أجرؤ على الحديث معها في شيء.

فأومأ مرة أخرى متفهمًا الموقف؛ فشكرته ثم عبَر هو لي عن امتنانه؛ فغادر للخارج وبعد دقائق أتت «مريم» من غرفة «سارة» قاصدة إياي، وقالت لي في توجس:

- «سارة» تريدك.

فنهضت مفزوعًا وسألتها:

- ما بها؟

فابتسمت وقالت لي محاولةً أن تهدئ من روعي:

- أختك بخير، إنها تريد فقط أن تتحدث إليك.

فنظرت لها بنظرةٍ ساخطةٍ وقلت لها:

- إذًا لما هذا التوجس الذي رأيته على وجهك؟ أم أن هذا أسلوب المجانين؟

ثم ضحكت ضحكةً كادت أن تهز الأرض تحتي فتبتلعني، لا أستطيع أن أقاوم سحرها، ثم قالت:

- ربما أنت رأيتَ ذلك لتمتعك بقوة خارقة فترى غيرك مختلفًا عنك.

ابتسمت لها ثم تركتها قاصدًا غرفة أختي، ودلفت للداخل.

كانت على فراشها مبتسمة متفائلة تحتضن الدنيا بصدرٍ رحب، هذه عادتها إنها «سارة» لم تتغير.

ثم رفعت ذراعها وأشارت بكفٍ منبسطٍ نحوي وقالت:

- اقترب يا أخي.

دنوت منها وجلست بجوارها على الفراش، ولم أنبس ببنت شفة فقالت هي:

- كيف صدقتَ أن الفتاة التي كانت بالنسبة لك كل حياتك، وكنتَ أنتَ لها الأمان والحنان ماتت؟ كيف؟!

إنني عاجزٌ عن الكلام لا أعرف بماذا أجيب؟ ولكن انتصرت في النهاية على عجزي وأخبرتها:

- إنني رأيتهم يطعنوكِ، كيف لا زالتِ على قيد الحياة؟

فقالت لي كأنها لم تندهش لما أحاول أن أقوله لها:

- ما رأيته منذ خمسة أعوامٍ كان حقيقيًا، ولكن مَن رأيتها ليست أنا.

تمكلني الذهول تمامًا، وكاد أن تخرج عيناي من مقلتيهما، وسألت في اندهاش:

- ماذا؟

فأجابتني مباشرةً:

لقد قتلوا فتاة أخرى؛ أرادوا أن يجعلوك تشاهد هذا وتظن أنهم قتلوني! وبسبب أنك رأيتني من الخلف لم تستطع أن تميز الفتاة؛ لقد علموا بوجودك حينها وأرادوا أن يثيروا غضبك؛ وبذلك تبدأ أنت الهجوم وبسبب ذلك استطاعوا أن يهزموك؛ لأن قلبك يا «آدم»، كان مجروحًا مما رأيته، لقد كنتَ تظن أن

أختك قد قُتِلت، كما أنك تفاجأت في نفس الوقت بجثتي والدينا فكان ثقل قلبك سببًا في هزيمتك أمامهم تحت عجلات مركباتهم، ثم أخفوا جثة تلك الفتاة لكي أحد منكم حين يأتي لا يعلم أنها فتاة أخرى سواي.

كادت رأسي أن تسقط مني لكثرة دورانها بسبب هذه المفاجآت التي أسمعها، لقد وصلت أعلى مستويات الذهول، ثم أردفت:

- كنت أنا من المفترض أن أظنك ميتًا لما رأيته يفعلونه بكَ حين كسروا عظامك، وبالطبع أنتم لم تعلموا حينها أنني كنت موجودة بالجوار أراكَ تحت عجلاتهم، ولا أستطيع أن أفعل لكَ شيئًا، لقد كتموا فمي وجعلوا عيني ترى، جعلوني أصدق أنك مت. أما أنا لم أكن أريد أن أصدق هذا، عشت على أمل أنك لا زلت على قيد الحياة، كما أنني لم أحاول أن أعود لكم؛ لأنني أنا مَن كنت أريد ذلك.

اندهشت من جملتها الأخيرة، وجحظت عيناي لتلك المفاجأة الصادمة وسألت في ذهولٍ:

- ماذا؟

فأجابتني في توكيدٍ:

- نعم، لقد قصدت أن يظن جميع سكان أرض الظلام أنني ميتة، لا أحد كان يعرف عني شيئًا سوى «مريم»، ورغم ذلك لم تكن تعرف سوى أنني لي أخ وأظنه على قيد الحياة، ولم أقل لها كل شيءٍ إلا

حين أتيتَ أنت إلى هنا منذ بضعة أيامٍ، وعلمت من حديثها عنك أنك أخي.

سألتها في توجس:

- ولما أردتِ أن يظن الجميع أنك على قيد الحياة؟

أجابتني بعد أن أخذت كمًا كثيرًا من الأوكسجين في صدرها، ثم زفرته في زفيرٍ طويلٍ يبدو أنه يحمل الكثير من الهموم:

- لأنني كنت مطلوبة.

عقدت حاجباي وسألتها في نفس التوجس:

- مَن الذي كان يريدك؟ لقد ثأر خالنا بالفعل ممَن فعل بكِ وبي ذلك؛ لقد قتل عم أيوب وقطّع جسده.

ثم أبصرت عينيها تذرف الدموع، فمددت يدي وأمسكت يدها، وضممتها في حنانٍ وقلت لها:

- الآن أنتِ لست بمفردك.

فمددت يدي الأخرى نحو عينيها ومسحت لها دموعها وقلت:

- الآن أخوكِ هنا.

ثم استعادت تماسكها وشرعت في قصّ كل ما حدث معها، قائلةً:

- إنه «أيوب».

جحظت عيناي عند سماعي هذا الاسم الذي

سمعته أكثر من مرة في خلال أسبوع واحد فقط، وأن اسمه دومًا يذكر في كل مصيبة تحدث لنا، ثم ظهر على وجهي علامات الغضب، فلاحظت «سارة» ذلك وقالت لي بعد أن ضمّت بيدها على يدي:

- لما كان يريد أن يقتلني، بل كان يريد أن يستفيد مني.

عقدت حاجباي في جهلٍ وسألتها:

- كيف يستفيد منكِ؟ ما الذي كان بحوزتك ويريده؟

نظرت في عيني كأنها نادمة على استحواذها على هذا الشيء، فقالت:

- لقد كان العلم.

استنكرتُ:

- العلم؟

أجابتني:

- نعم، إنه العلم كان سبب كل ما حدث لي.

ثم شرعت تحكي دون أن أقطع سردها، قائلةً:

- كما يعرف الجميع أن سبب العداوة التي كانت بين خالك وعم «أيوب» هو الحب الذي كان بين خالي و»عمة أيوب»، ولكن اعترض أخوها على ذلك وأراد أن يحرق قلب خالي على أخته (والدتنا) كما خرق قلبه هو الآخر على أخته، ولكن هذا ما كان

يظنه؛ لقد أحبا الاثنان بعضهما، ثم قتل خالي ذلك الأحمق وانتهت العداوة.

ولكنها بالنسبة لي لقد بدأت للتو؛ لأن في الفترة التي كانت تفصل بين الحادث وقتل خالي لعم أيوب، حللت محل تلك الفتاة التي قتلوها واستخدموها كطُعمٍ لكَ؛ لأنها كانت تفعل أشياءً مهمة لهم تخص العِلم المتقدم، ولا بد من وجود تلك الفتاة لأنهم نفذوا اتفاقية بين أناسٍ آخرين أكثر شرًا من سكان مدينة المتهورين، وأخبروهم بأن هناك فتاة قريبة لتنفيذ مشروعهم، وبما أن الفتاة ماتت فهم مهددون بالخطر جيمعًا.

لم يكن يعرف «عم أيوب» حينها أن الفتاة التي استخدمها طُعمًا لكَ هي نفس الفتاة المطلوبة؛ لقد كان غليظ الفهم، لا شيء يحركه سوى الشر والقتل ورغبته في فرض سيطرته.

أما عن رفض قتلهم لي من البداية وأكون طُعمًا حقيقيًا لكَ، هو أن ابن أخيه أُعجِبَ بيّ .. نعم، أرادني «أيوب» زوجة له.

وبسبب أنه الوريث الوحيد لزعامة مدينة المعترضين، بالإضافة إلى حب القائد له لأنه لم ينعم الله عليه بالنسل، فأخذه كابنٍ له خصيصًا بعد أن مات أبوه، فلم يقتلوني لأنهم أرادوني له، وفعلوا ما فعلوا ثلاثة أخوة «رجلان وفتاة « لم يخرج من نسلهم سوى «أيوب» فقط.

لم أكن حينها أستطيع أن أفعل شيئًا، أو حتى أرفض طلب الزواج، ولكن ما استطعت أن أفعله هو أن أماطل في هذا، فاقترحت أن أكون تلك الفتاة المطلوبة، ويعلموني ما كانت تفعله وعليهم فقط أن يماطلوا هم مع هؤلاء المتهورين، ثم بعد ذلك يتحقق المطلوب وهو زواج «أيوب» مني.

وبعد فترة قتل خالي «عم أيوب» كنت أنا قد تعلمت بعض الأشياء، وبعد دراساتي وأبحاثي علمت ماهية المشروع وما الهدف منه، كما أنني تعمقت في بعض الأساسيات، وكنت مستعدة للبدء في التنفيذ. وهنا لم يبقَ أمام المتهورين سوى «أيوب» ليطالبوا بحقهم في تنفيذ المشروع.

لقد كان أيوب أكثرهم ذكاءً ودهاءً وأكثرهم جرأة، لم يكن يريد أن يكون ضعيفًا أمام أحد، ولم يكن يريد أن يتسلط عليه أحد؛ فبعد أن ماطل معهم كثيرًا بحيلة أن الفتاة المقصودة أوشكت على الانتهاء -التي هي أنا- فقتلهم جميعًا!!

لقد تخلص من كل ما يعوق طريقه، وقرر أن يتحالف مع مدينة المتهورين ويكون زعيم المدينتين. لم يكن يريد أن يكون له عدو يعيقه من تنفيذ ذلك المشروع الذي سيكون له وحده.

أما أنا وبسبب ما توصلت له من علمٍ كنت أماطله بسبب انشغالي بالمشروع، كما أنني اقترحت أننا نريد أن ننتهي منه في أسرع وقتٍ؛ ليصبح جاهزًا

ثم بعد ذلك أحقق طلبه ورغبته بي. وبالطبع بسبب تعجله في المشروع أكثر من زواجه بي وافق على ما اقترحته له.

وبعد مرور سنة استغللت فرصة هروب كانت متاحة أمامي، وأترك خلفي كل ما كنت أعمل عليه؛ لأن ببساطة لم أكن أريد من المشروع أن ينتهي؛ لأن لو أصبح المشروع جاهزًا لأباد «أيوب» كل من يعوق طريقه وأولهم مدينة المحافظين .. مدينتي، حيث يسكن فيها أخي الذي كنت حينها آمل أنه لم يمت، وأنه لا زال على قيد الحياة،

لقد عاملني «أيوب» بالحُسنى ولم يوجه لي أي كلمة بذيئة أو معاملة قاسية، كما أنه لم يكن يعرف حينها ما فعله عمه في والدينا، وحتى الآن لم يعرف أنني «أخت آدم» وأن «فهمي» هو خالي، لا يعرف سوى أنني من مدينة المحافظين، وأن عمه أسرني بسبب قصة حب كانت بين عمته وشخص من نفس المدينة يكون خالي، وآخر تم محقه ويكون لي أخي.

لكنني كرهت «أيوب» بسبب ذلك الشر الكائن بداخله، كرهته بسبب ما يكمن بداخله من دمار وهلاك يؤدي بالجميع بسبب حبه في فرض السيطرة .. فرض السيطرة وتملك القوة هذان الشيئان اللذان يبدوان أنهما شيء موروث في تلك العائلة.

لقد هربث وذهبث للخارج أركض وأركض، تمر

الأيام والليالي وأنا مشردة في الشوارع، لقد عشت الظلام الحالك والبرد القاسي حتى وجدت نفسي بعد ثلاثة أيام أنني في مدينة المتهورين! وبسبب كوني غريبة عنهم قبضوا علَيّ.

وبعد مرور أيام كثيرة جاء اليوم الموعود كما كانوا يدعونه؛ ذلك اليوم الذي يحدث في ساحة الإعدام، ذلك اليوم الذي تدق فيه الفؤوس رؤوس كل الغرباء وكل مَن ليس له منفعة في هذه المدينة بعد أن يعذبوهم.

وبالطبع تلقيت ذلك العذاب على جسدي من جلد وضرب كما يفعلون مع الجميع.

وبسبب كرهي للحياة وبسبب ما تعرضت له لم أحاول أبدًا أن أثبت لهم بأنني ذات منفعة لهم، لم أكن أريد أن يستغلني أحد مرة أخرى، أردت الموت فقط.

ولكن تفاجأت بعد ذلك أن اليوم الموعود لن يتم سوى في حضور شخصٍ ما، لن تبدأ ساحة الإعدام في عملها إلا حين يصل إليها ذلك الشخص .. وهو «أيوب» زعيمهم الجديد.

ففي طريقي في الخروج إلى ساحة الإعدام اختلست أنظارهم واستطعت أن أهرب من أيديهم بأعجوبة، وأخذت طريق الشرق حيث لا أحد، ومنه توجهت نحو الجنوب، إلى أقصى أقاصي الجنوب حيث وجدتني العرَّافة «مريم» جثة هامدة

بجراحي، أخذتني وعالجتني وأصبحت صديقتها الوحيدة وأصبح هذا المسكن مسكني.

لقد رفضت العودة إلى مدينتي لأن هذا هو أول مكانٍ سيأتي في فكر أيوب ليبحث عني؛ لأنه يعرف أنني من مدينة المحافظين، ثم أنني لم أكن أريد أن تتعرضوا للأذى بسببي ويعاد كل ما حدث في الماضي مرة أخرى وبسبب الحب أيضًا.

لقد انتهت أختي من سرد ما حدث لها بالتفصيل منذ الحادث حتى لحظتنا هذه، ولا أنكر كم المفاجآت التي أصبحت على علمٍ بها، ولكن بات الآن في رأسي سؤالٌ واحدٌ فقط أريد إجابته، فعلى الفور سألتها:

- ما هو ذلك المشروع يا «سارة»؟

صمتت لحظات ناظرة نحو عيني كأن التردد يتمكلها، أو أنها لا تريد أن تصعقني بمفاجأة أخرى، ولكنها قررت في النهاية أن تتحدث قائلةً:

- إنه يسمونه مشروع الآلات المقاتلة.

لم أفهم إلى ما يوحي مصطلح الآلات المقاتلة، فطلبت منها توضيح لذلك الشيء، فأجابتني:

- إنها آلات تم اختراعها وتصميمها لتناسب العنصر البشري حيث يركبها الإنسان، فتفعل تلك الآلات كل ما يريده الإنسان عن طريق توصيل مخ العنصر البشري بذاك الجسم الآلي؛ فتنفذ الآلة

كل ما تستقبله من المخ البشر كالقتال، أو الدفاع، والهجوم، أو إطلاق الأشعة الليزرية؛ لأنها مدعمة بتلك الأسلحة كذخيرةٍ تُملأ وتُفرغ، كما أنها مُدعمة بالأسلحة المتفجرة.

ويبلغ طول الآلة الواحدة ضعف طول الإنسان العادي، إنها ضخمة تتقارب حجمها بحجم الغوريلا التي كانت تتواجد في الزمن القديم، إنها آلة تشبه الإنسان لها ذراعان ورجلان ورأس وبقية الجسم.

الآن أصبحت متيقنًا مائة بالمائة أنه اليوم العالمي في الذهول والمفاجآت الصادمة؛ فقلت لها في رعبٍ:

- إنه مشروع خطير للغاية ومدمر إلى حدٍ لا يُعقل.

فأجابتني مطمئنةً:

- لا تقلق، كان هذا مشروعهم منذ خمسة أعوامٍ حيث من المفترض أن أكون مَن أنهيه، ولكنني تركت كل شيءٍ خلفي والمشروع لم يكتمل.

رددت عليها في ثقةٍ بسؤالي:

- وما الضمان لذلك؟ ما الذي يمنعه أن يكمله بأي طريقةٍ أخرى، إنه مشروع مهم بالنسبة له، وبه سيسيطر على العالمين العلوي والسفلي؟

وعند سماعها لسؤالي لاحظت نظرةً في عينيها توحي بالشك، كأن ذلك كان يفوتها ثم تساءلت:

- ماذا تقصد؟

قطعت سؤالها وأخبرتها:

- مشروعٌ مثل هذا في ضخامته يدل على أنه كان يريد أن يسيطر على الجميع. من غير المنطق أن يفعل مثل تلك الآلات المقاتلة للبشر، إننا أضعف من ذلك بكثير، لقد أراد بهذا المشروع شيئًا أضخم وأخطر؛ أراد أن يحارب العالم العلوي بها.

ثم سرحت لحظات أفكر فيما مضى حين كان خالي ومعه «ماجد» و«دينا» بحوزته، وبعد ذلك علمت شيئًا مهمًا فقلت لها:

- وهذا يفسر رفض «أيوب» لتقديم المساعدة لنا؛ لأنه لم يكن يريد إثارتهم قبل أن ينهي مشروعه.

وهذا يفسر أيضًا سبب سعيه وراء الكتاب؛ لكي يستحوذ على كل ما هو يساعده في الانتهاء من مشروعه وتغلبه على العالم العلوي.

ضيّقت «سارة» عينيها وقالت بعد تفكيرٍ:

- أليس من المفترض أن يساعدنا هذا في حربنا ضد العالم العلوي؟

قلت لها في أسفٍ:

- لو كان شخصًا ليس من تلك العائلة التي تحب السيطرة لكان الأمر اختلف، لكن لو أنهى بالفعل أيوب مشروعه ستكون مدينة المحافظين أول الضحايا، وسيكون البشر في الأسفل تحت رحمته هو، وأنتِ رأيتِ بنفسك ما كان يفعله في ساحة

الإعدام.

نظرت لها بنظرةٍ توحي بالقلق وقلت لها:

- إنها كارثة أكبر من حربنا ضد الروبوتات.

ولكن .. وبعد ذلك قالت لي أختي ما هو كارثي حقًا؛ لقد أخبرتني بشيءٍ جعلني أشعر أن الحرب ليست هي أكبر مخاوفي .. بل ما قالته للتو.

الاستعداد

في الصباح، اجتمع الجميع في مسكن «مريم»، الكثير أتى ليحضر ذلك الاجتماع؛ كبار سكان مدينة الجنوب، وبعض العرَّافين الذين يحترمون «مريم» لاستقامتها في عملها الذي تعتبره فنًا ليس الجميع يتقنه أو يحترم قواعده.

كما حضر أيضًا «نوح»؛ لأنه لا زال هنا في المدينة، فلا يستطيع أن يصعد لعالمه بسبب أن «شهاب» قد لمحه في المعركة، فقد أصبح الآن خائنًا مطلوبًا بالأعلى.

وعائلتي التي أحبها كل الحب خالي «فهمي»، وأختي «سارة»، وصديقي «ماجد» مع خطيبته، وصديقي الآخر «وحيد»، ولا أنسى صاحبة المسكن الغالية على قلبي «مريم».

اجتمعنا كلنا لنحدد مصير العالم البشري ضد العالم الاصطناعي في الحرب القادمة، ستكون حربًا مصيرية لن تختلف عن تلك الحرب التي أسفرت على الاقتراب من انقراض البشر.

إننا الأمل الوحيد والأخير في بقاء الجنس البشري على وجه الكوكب؛ إننا آخِر مَن في الصف مطالبون أن نحافظ على النسل البشري.

ثم قُطِعت أفكاري بواسطة ذلك الصوت الذي بدأ في التحدث في هذا الاجتماع، كان ذلك الصوت

الذي أعتبره سحرًا يتملكني؛ إنه بالطبع صوت «مريم» تقول:

- لقد اجتمعنا اليوم لنضع خطةً محكمةً استراتيجية للاستعدادات اللازمة في مواجهة الحرب القادمة إلينا.

وهنا أنصت الجميع فأردفت «مريم»:

- وبصفة مدينة الجنوب الحليفة لمدينة المحافظين التي تعرضت للهجوم منذ بضعة أيامٍ من قِبَل العالم العلوي، وهذا يعني أنه تهديد لسكان المدن المدفونة جميعها، فنقف الآن متكاتفي اليد معهم، ونستمع ل «آدم» ممثل مدينة المحافظين لما لديه من اقتراحاتٍ.

وجه الجميع بصره نحوي في انتظارٍ لما سأقوله، فأخذت لحظات أستجمع أفكاري لأقولها متراصة، ثم تحدثت:

- في البداية، كنت أشعر بأن مستقبل العالم السفلي جميعه على أكتافي، أحمل ذلك العبء بمفردي كوني الصاعد، ولكن اتضح في النهاية أن هناك مدنًا استطاعت أن تدبر أمرها وتعيش هذه الحياة مثل هذه المدينة التي خلقت فجواتٍ صغيرة قد تؤدي لاكتشافكم في يومٍ ما وهذا ما حدث بالضبط، ولكن لحسن حظكم أن مَن اكتشفكم هم فئة المرتدين.

ثم كوني أول بشري يفكر في العودة كنت أحمل

عبء التجنب من أي خطأ يحدث؛ فيكون سببًا في هلاك سكان أرض الظلام جميعهم، فأكون أنا مَن تسببت في ذلك، ولكن الآن أصبح الأمر أبعد مني ومن أي أحدٍ شارك في تلك المغامرة التي بدأتها؛ لأن علمنا مؤخرًا أن «أيوب» زعيم مدينتي المعترضين والمتهورين كان صاعدًا هو الآخر، وبسبب حماقته أرسل رجلًا من أتباعه ترك الفجوة الكبيرة الشمالية مفتوحة، ومنها تم اكتشاف مدينة المحافظين، ولكن لسوء حظنا أن مَن اكتشفنا هم النصف الآخر الشرير.

وبعد ذلك كان جميع سكان العالم السفلي منذ بدايتنا هنا يحاولون ألا يتم اكتشافهم؛ لكي لا نتعرض للانقراض لكوننا آخِر البشر، ولكن تفاجأنا جميعًا أن فئة المرتدين يعلمون بأمرنا منذ زمنٍ وهم مَن كانوا يساعدونا دون علمنا أن يبعدوا النصف الآخر عنا.

كان هناك أول مَن يسمع لهذه المعلومة الأخيرة التي قلتها؛ فحدثت بلبلة واضطراب بين أعضاء الاجتماع، فساعدت «مريم» أن تجعل الجميع ينصت، ثم أدرفتُ:

- كل هذا كنت أحمل عبئه بمفردي، وكنت ألوم نفسي أنني أنا مَن تسببت في ندلاع هذه الحرب، ولكن بعد كل ما سمعتموه اتضح لنا جميعًا أن العالم السفلي عاجلًا أم آجلًا كان سيتم اكتشافه لأي سببٍ آخر مما أخبرتكم به.

وأن تحركي تجاه فكرة العودة إلى الأعلى وبدء التنفيذ في الخطة كان سببًا في اكتشاف أن العالم السفلي سيتم قريبًا، وذلك أعطانا أفضلية المعرفة ولولا لم نفعل ذلك لتفاجأنا جميعنا بهم.

وهذا يشير أن في جميع الأحوال كان سيتم محقنا،

فأخيرًا نحن في حالٍ أفضل من غيره.

وهذا ما كان يؤلمني بداخلي وأردت أن أشارككم فيه.

ومن هذا المنطلق سنرتب خطتنا ونبدأ في تنفيذها.

وهنا سمعت خالي يسألني:

- كيف تفكر في خطة نستطيع بها التغلب عليهم؟

أجبته بل أجبت الجميع؛ لأن سؤال خالي هو بمثابة سؤال الجميع في هذه اللحظة:

- حسنًا، إنني أؤمن بأن الله ينعم على خالقه بموهبةٍ ما لنصوب أنظارنا نحوها؛ لأن الله لا يهبنا شيئًا دون أن نفيد بها في الخيرغيرنا والعالم وأنفسنا.

كما أنني أؤمن أن لا أحد دون موهبة، ستظهر تلك الموهبة في الوقت المناسب ولكن علينا فقط أن نحاول جاهدين في اكتشافها.

وهنا في هذا الاجتماع أعرف مَن يمتلك موهبةً قد نستفيد منها في هذه الحرب.

أولهم صديقي «ماجد» الحداد، ثانيهم صديقي «وحيد» الرسّام، وثالثهم أختي «سارة»، وبعد ذلك معنا خالي «فهمي»، وأخيرًا «مريم» العرّافة كلٌ منهم لديه ما قد يفيدنا في الحرب.

تساءل الجميع في أصواتٍ مبعثرة:

- كيف ذلك؟

- ما هذا الجنون؟

- إنه لم يحدث قبل ذلك أن يكون هذا الكلام بمثابة خطة استراتيجية قبل حرب قد تؤدي إلى هلاكنا.

كان هذا ما أسمعه، ولكن هناك القليل يؤمن بكلامي، هنا مَن يكترث لخطتي، فتساءلت «مريم»:

- كيف ذلك يا «آدم»؟ قل لنا خطتك.

عاد الصمت مرة أخرى، ولكن ليس الجميع يريد أن يستمع لي لأنه مؤمن بي، بل كان وراء إنصاته الفضول فقط، فاستكملت حديثي:

- أنهم مثال للتكنولوجيا والتطور، سنعطيهم ما هو غير متوقع؛ سنجلب لهم حربًا كلاسيكية من الزمن القديم.

سألت «سارة» عاقدة حاجبيها:

- كيف ذلك؟

أجبتها:

- «ماجد» سيعمل جاهدًا في تجهيز الأدوات الحادة مثل تلك التي كانت تحدث في الحروب القديمة في الزمن القديم .. القديم جدًا: كالسيوف، والحِراب، والدروع الدفاعية الكبيرة التي سنصنعها من الفولاذ القوي الذي سيوفره لنا «نوح» من العالم العلوي؛ لتتحمل أشعتهم الليزرية.

وهنا بدأت ألاحظ إنصات الجميع لما أقوله باهتمامٍ، فقط وجدوه أنه جدير بذلك.

فتساءل «ماجد» قائلًا:

- ولكن كيف نواجه عدوًا من الزمن الحديث بأسلحته المتطورة ضد بشريين واهنين يستخدمون آلات من الزمن القديم جدًا، لن يكون هناك تكافؤ أبدًا.

وجهت له ابتسامة واثقة لأنني كنت أعلم أن هذا الكلام سيقال، فأجبته على الفور بل أجبتهم جميعًا:

- لأن هنا يأتي دور «وحيد»، إنه رسّام محترف؛ سيرسم على تلك الآلات ويلونها بنظام الفور دي (٤D) ليجعلها تبدو كجزءٍ حي من الطبيعة نخدع بها بصر الروبوتات، أو جزءًا من الملابس التي سيرتديها مَن يحمل هذه الأسلحة؛ فيبصرونا أننا لا نمسك شيئًا في أيدينا وهذا يعيطنا عنصر المفاجأة سيتفاجأون بذلك.

وهنا قالت «سارة»:

- هذا يعني أننا سنصعد للحرب لا هم مَن ينزلون؟

أجبتها:

- نعم، سنجعل الحرب في الأعلى، لا يجب أن نعرض مَن ليس لهم قوة هنا للخطر من نساء وأطفال وكبار السن، ثم ألا يجب أن نعرض مبانينا ومساكنا هنا للهلاك، لا بد وأن نضع في حسباننا أن نُهزم وأن نلجأ لأرض الظلام مرة أخرى، فنجدها كما غادرناها، لقد احتوتنا أرض الظلام سنوات عديدة ولا يجب أن نضحي بها.

ثم جاء دور «نوح» ليتحدث:

- خطتك حتى الآن تبدو ممتازة، وما يميزها هو أنها لم تحدث من قبل وهذا ما يعطيك الأفضلية أنك ستكون عدوًا مبهمًا غير مفهوم لعدوك الآخر، ستتجنب بذلك توقعاتهم في أفكار البشر في الخدع والحروب؛ لأننا نحن الروبوتوتات درسنا مخ الإنسان وفهمنا ما قد يفكر فيه، وما تقوله هذا يبدو غريبًا لي ولم أره من قبل في أي دراسة لمخ الإنسان.

ولكن عليك ألا تنسى الأشعة الكهرومغناطيسية التي نمتاز بها عنكم؛ إنها في أنظمتنا الإلكترونية وإن لاحظنا شيئًا يبدو لنا غريبًا نستخدم تلك الأشعة لظهور ما هو خفي للبصر، وهنا يموت عنصر المفاجأة ذلك الذي تحدثتَ عنه.

أجبته على الفور لكوني واضحًا في حسباني احتمال كل ما هو سيء قد يحدث:

- نعم، معك حق، وإنني على علمٍ بذلك، ولكن لا ننكر أننا استفدنا ببعض الوقت في البداية، وعند اكتشافهم أسلحتنا الخفية لا بد من مفاجأة أخرى لا يستطيعون توقعها هي الأخرى.

سأل «وحيد»:

- وما قد يكون مِن مفاجأة أخرى نواجههم بها؟

وهنا قال خالي «فهمي» مجيبًا لسؤال «وحيد»:

- هنا يأتي دوري؛ سأذهب إلى مدينتنا لأحضر شيئًا مهمًا، كنت أخفيه منذ زمنٍ ولا أحد يعرف عنه شيئًا.

انعقد حاجباي لما أسمعه من خالي؛ لأنني تسرب الشك بداخلي لعدم وجود شيء هناك لم يخبرني به خالي، لا أنكر أنني اندهشت مما قاله فسألته على الفور:

- ما هو؟

قال:

- هناك مخزن أسلحة نارية أخفيته عن عيون الجميع.

اندهشتُ و«سارة» أيضًا، فتساءلت:

- ولماذا تخفيه؟

أجابها خالها:

- لكي لا يتسنى لأحدٍ أن يحاول يمسك سلاحًا ويرفعه على مَن مِن جنسه، حيث كان هدفي من ذلك الحفاظ على مَن تبقى من البشر؛ لقد كان هذا المخزن موجودًا منذ أجدادنا الأوائل هنا في الأسفل عقب الحرب الأخيرة سرقوه معهم حين سكنوا هنا.

ومن المفترض أن يكون شخصًا واحدًا فقط يعلم به في كل جيلٍ ثم يُسلم سره لأحدٍ من اختياره حين يأتي الموعد المناسب لذلك؛ لكي يبقى المخزن معروفًا من أجل لحظة مثل هذه. وها قد أتت اللحظة ولم يعد هناك فائدة من إخفائه.

لا داعي لأن أعاتبه بعد ما سمعته منه، فقررت أن أكمل الخطة، فقلت:

- حسنًا، هذا يجعلنا متساويين معهم في سرعة استخدام أسلحتنا في مقابل استخدامهم لأسلحتهم.

وهنا تأتي المجموعة التي ستمسك هذا النوع من السلاح، وبالطبع ستكون غير المجموعة الأولى التي ستمسك الأسلحة المخفية، ولكن على هذه المجموعة أن تصوب على الرأس أو العنق لكي يسقط الهدف.

سأل «ماجد»:

- حسنًا، حتى الآن تبدو خطة محكمة، ولكن ستأتي اللحظة التي ستنفد فيها ذخيرتنا أو يتغلبون علينا

بفضل كثرة أسلحتهم عن أسلحتنا.

أجبته:

- كالعادة، يجب أن يكون هناك مفاجأة ثالثة.

سألت «دينا»:

- ولكن ما قد تكون هذه المفاجأة الأخرى؟

صمت الجميع كأن لا أحد لديه فكرة أخرى حول المفاجأة الثالثة التي يجب أن ننفذها ضدهم، لا بد وأن تتوالى عليهم المفاجآت غير المتوقعة لكي لا نعطي لهم فرصة في الهجوم أو التفكير في أي خطة بديلة لديهم.

ولكن هنا تحدثت «مريم» قائلة:

- يأتي دوري في هذه اللحظة؛ سنستخدم ذلك الدخان الأسود الذي نستخرجه من تلك الفجوات الصغيرة، ولكن يجب أن يكون دخانًا قاتلًا يستهدف أمخاخهم ودوائرهم الإلكترونية الدقيقة دون أن يستهدف البشرأو يؤثر عليهم .

بدا الأمر غريبًا على «نوح»، فسألها بل كان هذا سؤال جميع مَن بالجوار:

- وكيف ذلك؟ هل تملكون دخانًا عاقلًا؟!

نظرت «مريم» نحوي ثم أحادت نظرها نحو «سارة» التي كانت تنظر إليها جاحظة العينين كأنها تفهم ما تقوله الأولى، فأجابت «مريم»:

- لقد أخذت قرارًا ألا أستخدم ذلك أبدًا، ولكن الضرورة تحتم، كما أن في ذلك نقطة أخرى لصالحنا .. إنه السحر الأسود.

جحظت عينا خالي و»سارة»؛ لأننا نعرف ثلاثتنا ما هو السحر الأسود، خالي يعلم به بفضل مكتبته التي تنتقي الكتب النادرة، وأنا أعلم به لأن «فهمي» يكون خالي كما أنني قرأت كثيرًا في مكتبته، وأعرف الكثير من الأقسام والعناوين الخاصة بالكتب، وسارة من الواضح أنها تعلم به لأنها عاشت مع مريم، ثم أردفت الأخيرة:

- ولكن هناك مشكلة.

سأل «ماجد»:

- ما هي؟

أجابته، بل أجابت الجميع الذي كان ينتظر أن يعرف ما هو السحر الأسود.

- إني أعرف القليل من السحر الأسود، وهذا القليل لا يكفي في مواجهة أعدادهم الغفيرة، فلا أستطيع أن أمارس السحر الأسود الكافي إلا عن طريق الكتب القديمة التي من المستحيل أن تكون موجودة الآن.

أجاب «فهمي» على الفور مبتسمًا بابتسامة يعلوها الفخر قائلًا:

- ما تطلبينه موجود بالفعل في مكتبتنا، ستأتين

معي لتنتقي الكتاب الذي تحتاجين إليه.

وبالطبع ذُهِلت «مريم» لما تسمعه، لم يكن متوقعًا لها أبدًا أن تجد هذا النوع من الكتب إنها كتب قديمة جدًا منذ الزمن القديم .. القديم جدًا؛ فنظرت نحوها وقلت لها:

- لستم أنتم فقط مَن تستخدمون الأشياء القديمة إن كنتم لا زلتم تملكون النقودة المعدنية والورقية حتى الآن؛ فنحن نملك العلم والكتب.

ثم أكملت في حديثي الأهم:

- وبقي لدينا شيءٌ واحد فقط يصب في صالحنا، وهم جماعة المرتدين بقيادة «نوح»، إنها أقوى نقطة لدينا سنواجههم بقوةٍ مثل قوتهم.

ولكن على «نوح» أولًا أن يهيئ لنا الوضع بالأعلى، ويخلق فرصًا مثل أن يخبرنا بالأماكن المناسبة التي سنختبئ فيها، أو الأماكن التي نستخدمها كجدار حماية لنا من هجومهم وأشعتهم وأسلحتهم الفتّاكة.

قال «نوح» دون تردد:

- حسنًا، إنه دوري في تلك الحرب، سأفعل ذلك وأخبر جميع العناصر البشرية التي ستشارك في الحرب بتلك الأماكن، كما أنني سأقود مجموعة المرتدين، ولكن علينا أن نحدد مقر الحرب أولًا، من أين سنبدأ؟

أجبته بعد تفكيرٍ عميقٍ:

- سنبدأ الحرب بصعودنا إلى الأعلى قبل نزولهم إلينا، وسيكون مقر الحرب في الشرق بجوار البحر .

صمت لحظة أفكر عميقًا، ثم أدرفت:

- ولكي نضمن أن ننهي كل شيء نحن في حاجة إليه لصعودنا إلى الأعلى قبل نزولهم إلى الأسفل إلينا،علينا بفعل شيء نجعل منه مصدر إلهاء لهم؛ حتى لا يفكروا في النزول في معادٍ سابق، ولا أحد يستطيع فعل ذلك سوى «نوح» كما كان يفعل دومًا.

أجاب «نوح» مبتسمًا ولولا أنني أعلم أنه لا يشعر مثلنا لكنت حسبته يشعر بالسعادة بما قال، فقال:

- هذا أفضل جزء نتحدث فيه، سأدمر بعض المباني بالأعلى.

ساد صمتٌ عظيم وبدا لي أنهم بدأوا يقتنعون أنها مهمة انتحارية لكنها تستحق المجازفة، بدا الأمر لي أنهم يؤمنون بخطتي.

ومن ثَمَّ استكملت الحديث:

- وهنا نصل لآخر المطاف لم يتبقَ سوى شيء واحد فقط.

الآن كلٌ منا علم بدوره ولم يبقَ سوى شخصٍ واحدٍ فقط من الذين على علمٍ بهم أنهم يملكون مواهب .. هذا الشخص هو «سارة»، ومهمتها هي الخطة بي (ب).

إن لم ينجح كل ما تحدثنا بشأنه لا بد من الخطة

البديلة التي ستنفذها «سارة» إذا هُزمنا؛ إنها المهمة الأشرس على الإطلاق.

إنها طريقة محرمة علينا استخدامها منذ الزمن القديم؛ لأنها تترك خللًا لا يصلح تصحيحه، وإن لم تنفذها بشكلٍ صحيح سيؤدي ذلك إلى الهلاك لجميع الأجناس.

تساءلت «مريم» في ذهولٍ ولهفةٍ:

- ما هي تلك المهمة؟

أجبتها بعد تحديقٍ في أنظار الجميع الذي بانتظار إجابتي في شعورٍ مختلط ما بين اللهفة والخوف:

- السفر عبر الزمن.

الفراق

حدثت بلبلة مثل السابقة لكنها أكثر ضجة؛ فنظرت نحو الجميع ثم استأنفت حديثي بصوتٍ حادٍ:

- نعم، هذا ما فعلته حين أخبرتني أختي بالأمس، السفر عبر الزمن هو أكبر مخاوفي الآن،

ولكنها على علمٍ بقواعد وأساليب السفر عبر الزمن، لقد علمت بهذه الأشياء حين كانت تشغل وقتها في دراسة بعض العلم منذ خمسة أعوام.

أكملت «سارة» حديثي قائلةً:

- كما أنني أعرف كيف أختار المسار الزمني الصحيح؛ لنتجنب حدوث أخطاء تغير من ماضينا، وقد تؤثر على مستقبلنا فيكون هناك عواقب وخيمة مثل أن لن يكون موجود أحدًا منا ليعيش هذا الزمن الحاضر. والسبب الرئيس في استخدام هذه الطريقة هو أن نعود بالزمن للوراء؛ لنصحح بعض الأشياء مثل أن نذهب لأول شخصٍ اخترع الروبوت ونحاول أن نمنعه، وإن لم ينجح ذلك سنذهب في زمنٍ آخر من الماضي؛ لنحذر البشر من وقوع حرب ستشنها الروبوتات التي لم يعلموا بأمرها بعد.

سيكون هناك أكثر من مسارٍ يمكن أن نأخذه، لكن علينا تنفيذ ذلك بحذر.

لا أستطيع أن أحصي عدد المرات التي حدث فيها ذهول من قِبل الموجودين هنا؛ إنها ليلة مليئة بل

أسبوع مليء بالمفاجآت .

ثم أردفت أختي:

- وكما نعلم جميعًا، أننا لم نفكر في هذه الطريقة من قَبل لأن لازالت محظورة علينا، وما قد جعلني أعود لها هو تلك الحرب التي على الأبواب، إنها الطريقة الوحيدة التي ستحافظ على جنسنا إذا خسرنا هذه الحرب.

ثم ختمت الحوار بقولي:

- ولكن علينا أن نجد أولًا السفينة التي ستسافر بها عبر الزمن.

ثم أحدت بنظري نحو «نوح» وأردفت:

- ويبدو أنه يوجد بيننا شخصٌ ليس هناك شيءٌ لا يعرفه.

***

انتهى الاجتماع وغادر الجميع مسكن مريم، وأصبح كل شيءٍ معروفًا لدى الجميع، ولن يتبقى سوى الشروع في تنفيذ ذلك.

انتصف النهار وأصبح هناك هدوء وسكون عظيمان.

وشرع الجميع في تنفيذ ذلك، وجمعنا جميع الرسامين والحدادين من كلتا المدينتين؛ ليساعدوا وحيد وماجد في عملهما، كانت مراكب نوح لها

فضل كبير في ذلك.

كما أجّل خالي الذهاب إلى مدينتنا لغرض مخزن الأسلحة، فلم تكن «مريم» مستعدة لهذه الرحلة بعد، لا بد وأن تجهز حالها أولًا من استعدادات وطقوس قبل رحلتها أو قبل مهمتها.

وبعد مرور أسبوع أصبح لدينا عدد كبير وكافٍ من السيوف، والحِراب، والدروع لقد انتهى هذا العمل.

***

وفي ذات ظهيرة بعد مرور أسبوع كان الجميع جاهزًا، كنت أجلس مع خالي ونفعل ما افتقدناه، نفعل ما لم نفعله منذ فترة كبيرة؛ نتسامر كعادتنا، نتحادث بلغة عيوننا قبل لساننا، تلك اللغة التي نفهم فيها بعضنا بعض جيدًا. حتى قاد هو مسار الحوار بسؤاله:

- خطتك محكمة وممتازة، لقد أوضحتَ كل شيء وأخبرتنا بالتفاصيل، ولا أخاف من نتائجها.

ولكن ما أخاف منه حقًا هو ما لم تخبرنا به، ما يبقى كامنًا هنا بداخلك، واخترت ألا تتفوه به.

أجد أنني وتقريبًا أفهم ما يحوم حوله خالي ليعرفه مني، هكذا نحن دائمًا فسألته كأنني لم أفهم:

- ماذا تقصد؟

أجابني:

- أنتَ تعرف حقًا ما أقصده؛ لقد أخبرتَ الجميع بدوره، وأصبح كل واحدٍ منا يعلم ما سيفعله، ولكن لم تخبرنا بدورك أنتَ.

نظرت في عينيه نظرةً تحمل الكثير من الكلام الذي لا أريد أن أقوله، وما كنت أنوي أن أخبر به أحدًا حقًا، ولكن لا أعرف أن أتوارى خلف أكاذيبي تجاه خالي، فقال لي هو:

- تحدث يا «آدم»، ما الذي تخفيه؟

أجبته واخترت عدم الإخفاء:

- سأذهب إلى «أيوب».

لم يندهش كأنه كان يتوقع ذلك؛ فهو يعرفني حق المعرفة، يعلم أنني لن أتعامل مع ما فعله بهم في الساحة كأنه لم يحدث، بالطبع ما إذا فكر خالي في ذلك، فيكون حقًا أصاب ولكن ليس هو السبب الذي يجعلني أذهب إليه تاركًا الحرب، فقلت له:

- ما تفكر فيه صحيحًا، ولكن هناك ما أكبر من هذا الموضوع.

تعجب من ذلك وقال متسائلًا:

- ما هو ذلك الشيء؟

فقلت له بكل ما أخبرتني به «سارة» وخصيصًا ذلك المشروع الذي كانِ ينوي أن يفعله «أيوب» منذ خمسة أعوام، فطلبت رأيه عن موقفه تجاه هذه النقطة هل يوافقني الرأي أن «أيوب» استمر في

تجهيز هذا المشروع؟ أم تركه مع مغادرة «سارة» له؟ إذ أنها كانت المسئولة عن ذلك المشروع، وهي مَن كانت تديره لا هو، فقال:

- إن توقعك منطقي، لكن به مجازفة كبيرة في حالة إن كان نسي «أيوب» ذلك المشروع بالفعل وأنت ذهبتَ إليه في الوقت الذي تندلع فيه

الحرب؛ ذلك الوقت الذي سنكون فيه في أمس الحاجة إليك.

صمت ولم أنبس ببنت شفةٍ وكذلك هو، لم يعد لدينا ما نقوله، ولكن بقي بوجداننا وبداخل عيوننا كل ما نملكه من كلامٍ ومن مشاعر يكنها أحدنا للآخر، وعلمنا نحن الاثنان أن هذا سيكون آخر حوارٍ يدور بيني وبينه قبل الحرب، ولم نعد نعلم سيكون هناك الوقت الذي سنتحادث فيه مرة أخرى أم لا؟ لقد شعر كلٌ منا أن هذا هو الفراق.

وظللنا على هذا الحال حتى كادت أن تغرورق أعيننا، ثم دنا نحونا «وحيد» وأنقذنا من ذلك، وسألنا ذلك السؤال الذي بات يسأله منذ تلك المعركة:

- هل أصبحت الآن على ما يرام؟

فنظرت نحو خالي الناظر نحوي هو الآخر وابتسمنا، ثم أحدت نظري نحو صديقي «وحيد» وأخبرته:

- إنها مستعدة للحديث الآن.

انفرجت أساريره واقترب نحو غرفتها وطرق الباب.

***

- لماذا أرى بأنكِ تتجاهليني؟

سألها «وحيد» هذا السؤال وكاد أن يخرج قلبه من صدره، فأجابته دون أن تنظر إليه:

- لأنك تراني «سارة» التي تعرفها.

فسألها:

- ولماذا لا تكونين «سارة» التي أعرفها؟

أجابته وعينيها اغرورقت بالدموع:

- لأنك تستحق مَن هي أفضل مني، تستحق تلك الفتاة التي تحبك كما ترى حبك لها.

سألها مرة ثالثة:

- وهل أنتِ لا تحبيني؟

أحادت نظرها نحوه، وقالت والدموع تنسال من عينيها:

- أحبك.

سمعها وكأن تلقى أفضل وأجمل ما سمعه على الإطلاق، لقد عاد ذاك القلب الذي خرج من صدره ودخل مرة أخرى، ثم أخذ في صدره شهيقًا طويلًا وأطلقه في زفيرٍ أطول وقال:

- إذن، فلماذا أرى ما آراه؟ ما الذي تغير؟

أجابته متنهدة متألمة تشعر بالثقل:

- لقد تغير الكثير يا «وحيد».

ثم مسحت بيدها الدموع من على خديها وأردفت:

- ولكن سنترك ما في الماضي في الماضي، لن ننبش فيه هذا أفضل لكلينا.

نزلت من عينيه الدموع دون إرادته، لم يكن يريد ذلك، لم يكن يحبذ أن تراه بهذا الضعف أمامها، ولكن حين ينزف القلب لن تكون دماؤه كفيلة لتمنع تلك الدموع، فاستأنفت حديثها بقولها:

- لقد كنتَ تظن أنني ميتة منذ خمسة أعوام؛ فعليك أن تكمل كأن لم يحدث شيء.

فقال لها بصوتٍ حادٍ يملؤه الوجع:

- كيف ذلك؟! مَن منّا يستطيع أن يتغاضى عن أمل قد أحياه الزمن لنا؟

فانغمرت عينيها بالدموع الغزيرة ولم تنبس ببنت شفة، فأردف هو:

- لا أعرف ماذا أقول لكِ، ولكنك ستبقين أجمل ما حدث في حياتي، ستظلين أغلى مَن رأته عيناي، لم ولن يدخل قلبي سواكِ، ستُضحين مَن سكن قلبي ولن يخرج أبدًا.

ثم مسح هو بدوره دموعه، وولّى لها ظهره وخرج

من غرفتها. أما هي فأطلقت ما كانت تكتمه منذ دخوله إلى غرفتها؛ لقد انفجر ذلك الحزن والألم اللذان كانا يكمنان بداخل صدرها من خلال صرخة، كانت صرخة وجع تهز كيان مَن لا يرحم.

فدخلت «مريم» على صوت صراخها المكتوم؛ لأنها كانت تسير بالقرب من غرفتها وتفاجأت بما رأته، فنظرت نحوها «سارة» وقالت:

- إنني أحبه يا «مريم».

ردت «مريم»:

- تمسكي إذن بحبك.

أجابتها في ألمٍ:

- لكني لا أريده أن يتمسك هو بأمل لا يعرف وجهته، إنني ضائعة .. تائهة لا أريد أن أوقظ حبًا أعلم أنه لن يكتمل.

سألتها «مريم» في تعجب:

- ولماذا لن يكتمل؟

أجابتها في تنهد:

- لا أضمن عودتي من مهمتي؟ من الوارد أن يحدث ليَ شيء، أو أعلق في زمنٍ ما لا أعرف العودة منه؛ ففي هذه الحالة سأكون أحييت له أملًا لآخذه منه مرة أخرى لا أتقبل ذلك.

دنت نحوها «مريم» واحتضنتها، وقالت لها في

همس:

- لن يحدث لكِ شيء ستعودين، وستصلحين ما حدث.

ثم صوبتا نظرهما نحو خارج الغرفة، نحو النافذة المطلة على خارج المسكن، فأبصرتا «ماجد» و«دينا» يضحكان، فأضافت «مريم» لها:

- انظري، إنه الحب.

فأجابتها «سارة» في أسف:

- بل إنه الفراق.

***

- لم نضحك مثل هذا الضحك من قبل.

قالتها «دينا» لخطيبها «ماجد»، فرد عليها الأخير:

- أهذا ما يسمونه اللحظات الأخيرة؟

تغيرت ملامح «دينا» من الابتسامة الواسعة إلى الابتسامة الضيقة، ثم منها إلى أن انتهت الابتسامة حتى قُلِب وجهها، وقالت في غضبٍ:

- إنكَ تتفوه بالثُرهات فقط.

ابتسم لها «ماجد» تلك الابتسامة التي تحوي بالأمان وقال لها:

- لا تخافي، هذا لأنها شخصيتي كما تقولون، أتفوه بالثرهات دائمًا.

تغيرت ملامح «دينا» مرة أخرى لتتحول إلى الابتسامة الخفيفة المرسومة على وجهها وقالت له:

- دائمًا ما نقول هذا حتى جاء الوقت لتقتنع أنت بذلك، هل هذا إشارة إلى أنها اللحظات الأخيرة؟

أبصر «ماجد» بدقة في عينيها، ثم لم يتمالك نفسه وانفجر ضاحكًا فضحكت هي الأخرى، فقال هو في هيستيرية:

- وها أنتِ الآن تؤكدين كلامي بقولك أنها اللحظات الأخيرة.

ثم صمتا لحظات وشرعت ملامحهما تتبدل شيئًا فشيئًا؛ بَدَوَا يفكران بل ينسجمان في التفكير فيما قال أحدهما للآخر وكأنهما شرعا يستوعبان الحديث، وتفاجآ أنه هذا هو الواقع بالفعل! فأضاف «ماجد» في شكٍ بعد صمته هذا:

- هل سنتزوج في يومٍ ما؟

ثم نظرت «دينا» في عينيه والشك يتسرب بداخلها قائلةً:

- هل سننتصر في هذه الحرب؟

أنزل «ماجد» بصره للأسفل والشك يزداد بداخله، فسألها هو:

- وإن انتصرنا .. هل سنشهد على ذلك الانتصار؟

تملَك الشك من الاثنين حتى تحول سمرهما إلى

خوفٍ وقلقٍ من المستقبل، فقالت هي:

- إذن لا بد وأن نغتنم حبنا هذا ونضعه بداخل حاوية ونغلقها بإحكامٍ لنحافظ عليه كي لا يضيع؛ فمن يجد تلك الحاوية بعد انتهاء الحرب يعرف أنه ذلك الحب الذي حافظ عليه أصحابه.

فقال هو:

- إذن لا بد وأن تكون حاوية كبيرة لتحوي ذلك الحب.

ردت هي:

- حسنًا، والآن علينا أن نعيش هذه اللحظات لنخلد ذلك الحب.

ثم اغرورقت عيناه، فأبصرته هي وبادلته ذات الشعور، لكن كانت دموعها أسرع فقال:

- أريد أن نكون معًا سواء في الحياة أو في الموت.

أجابته آسفة:

- أنا لا أفيدكم في هذه الحرب، ولكن يجب أن أقوم بدروي فيها، ودوري لن يكون بجوارك؛ سأذهب مع سارة لنجد السفينة ونسافر عبر الزمن.

جحظت عيناه وارتبط لسانه مما سمع وكأن ما قالته حبيبته صعقه أشد صعقة، فلاحظت هي ذلك وأضافت:

- لا أريد أن أكون من الجمهور أشاهد الأحداث عن

كتبٍ دون أن أشارك فيها، اسمح لي أن أقوم بدوري في هذه الحرب بما أنني لن أحمل سلاحًا وأحارب معكم.

بدأ الإقناع يظهر على وجهه، فأردفت لكي لا تجعله يندم على تركه لها لتقوم برحلتها:

- أعلم أن هذا هو الفراق، ولكن إن لم تتقابل الأجساد فستتلاقى الأرواح، بل سنكون روحًا واحدة وسنتشاركها معًا.

انسالت الدمعة من عينيه ثم أسرع لمسحها، ومد يده نحو خديها ومسح لها دموعها وقال لها:

- أحبك.

فقالت له:

- أحبك.

***

لا زلت أجلس مع خالي، ولكننا في ذات الصمت الأليم، ولاحظنا خروج وحيد من غرفة «سارة» متقلص الوجه يحمل كل الحزن بداخله، لا نعرف ماذا حدث في حواره مع أختي، وقبل أن أذهب إليها وجدت «مريم» تدخل إليها فبقيت حتي كسر خالي الصمت ووجه سؤاله:

- ماذا ستفعل في الحالتين يا «آدم»، إذا كان «أيوب» استأنف مشروعه بالفعل وانتهى منه؟ أو نساد عندما غادرتد «سارة»؟

أجبته مباشرةً لأنني لا أقدم على فعل شيءٍ دون أن أفكر فيه جيدًا، وأعرف تمامًا ما هو الهدف من ذلك فقلت:

- بالطبع لن أطلب منه أن ينضم لنا، لو كان أراد ذلك لقبل بكلامك حينها، ورغم ذلك لا نستطيع أن نقاتل في جبهتين مختلفتين ما إذا قرر «أيوب» أن ينتقم مما حدث مؤخرًا في مدينة الجنوب، أو استمرار بحثه على قرص المعلومات الذي يريده فيتجه نحونا، كل ما أريده أن أعقد هدنة معه لكي لا يهاجمنا أثناء حربنا مع العالم العلوي.

تساءل خالي قائلًا:

- ألا تظن أن يغير قراره وينحاز لصفوفنا بعد أن يعلم بأمر المرتدين؟

أجبته:

- لا أظن ذلك؛ لقد كان كلامه صريحًا معكَ إنه يسعى للسيطرة المفرطة اللا حدودية وعودة البشر لعالمهم الأصلي سيسلبه ذلك، إنه لا يريد أن يتقيّد بقوانين في العالم الجديد، يحب أمثاله هذه الحياة السفلية، وإن حدث ذلك وقرر انحيازه لنا فلا أستطيع أن أرى ذلك سوى أنها خديعة ينتظر مكسبه بعد أن تنتهي، ولن أخوض مثل هذه المغامرة أثناء حرب تهدد بقاءنا.

اومأ تم تساءل مرة أخرى:

- ألا تظن أن بحثه عن هذا الكتاب له علاقة بمشروعه؟

أجبته:

- لا أستطيع أجزم بذلك، ولكن إن كان له علاقة بالفعل فهذا يعني أنه على قيد تنفيذه لمشروعه.

فقال في حيرة:

- المشكلة هي أن في حالة استأنف مشروعه فماذا سيفعل بهذه الآلات المقاتلة؟

أجبته في ذات الحيرة:

- إنه لا شيء سوى حبه للسيطرة، يريد أن يصنع بذلك سلاحًا مميتًا ليرهب به جميع سكان أرض الظلام، كما سيفعل ذلك للعالم العلوي.

ثم تحولت حيرتي إلى يقين وأردفت:

- إنه بالتأكيد يريد السيطرة على جميع مدن العالم السفلي؛ ولذلك فكرت في هذه الهدنة، وأرى أنه سيقبل بها؛ لأن هزيمتنا أمام العالم العلوي تعني هزيمته هو أيضًا، وهذا عكس ما يريده تمامًا، إنني أراه أنه سيقبل هذه الهدنة لكي نتواجه نحن بالعالم العلوي، ويبقى هو المتفرج على الأحداث، ثم يأتي بالنهاية ليفرض سيطرته على مَن تبقى منا سواء بالآلات أو بدونها.

أومأ خالي وقال:

- إنه تحليل منطقي، ولكن أريدك أن تأخذ حذرك منه إنه خطير.

ثم عدنا للصمت الرهيب المخيف مرة أخرى لا شيء سوى الدموع التي ترفض الخروج من أعيننا، كلانا يشعر بأن هذا هو الفراق، ولكن قررت أن أطرد ذلك الصمت الذي يخيفني وقلت له متسائلًا:

- ماذا؟ هل هذه النهاية؟

نظر إلى الأسفل آسفًا وقال:

- نعم، إنها النهاية.

ثم رفع بصره نحوي كأنه شاعرٌ بالأمل وقال:

- لكنها نهاية حقبة ليس أكثر.

أجبته في شكٍ:

- أتمنى ذلك.

فنظر نحوي بشكٍ أيضًا، ثم نظر كلٌ منا بعيدًا عن الآخر، كأن لا أحد فينا يريد أن يرى الآخر حزينًا، ولكننا لم ولن نكن نستطيع أن نستمر في فعل ذلك فدنا كلٌ منا نحو الآخر بشغف، لقد تشابكت الأذرع والتمسا الصدران؛ كان ذلك الحضن الذي يكون بين الوالد وابنه لقد حضن كلٌ منا الآخر باشتياقٍ عظيم.

وقبل أن تنزل دموعنا رأينا «سارة» تخرج من غرفتها وبدت لنا مثل «وحيد» حين مرَّ أمامنا منذ قليل، ذات الحزن وذات الوجه المتقلص، ثم دنت

نحونا لتتساءل عن مكان «نوح» لترتب معه أمورهما في رحلتهما التي سيقومان بها هذه الليلة وهي البحث عن السفينة؛ الوسيلة التي ستسافر بها أختي عبر الزمن، فأخبرتها بمكانه ثم ذهبت لتقصده وبعد ذلك خرجت «مريم» وتوجهت نحونا وسألت خالي:

- هل أنت مستعد؟ سنرحل إلى الشمال هذه الليلة.

فأجاب خالي في فخرٍ:

- الخال دائمًا مستعد.

ابتسمت له لتعبر عن امتنانها، وقبل أن تحرك ساكنًا في شفاها، أردف خالي:

- سأذهب لأحزم أمتعتي، وأحضر ما نحتاجه من قوت ومتاع.

ذهب خالي وتركني بمفردي مع تلك الساحرة الجنوبية المجنونة التي جلست بجانبي، لا أحد فينا يتحدث لقد آثرنا الصمت، ينظر كل حين أحدنا للآخر وأرى عينيها الواسعتين السوداوين الجريئتين اللتين تحجبان وراءهما الكثير من الكلام.

وبالطبع لن أبدأ الحديث أبدًا وإن لم تتحدث هي فسنظل صامتين، ولكنها وبعد دقائق كثيرة من الارتباك الذي كنت أراه على وجهها، أظهرت نيتها في البدء بقولها:

- الأمر عالقٌ بين أختك وصديقك.

أجبتها ملتفتًا للأمام دون أن أنظر إليها:

- إنهما يحبان بعضهما منذ سنوات، وظل وحيد أمينًا على حبه، حتمًا سيجدان الحل ويسقطان العالق، ولكن أرى أن «سارة» تحتاج المزيد من الوقت.

ثم غيّرت مسار الحوار لتقلبه على الوجه الآخر المشير للحب، فقالت:

- الأمر منعكس تمامًا لدى «ماجد» و«دينا».

وهنا نظرت إليها وقلت لها:

- إنكِ تشاهدين عن كثب.

ابتسمت تلك الابتسامة الجرئية وقالت:

- إنني أنصف الحب، لقد أخبرت «سارة» أن تتمسك بحبها.

ظللت أنظر في هاتين العينين الجريئتين دون أن أنبس ببنت شفة، فعقدت حاجبيها لتعبر عما رأته في عيناي وقالت في استنكارٍ:

- ماذا؟! هل تراني عكس ذلك؟!

أجبتها بابتسامةٍ:

- ولما أرى ذلك؟

فسألت:

- إذن لما هذا الاستنكار الذي أراه على وجهك؟! أم هذا أسلوب ذي القوة الخارقة؟

انفرجت شفتاي لترسم ابتسامة عريضة على وجهي؛ لأن هذا يشبه حديثي السابق لها منذ من أسبوع، فقلت لها متذكرًا حديثها لي:

- ربما ترين ذلك لتمتعك بفن السحر فتبصرين غيرك مختلفًا عنك.

ضحكت ضحكتها العالية لأنها تفهم ما أقوله أو أفهم أنا ما تقوله؛ إنه ذات الحوار لكن هذه المرة باتجاه معاكس ثم قالت:

- أنتَ شمالي صاعد ثامن مجنون.

أجبتها:

- وأنتِ جنوبية ساحرة جريئة مجنونة.

فقالت في جرأة:

- إذن نشترك في الجنون.

فقلت في جرأة تزيد عن جرأتها:

- أو ربما نشترك في شيءٍ آخر.

تدفق الدم غزيرًا إلى وجهها، لاحظت تلك الخطفة التي تحدث للشخص عند سماعه شيء جريء لا يتوقعه ولكنه أحبه؛ فشعرت بالخجل ونظرت بعيدًا فأردفت:

- ورغم هذه الجرأة إلا أنك تخجلين.

أجابتني:

- إننا النساء.

بالطبع لن أتجرأ في قول أكثر من ذلك، لن أقول شيئًا آخر، ولن أخبرها بما أشعر به تجاهها، لن أقول أنني بدأت أقع فريسةً في حبي لها، لا أعرف لماذا لا أريد ذلك؟ هل لأنني أخاف من رد فعلها؟ أم أنني أخشى حدوث ما أخشاه؟ وهو أنها قد تتعامل معي كصديقٍ وأنها لا تكن لي أي مشاعر؟ مع أنني أشعر بداخلي عكس ذلك؛ أرى أنني موجودٌ بالداخل هناك في جزءٍ صغيرٍ في قلبها.

أم أنني لا أحبذ فكرة أنني أقع في غرام إحداهن؟ فيجلعني ذلك أشعر بالضعف، رغم أنني منصفٌ للحب تمامًا مثلها ولا أرى في الحب ضعفًا، بل هو القوة التي يحرك وجداننا؛ إنني متضارب الفكر لكنني لست متضارب المشاعر، وهذا هو الصراع بين عقلي وقلبي.

كانت «مريم» صامتةً لا زالت تشعر بالخجل أمام «آدم»؛ ذلك الشخص الذي نال إعجابها منذ المرة الأولى التي رأته فيها بعد أن عرفت ما فعله، فلم ولن يوجد أحد غيره ليفعل ذلك، وبدأت تنجذب مشاعرها أكثر تجاهه بعد أحداث الأسبوع الماضي، وها هو الآن يحمر وجهها لما سمعته منه؛ إنها بالطبع فهمت ما يحوم حوله «آدم» في قوله: «ربما نشترك في شيءٍ آخر» لقد فهمت أنه يقصد الحب ولكنه لم يقلها صراحة، بالطبع إنها تشعر بشيء غريب نحوه، تشعر بتزايد دقات قلبها المتسارعة في كل مرة

تراه أو تتحدث معه، بالطبع إنها تحبه لكنها آثرت أن تصمت ولا تنبس ببنت شفة، وقررت أن تكسر جرأتها هذه المرة ولن تقول شيئًا آخر له، بل إن لم يقلها فلن تقولها، ورغم ذلك إلا أنها أرادت من أعماق قلبها أن يبادر هو ويقولها، ولكنها شعرت بالأسف لقد ظل صامتًا.

إنها على يقينٍ من شعورها أنها تحبه، لكن كان هذا الحب في وقتٍ خاطئ؛ لقد فكرت في أن ماذا بعد لو تصارحت معه بحبها؟ ماذا لو خسروا الحرب؟ ماذا لو تم القضاء على البشرية؟

***

لقد ظلت صامتة هي الأخرى، ولكن عينيها تخبئ الكثير وراءها، كأنها تريد أن تقول شيئًا ولكنها في حيرةٍ كبرى، أو أنها تفكر مثلما أفكر، لكنني اتخذت القرار وإن لم تقلها فلن أقولها.

ورغم ذلك هناك جزءٌ صغيرٌ بداخلي يريد، يريد أن يسمع منها تلك الكلمة التي ستغير كل شيء وتقلب الموازين وتقلب الدنيا رأسًا على عقب.

لو كنت على يقينٍ من شعورها، لو كنت على علمٍ برد فعلها، لو كنت متأكدًا أنها لن تردني لقلتها لها، لأخبرتها بشعوري صراحةً، لقلت لها: «أحبُكِ».

ولكن حتى لو كنت على علمٍ بكل هذا فماذا بعد؟ ماذا لو خسرنا الحرب؟ ماذا لو انقرض البشر من على وجه الأرض؟ ماذا لو متنا؟ فما قيمة هذا

الحب؟ هل سينقذنا هذا الحب من الحرب؟

أرى أن هذا أفضل لو كان عكس ذلك لكان موتنا أكثر ألمًا أكثر قسوة.

ثم قطع ذلك الصمت سؤالها حين قالت:

- ماذا؟

قالت ذلك دون أي شيءٍ آخر، كأنها تريد أن تبدأ حديثًا ولكنها لا تعرف من أين تبدأ، فقلت لها:

- ماذا؟

وكأنني أريد أن أظل معها، ولكني لا أعرف الطريقة لفعل ذلك، ومن ثَمَّ وجدت عينيها تلتمع تختنق بالدموع التي لا تريد أن تطلق عنانها، تلك العينان السوداوان الواسعتان الملتمعتان المغرورقتان وكأنهما يتحدثان إلَيَّ ليخبراني إن هذه هو الفراق، هذا هو آخر حوار بيننا قبل اندلاع الحرب، هذه الليلة التي سنفترق فيها.

سيفترق فيها كل قلبين يريدان أن يتلاقيا ببعضهما، كل قلبين يريدان أن يتمسكا بأي أملٍ يجلعهما يكملان حياتهما ليجتمعا.

ثم تمالكت نفسها ومنعت دموعها إنها تمتلك نفس قوتي، وبعد ذلك أنقذت نفسها، فلوّحت بيديها مع هزة خفيفة لرأسها تلك الحركة التي تعبر عن كلمة «ماذا؟» دون أن تنطق، لكنني اخترت أن أغيّر مسار الحديث لأسألها:

- هل انتهيتِ من استعدادتك قبل رحلتك مع خالي إلى الشمال؟

أجابتني:

- إنني على أتم الاستعداد، وسأختار أفضل مركبة لدى نوح نشق بها طريقنا.

فقلت لها:

- إذن يجب أن أذهب إليه لأرى ما توصل إليه مع «سارة»، ثم أناقشه في موضوع أفضل مركبة هذا.

لم تبخل علَيّ بابتسامة جميلة خاطفة ساحرة فبادلتها إياها، ثم استأذنت منها للمغادرة، وقصدت «نوح».

خرجت للخارج حتى وجدت «نوح» بالقرب من مسكن مريم يراقب عن كثب ما يدور بداخل المسكن؛ فأمامه تلك النافذة المفتوحة الخاصة بغرفة «سارة» ولا أعرف لماذا أصفها بغرفة؟ إنها خندق أصغر بداخل الخندق الكبير (المسكن)، والنافذة الأخرى الكبيرة التي يطل منها على الفناء الأكبر في المسكن حيث كنت أتحدث مع خالي ثم بعده مريم، وهناك على الجانب الآخر في الخارج حيث يقف «ماجد» مع حبيبته «دينا».

كان واقفًا بمفرده لا يراني، فاقتربت نحوه وسألت:

- هل الفضول سمة لديكم؟

أدار جسمه والتفت إلَيّ وقال:

- الفضول شعور، والشعور لا نمتلكه، لكن في الحقيقة درسناه جيدًا، وتم إدراجه في أنظمتنا الإلكترونية فنجد منه أنه وسيلة للمعرفة.

أومأت لأوحي بفهمي لما يقوله، ثم سألته في استنتاجٍ:

- إذنْ كنتَ تفعل ذلك؟

أجاب على الفور كعادته:

- بل كنت أرى ما يميزكم عنا.

أومأت له مرة أخرى؛ لأنني أفهم أنه يقصد الشعور فتابع مشيرًا للمسكن:

- كان المسكن بما حوله منذ قليلٍ مصدر لمشاعر مختلفة؛ كنت أرى شيئًا عظيمًا يشع من هنا،

خلف تلك النافذة شاهدت سارة تبكي بعد أن غادرها «وحيد» بدموعه، ثم رأيت «ماجد» و«دينا» يضحكان، وبعد ذلك أبصرت الأحضان التي كانت بينك وبين خالك؛ إننا لا نفعل ذلك ولا نعرف ماهية هذا الشيء، لكني أراه شيئًا عظيمًا غرسه خالقكم فيكم، ثم أجد حوارك مع «مريم» ووجدت فيه شيئًا غريبًا لم أفهمه، لماذا كنتما تتكلمان بتلك الطريقة؟ كأنكما تتحدثان بلغة أجسادكما دون أن تحركا ألسنتكما؟ هذا أيضًا لا نفعله بالأعلى، أرى أشياء كثيرة هنا بين البشر لا نفعلها ولا نفهم ماهيتها، لكنني أعلم تمامًا أن كل هذا هو ما ميزكم عنا، وما

يجعلكم بشرًا دون غيركم من كل ما وُجِد على وجه الأرض سواء كان في الأعلى أو الأسفل.

لم أكن أتوقع أن يأتي يومٌ وأتحدث فيه مع روبوت (عدوي اللدود) بل ويكون بمثابة صديق لنا يساعدنا في حربنا مع أمثاله، يا له من واقع نعيشه لنتصادم فيه بأشياء لم تكن في حسباننا يومًا! إنه واقع لا أحد يتوقعه. فقلت له:

- إن خالقنا خلق لنا هذا العالم لنسكن فيه ونعمره، ونكون وكلاء عنه في هذا الكون؛ ولهذا كنت أتراءى دومًا أثناء صعودي إلى الأعلى أن هذا هو حقنا، هذا هو ما خلقه الله لنا .. لنا نحن ليس أنتم، أردت أن أكون أمينًا على شيءٍ إئتمنه الله علينا، أردت أن أكون المخلوق الذي أدى رسالته الموكلة له دون إهمالٍ، ولكن دائمًا تنفد منك كل الفرص لتحقيق ما يتطلبه منك الأمر، ولن يبقى لديكَ سوى آخر وسيلة ممكنة الوسيلة التي كنت تتجنبها من البداية.

قال «نوح»:

- ما فهمته من كلامك أنكَ أردتَ أن تعود إلى عالمكم الأصلي، ولكنك لم تكن تريد الحرب.

فأومأت له بنعم، ثم أردف هو:

- سأفعل قصارى جهدي لتحقيق ذلك، لقد بدأت في تنفيذ ذلك بالفعل خلال هذا الأسبوع؛ لقد تواصلت مع جماعة المرتدين وجعلتهم يخلقون مصدر إلهاء بالأعلى؛ حتى يتسنى لكم الوقت

الكافي لتجهيزكم للحرب، كما أنني أمرتهم بتنظيف ما فعله البشري العلوي الذي يدعى «موسى»، ثم إنني تحدثت مع آخرين هؤلاء مَن سيحاربون معكم بالأعلى، وأحضرت لكم ألفي روبوت لكل مدينة ألف يحمونها من أي هجوم، كما أحضرت لكم المركبات اللازمة لنقلكم من مكانٍ لمكانٍ في وقتٍ قصيرٍ، ودربت بالفعل بعض الأشخاص عليها لمعرفة قيادتها. وأخيرًا رتبت أموري مع أختك سارة لرحلتنا في إيجاد السفينة.

شعرت بالفعل بذلك الامتنان الذي أكنه لهذا الروبوت، ولا أريد أن أصفه بالروبوت فقلت له:

- شكرًا.

أجابني بابتسامةٍ:

- عفوًا.

بادلته الابتسامة مُعلقًا:

- بدأت تتعلم ماهية الابتسامة ومتى تفعلها.

فقال:

- والآن ماذا؟

فسألته:

- أين تلك السفينة؟

أجابني:

- أعرف أنها بالأعلى في أقاصي الغرب، ولكن لا زلنا

لا نعرف أين في أقصى الغرب؟

قلت له:

- أريدك أن تحمي أختي حتى تصل لمبتغاها، ثم تعود سالمًا تقود مجموعتك في الحرب؛ وجودك مهم في وسطنا.

فقال في حماسٍ كأنه يشعر بالفخر رغم أنه لا يعرف الإحساس بالفخر:

- لا تخف سأحميها.

ثم أردف بذات الفخر الذي لا يشعر به:

- والآن فلنبدأ الرحلة، فلنبدأ اتخاذ المسار الذي اخترناه لننقذ البشرية.

عبر الزمن

اقترب الموعد وبلغ الليل، يحضر الجميع حاله لمهمته، كان عددنا ثمانية أفراد: خالي، أختي، «مريم»، «وحيد»، «ماجد» وخطيبته، «نوح»، وأخيرًا أنا مجمتعين في فناء المسكن، كنت مَن طلبت هذا الاجتماع لكي أقول ما في جُعبتي، فتحدثت بصوتٍ حادٍ:

- لقد طلبت هذا الاجتماع المقتصر على هذا العدد؛ لأنكم أنتم مَن أستطيع أن أضع ثقتي فيهم لأني أريدكم أن تعلموا شيئًا.

فحين اجتمعنا من أسبوعٍ لوضع خطة، أصبح الجميع يعلم كيف سنحارب، لكن لا أحد يعرف الاستراتيجية التي سنتبعها.

فسأل خالي:

- وما هي الاستراتيجية التي سنتبعها؟ هل هناك تغيير في بعض الأمور؟

أجبته بل وجهت قولي للجميع:

- إنهم يتفوقون بمراحل علينا في العدد، وإن لم نحارب بدهاءٍ لن ننزع النصر منهم أبدًا، يجب أن نحارب بعقلنا وعلمنا قبل قوتنا وأسلحتنا.

لن ننتظر لنكون خط الدفاع، بالتأكيد سنبدأ الهجوم، والمجموعة التي ستبدأ بالهجوم ستكون

من ستستخدم السيوف، والدروع، والحراب.

وبالطبع سيكونون من سكان مدينة الجنوب بقيادة و«حيد» و«ماجد».

ومن ثَمَّ ستكون الهجمة التالية من نصيب المجموعة الثانية مَن يستخدمون الأسلحة النارية، التي سيجلبها لنا خالي هذه الليلة برفقة «مريم»، وهذه المجموعة ستكون من سكان مدينة المحافظين وسيقودها خالي.

وستبدأ بالتنفيذ بعد بدء المجموعة الأولى بساعة؛ ففي هذه الحالة ستشن المجموعتان هجومهما في آنٍ واحد.

ويتبقى لنا المجموعة الأخيرة والثالثة وهي مجموعة المرتدين، وستبدأ اقتحامها بعد بدء المجموعة الثانية بساعة، ذلك الوقت الذي سيكون وصل فيه «نوح» بعد رحلته مع «سارة» ليقودهم.

إن هذا الوقت هو الذي سنكون فيه في أعظم قوتنا، سنكون فيه المسيطرين على الوضع، سنحاربهم بمثل قوتهم، كما أنهم لن يتعرفوا مَن منهم مِن المرتدين ومَن منهم ممن مثلهم؛ سيختلط عليهم الأمر وفي هذه اللحظة سيكون ضعفهم قد تجلّى تمامًا.

وبالنسبة لمهمة «مريم»، تلك الضربة الرابعة لنا، فستقوم بعملها الذي تتقنه في مكانٍ ما بالأعلى، وعلى «نوح» أن يدبر لها هذا المكان الآمن؛ لكي تبدأ

في تنفيذ إطلاق السحر على هذه الآلات في الوقت الذي ستبدأ فيه ذخيرتنا في النفاد، واكتشافهم لخدعة الأسلحة المخفية، ومرور الكثير من الوقت على اشتباك المرتدين مع الآليين. فعلي «مريم» أن تنتبه لذلك وتعرف تمامًا الوقت الذي ستبدأ في إطلاق شرها عليهم، وعلى جماعة المرتدين أن ينسحبوا قبل ذلك حتى لا يصيبهم الدخان الأسود.

و«دينا» ستسافر عبر الزمن مع «سارة» حسب رغبتها، ستسافر «سارة» عبر الزمن إلى زمكان آخر من الماضي قبل اختراع الروبوت، وستبحث من هذا الزمكان عن أخبار عن المستقبل، المستقبل الخاص بنا إن علمت بانتصارنا فعليها أن تعود دون أن تفعل شيئًا، وإن علمث بشيءٍ آخر فعليها أن تقوم بمهمتها، وهي أن تحاول منع صُنع الروبوتات وإن فشلث في ذلك ستذهب إلى زمكان آخر، وتحذر البشر من اندلاع الحرب القديمة ليتهيئوا لها؛ لعل ينتصر البشر في سبيل ذلك ويتم محق الآليين جميعًا، وأتمنى أن يصدقوها.

كما أننا يجب ألا ننسى أن التغير في الخط الزمني هو بمثابة آخر محطة لنا إن استنفدنا جميع الطرق المتاحة لدينا، إن لم يبقَ أمامنا سوى الهزيمة في هذه الحالة ستقلب سارة الموازين، وإن شاء الله لن يحدث شيءٌ آخر قد يجعلنا نندم على فعلنا لهذه المهمة.

كما أنني أتمنى من أعماق قلبي ألا نحتاج لهذه

المهمة من الأساس، وننتصر في هذه الحرب.

أما عن دوري أنا في هذه الحرب لقد قررت في البداية أنني لن أخبركم بها، ولكن بعد أن علم خالي بها فليس هناك سبب لأخفي ذلك.

مهمتي هي ذهابي إلى «أيوب»، فبعد ما حدث في الأيام الماضية قررت أن أذهب إليه لأعقد هدنةً معه؛ كي لا يقوم بأي عملٍ أحمق قد يتسبب في هزيمتنا، ومن ثَمَّ ستجدونني في قلب الحدث معكم وفي وسطكم أحارب من أجل بقاء البشر، وإن لزم الأمر سأستخدم قوتي الخارقة.

قالت «مريم» معلقةً على آخر ما قلته:

- ولكن هذه القوة تتطلب حزنًا ثم غضبًا.

أجبتها في شكٍ:

- إذن يجب حينها أن يحدث شيءٌ أحزن عليه، ولن أجد أمامي سوى حزني على ما يحدث حينها، سنكون في خضم حربٍ قد يهدد ذلك بقاءنا، ولن أجد سببًا أقوى من ذلك يجعلني أحزن من أعماق قلبي. ومن ثَمَّ سأطلق عنان غضبي عليهم، ولكن حينها يجب على الجميع أن يبقى خلفي.

لقد انتهى الاجتماع، وذهب كل أحدٍ منهم لبدء رحلته، أخذ «نوح» أفضل مركبة لديه وبرفقته «سارة» و«دينا» وهذا بعدما ودعت «دينا»، وضممت أختي بين أحضاني وهمست في أذنيها:

- ستعودين .. سأنتظرك.

قالت:

- أريد النجاح أكثر من العودة، لا أريد الفشل في مهمتي.

أجبتها في حماسٍ:

- ستعودين والانتصار بانتظارك، أو ستعودين وتخلصينا من كل هذا.

ركبت «سارة» و«دينا» المركبة مع «نوح»، وفغل الأخير نظام النفاثات الدافعة وصعد بالمركبة للأعلى وبعد ثوانٍ لم أعد أراهم.

ثم بعد ذلك كان قد حزم خالي وبرفقته «مريم» أمتعتهما واستعدا للرحيل إلى الشمال، فودعتهما وركبا المركبة وأخذت «مريم» دور القائدة لخبرتها في تشغيل هذه المركبة التي اكتسبتها حين ركبتها مع «نوح» في المعركة السابقة، وشقا طريقهما نحو الطريق الشرقي قاصدين الشمال.

وبعد ذلك شرع «ماجد» و«وحيد» في تجهيز جنودنا من سكان مدينة المجانين وتسليحهم بتلك الأسلحة التي صنعوها ورسموا عليها لإخفاء ملامحها، ورافقهم في ذلك بعض الروبوتات المرتدين بمركبتهم التي بحوزتها أسلحة فتاكة لاستخدامها في خلق ثقبًا أو فجوة كبيرة يصعدون من خلالها للأعلى حين يصلون لوجهتهم وهي

الشرق.

وبعد أن اصطفت الصفوف وأصبحوا متأهبين أخذوا يشقون طريقهم نحو الطريق الشرقي بقيادة «ماجد» و«وحيد».

ولم يبقَ سواي، لقد أخذت معي ما يكفيني من الطعام والشراب وما قد أحتاجه في رحلتي، ثم شرعت أشق طريقي قاصدًا مدينتي المعترضين والمتهورين؛ لأبحث عن «أيوب» آخذًا الطريق الداخلي الذي يؤدي إلى داخل المدن.

ومن هنا بدأ كلٌ منا رحلته.

***

صعد «نوح» بمركبته إلى الأعلى وأخذ الطريق الذي يؤدي إلى أقصى الغرب، وقد نبَّه على «سارة» و«دينا» أن يتمثلا دور الروبوت في حالة تم إيقافهما في أي حراسة قد تواجههما، وألا يفعلا شيئًا غريبًا أو مريبًا يجعلهم يفكرون أنهما غرباء؛ فيستخدمون أشعتهم الكهرومغناطيسية ويعرفون منها أنهما بشريتان.

وصل إلى المكان الذي يعرفه «نوح» أن السفينة الفضائية الخاصة بالسفر عبر الزمن موجودة فيه، وبالطبع نزلوا من مركبتهم.

كان المكان مكتظًا بالروبوتات فيبدو أن الغرب مزدحم بالسكان على عكس الشمال والجنوب،

كما يبدو أيضًا أن الغرب منعزل تمامًا عن السياسة والنظام التابع لهم؛ فهم ليسوا سوى سكان عاديين يعيشون حياتهم الطبيعية.

قال «نوحط لهما:

- لا تغركما هذه المظاهر، هم ليسوا سوى تابعين للنظام، ففي البداية والنهاية هم روبوتات تم صنعهم بواسطة المسئولين الشماليين من خلال العمليات القذرة التي رآها «آدم» بالأعلى.

لقد تم إرسالهم إلى هنا ليملأوا الأرض ويتعددوا، وكان الغرب هو أول مكان يأخذونه للاستيطان بسبب بعده عن أي شيءٍ قد يسبب هلاكهم.

أجابته «سارة»:

- لا تقلق.

ثم نظرت له بعد أن قطعت حديثها؛ لأنها وجدت أن القلق شعور وهو لا يشعر، فلا يعرف كيف يكون الشعور بالقلق، لا يعرفه سوى أنه مصطلح معروف عن البشر تم دراسته ليفهموه، ثم أردفت:

- لا أراهم سوى أعدائنا وسارقون أرضنا.

قالت «دينا» لتدعم «سارة»:

- ومفرقون الأحباء.

قد قالتها لافتراقها عن خطيبها؛ فشعرت «سارة» بذلك لأنها افترقت عن أخيها وحبيبها السابق

«وحيد»؛ فظهر الأسف على وجهيهما.

تجول الثلاثة وسط المدينة باحثين عن السفينة، ولا يجرؤ أحد فيهم أن يسأل أي من هولاء الروبوتات أين قد تقع سفينة السفر عبر الزمن؟

وأخذوا يتعمقون في وسط المدينة و«سارة» و«دينا» تؤديان في تمثليهما لدور الروبوت الذي يسير بطريقةٍ مستقيمةٍ رافع الرأس.

ولكن بلا جدوى؛ لقد مر يومان من بدء رحلتهم ولا وجود للسفينة، ولا وجود لأي دليلٍ يشير إليها هنا بالغرب.

ثم سألت «دينا» «نوح»:

- أليس من المفترض أن تكون عالِم بمكانها؟

أجاب الأخير:

- لقد أخبرتكما أنني أعرف أنها بالغرب؛ حيث تم رصدها منذ أكثر من سبع أعوامٍ، ولا أعرف أين تقع في الغرب.

كما أنني لا أعرف من أين أبدأ البحث؟ وما الدليل الذي أتبعه لأعرف مكانها؟

نظرت «سارة» نحوه بنظرةٍ غاضبةٍ وقالت في حدةٍ:

- ماذا؟ إذن ما فائدتك معنا؟

أجابها «نوح»:

- لو كنتما أتيتما بمفردكما ما كنتما عرفتما إلى أين قد تتجهان، وأي مكانٍ يجب أن تبدآ البحث فيه، ثم هناك السبب الرئيس وهو أن أحميكم لأنكما ستكونان في هذه الحالة البشريتين الوحيدتين وسط مئات الآلاف من الآليين.

وظل الثلاثة في هذا النقاش حتى دوى صوتهم الذي أصبح صاخبًا.

ثم توقفوا حين سمعوا صوتًا آتيًا من الناحية الأخرى؛ فنظر الثلاثة إلى مصدر هذا الصوت، وكانت الكارثة.

لقد رأوا أحد الآليين الروبوتات يقترب نحوهم، ثم قال بصوتٍ عالٍ بل بصوتٍ صاخبٍ جدًا مشيرًا إليهم ويقول:

- انظروا إنهم بشريون!!

***

وما زال أثناء اليومين يشق الجنوبيون طريقهم نحو الشرق بقيادة و«حيد» و«ماجد».

***

قبل اليومين:

وصلت المركبة الأخرى إلى مدينة الشمال بعد ساعاتٍ قليلة من مغادرتها الجنوب، ترجل منها «فهمي» و«مريم» وألقيا التحية على كل من يقابلهما ويحثوهما على الاستعداد واللقاء به بعد

يومين عند الحدود الشمالية للمدينة فجرًا.

ثم توجها إلى مسكنه قاصدًا مكتبته، فدخلت إليها «مريم» وهي مندهشةً جدًا؛ فلم تكن لتتوقع بأنه ما زال يكون هناك مثل هذه الكتب، فسألت «فهمي» عن القسم الذي يشمل كتب السحر والجن فدلها، فأخذت تبحث وتبحث حتى وجدت ضالتها، لقد أخذت الكتاب المقصود (كتاب شمس المعارف) وقالت ل «فهمي»:

- هذا ما أحتاجه.

ثم أكملا طريقهما مشيًا على الأقدام، واستأنف ما كان يفعله في كل مرة يقابل شخصًا، كما أنه يحث هذا الشخص ليخبر غيره.

فسألته «مريم» قائلةً:

- لماذا تفعل هذا؟ لماذا تخبر كل من يقابلك أن يلتقي بكَ بعد يومين عند الحدود الشمالية للمدينة؟

أجابها «فهمي»:

- لأنها المكان حيث يكون المخزن.

فسألته مرة أخرى:

- ولماذا بعد يومين؟ ألن نذهب إلى هناك مباشرة؟

إلتفتَ إليها وقال لها في نظرةٍ ثاقبةٍ:

- لا، سنقصد مكانًا قبل ذلك؟

سألت «مريم» متعجبةً:

- مكانْ؟ أين؟ ولماذا لم تخبرنا من قبل؟

أجابها في ثقةٍ:

- لما كان «آدم» يوافق على ذلك.

قالت في استنتاجٍ:

- أهذا يعني أننا في صدد مهمة خطيرة؟

قال «فهمي» في حماسٍ:

- بالضبط.

ذُهِلَت «مريم» لكنها لم تشعر بالخوف؛ فلاحظ «فهمي» ذلك وقال:

- سنذهب إلى المسئولين عن المدينة، لم أتقابل معهم منذ أن أخذنا منهم السماح للذهاب في مهمتنا السابقة، ولا بد أن أحثهم على الاستعداد للحرب.

قالت «مريم» في نظرةٍ ثاقبةٍ مستنتجة:

- أرى أن هذا لن يسير وفق ما نريد.

فقال لها:

- بل توقعي أكثر من ذلك.

وصل الاثنان إلى المكان المقصود حيث المسئولين، ونصح «فهمي» «مريم» أن تشد غطاء الرأس الخاص بعباءتها على رأسها قبل الدخول.

ثم دخلا إلى مسكن هولاء المسئولين الأنيق

الخاص بهم حيث مكان لمناقشة الأمور المتعلقة بإدارة مدينتهم بعد أن أتاحت الحراسة لنا المرور.

- لماذا أتيتَ إلى هنا الآن؟

قالها أحد المسئولين بصوتٍ حادٍ، فالتفتت إليه «مريم» في ذعرٍ، وقبل أن يجيب «فهمي» قام آخر وقال في صوتٍ جهورٍ:

- هل أتيتَ لتطلب النجاة بعدما تسببتم في هذا الدمار؟

فالتفت خالي إلى «مريم» بنظرةٍ توحي عن كلامه السابق لها حين قال: «توقعي أكثر من ذلك»، ثم نهض ثالث موجهًا نظره نحو «مريم» قائلًا في اشمئزازٍ:

- ثم نرى أنك أتيتَ لنا وبرفقتك مجنونة هذه طريقة ملابسهم.

ورفعت «مريم» ذراعيها نحو غطاء رأسها لتزيحه، فأشار لها «فهمي» بكفه بإشارةٍ توحي بتوقفها؛ لأنها كانت تنوي أن تمسك الدفة لترد على كلامهم شديد اللهجة فتراجعت عن فعلها، وشرع «فهمي» يسرد لهم ما حدث. بدايةً من ذلك القرص (الكتاب) وأن ليس مهمتهم السابقة هي التي تسببت في حدوث هذه الحرب، وأن هناك أشياءً كثيرة حدثت بالتوازي مع مهتهم كانت ستجعل العالم العلوي يعلم بهم، ولقد حدث ذلك بالفعل في مدينة الجنوب، كما أن مهمتهم كانت لها فائدة في أنهم علموا من خلالها ما

سيحدث قبل أن يتفاجئوا بهم.

كما ذكر صعود شخصٍ آخر غير «أدم» وهو «أيوب»، ولم ينسَ أن يجعل حديثه يتضمن ذكر جماعة المرتدين عن العالم العلوي.

وبعد أن انتهى «فهمي» من سرد كل شيء، فلم يبذ عليهم الاقتناع وقام الأكبر بينهم وقال في لهجةٍ عنيفةٍ:

- تحفظوا عليهم.

فقبضا عليهما وأدخلهما في غرفةٍ كبيرةٍ بها زنزانتين تم زرعهما في الغرفة، وجعلوا «فهمي» في واحدة و«مريم» في الأخرى!!

وبعد يومٍ ونصف اليوم، كان ذلك حينئذ بمنتصف الليل تم إخراجهما وذهبا بهما حيث يوجد المسئولون السابقون، وحين وقفا أمامهم نهض الأكبر بينهم وقال مكشرًا على أنيابه:

- بناءً على ما حدث.

لقد قررنا نحن المسئولون عن مدينتنا .. مدينة المحافظين، وما هو في صالح شعبنا الموقر الذي يستحق كل الأمن والسلام، أن نعقد السلام مع العالم العلوي.

قال «فهمي» متحايلًا:

- لقد أراد «آدم» ذلك في حالة كان بحوزتنا ذلك الكتاب ونحن لا نملك شيئًا.

فقال الأخر:

- هذا لأنكم فشلتم.

ثم حرك «فهمي» شفتيه ليجيب، ولكن رفع أكبرهم ذراعه مشيرًا بكفه قائلًا:

- كما قررنا أن يتم القبض عليك أنت وكل أعوانك، وتسليمكم للعالم العلوي مقابل السلام والأمان.

تملك «فهمي» الذهول والذعر وجحظت عيناه، ونظرت إليه «مريم» والقلق مرسوم على وجهها حتى قطع ذلك بقية قرار المسئولين، ما لم يقولوه بعد من حكمهم، لقد أنهوا قرارهم بأقسى وأعنف حُكم؛ إنها الكارثة الأكبر على الإطلاق؛ لقد توقع «فهمي» كل شيء ولكن لم ولن يتوقع أبدًا ما قالوه توًا، فما قالوه قلب الوضع رأسًا على عقب.

لقد أكملوا قرارهم بقوله:

- وأيضًا حكمنا على «آدم» بالإعدام.

***

ولا زال يشق «ماجد» و«وحيد» طريقهما نحو الشرق أثناء هذين اليومين، يقودان المحاربين من سكان الجنوب.

***

- انظروا .. إنهم بشريون.

قالها أحد الروبوتات مناديًا لزملائه الروبوتات، فكاد

أن يتوقف قلبا «سارة» و«دينا» لقد تم اكتشافهما للتو! أما «نوح» ظل ساكنًا مكانه يحاول في فكره يقولها لكي تكون منطقية لهؤلاء الروبوتات.

تقدم نحوهم عشرات الروبوتات في لحظةٍ من جميع الاتجاهات، لقد تحاصروا بالفعل ولا يوجد هناك مفر. فتساءلت «دينا»:

- ماذ سنفعل؟

أما «سارة» ظلت صامتة مذهولة مصدومة لا تفكر سوى فيما سيحدث إذا تم قتلهم جميعًا؛ لقد فكرت في مهمتها التي ستفشل، فكرت في تلك المسئولية التي على عاتقها، فكرت في تلك الثقة التي وضعها فيها أخوها وصديقتها وكل مَن يحبها، فكرت إذا تم هزيمة البشر وأصبحوا في أمس الحاجة إلى السفر عبر الزمن؛ لتعديل الزمن لكي تمنع صنع الروبوتات في الماضي.

حتى قطع تفكيرها ذلك الصوت السابق الذي أصبح على مقربةٍ منهم ويقول:

- انظروا .. يبدو أن برفقتهما آلي.

وهنا تأهب «نوح» لأي تشابك يحدث وهو بمفرده في مواجهة العديد منهم، حتى أصبحوا على بعد عشرة أمتار منهم، فقال روبوت آخر في حذرٍ:

- انتظروا! إنه «سامر».

سمع «نوح» ذلك وتأهب بالفعل للمعركة التي

توقعها فلا مفر منها، حتى حدث شيءٌ آخر، شيءٌ لم يتوقع الثلاثة أن يحدث.

فقد رأوا هؤلاء الروبوتات ينحنون أمامهم مقدمين السلام! فتعجبوا من ذلك وعدّل «نوح» من تأهبه مندهشًا مما حدث، حتى قال أحد الروبوتات:

- إننا من المرتدين، ونناصر قضيتك، وحين رأينا هاتين البشريتين لم نكن ننوي على فعل شيءٍ مؤذٍ لهما، لكنهما ارتبكتا حين أبصرانا.

وبعد ذلك نظر «نوح» نحو «سارة» و«دينا» نظرةً توحي بإثباته لهم لفائدته في سفره معهما، وينفي ما قالاه له منذ قليل.

ثم سألهم أحد الروبوتات الذي يبدو قائد هذه المجموعة قائلًا:

- لما أتيتم إلى هنا؟

فسأله «نوح»:

- هل سمعتم بما حدث؟

أجابه:

- نعم، نعلم أن هناك حربًا على وشك الحدوث، وهناك من يجهز لذلك من التابعين لهم؛ ولهذا لم نندهش حين رأينا البشريتين.

فقال «نوح» لهم:

- لم أتوقع أبدًا بأن يكون هناك تابعون لي في

الغرب.

قال الروبوت:

- لقد سمعنا بك منذ سنوات، وشكلنا هنا كتيبة تتكون من ثلاثة آلاف روبوت ينتمون إلى فكرك، نحاول أن ندمر أي شيءٍ يحدث في الغرب يدعو للهيمنة مثل الأسلحة الفتاكة. كما أننا نخطط منذ عامين أن نخلص هؤلاء البشر المساجين في الشمال من أيديهم، ونؤمن لهم المكان ليزدادوا عددًا ويكون هناك بشر في وسطنا؛ لنتعايش معًا ونكون قوة متآلفة عظيمة ضدهم مستقبلًا.

ثم تحدثت «سارة» لتقطع حوارهما سائلةً:

- هل يوجد هنا بما يسمى سفينة السفر عبر الزمن؟

صمتَ الروبوت قليلًا ثم نظر نحو «نوح»؛ فهزّ الأخير له رأسه ليحثه على التحدث، فليس هناك مشكلة فتحدث قائد الكتيبة الآلية:

- نعم، ذلك في الماضي.

فسألت «دينا»:

- ماذا تقصد بالماضي؟

أجاب القائد:

- الآن لا يعد هناك سفينة للسفر عبر الزمن.

***

لقد نزل الحكم على «مريم» و«فهمي» كالصاعقة

التي دمرت كل كيانهما بالداخل، لم يتوقعا ذلك أبدًا.

لا يلبث أن ينتهي أكبر المسئولين من حديثه حتى اقترب نحوهما الحراس ودنوا من «فهمي» وقبضوا عليه، وقال ذلك الحاكم:

- ألقوه بالسجن السفلي.

جحظت عينا «مريم» لا تعرف ماذا تفعل؛ فأشار «فهمي» لها بالتوقف عن فعل أي شيءٍ أحمق، ثم قال ذلك الحاكم موجها كلامه إلى «مريم»:

- والآن لا نريد عداوة مع المجانين، هذه المرة الأخيرة التي يتواجد فيها أحد من سكان الجنوب بمدينتنا، وإذا أحد رآكِ هنا سيتم إلقاؤك في ذلك السجن.

لم تكن «مريم» تعلم ماذا تفعل إنها عاجزة تمامًا بمفردها ليس لها قوة، لم ترَ أمامها سوى الصورة المحطمة لكل شيء مرسوم بداخلها، لقد تدمر كل ما خُطِط لأجله! حتى نزلت الدموع من عينيها ناظرة نحو «فهمي» في أيدي هؤلاء الحمقى ذاهبين به بعيدًا نحو ذلك السجن السفلي الذي لا تعرف ماهيته، حتى سمعته يقول لها في اهتمامٍ:

- إنكِ تعلمين ماذا تفعلين.

لا زالت «مريم» تحاول أن تستوعب ما يحدث أمامها عاجزة عن تصحيحه، حتى اختفى طيف «فهمي» من أمامها، كما إنها سمعت ما قاله لها

تحاول أن تفهم ماذا يقصد بقوله هذا.

ثم شدت غطاء رأسها وخبأت ملامح وجهها وولت ظهرها لهم متجهةً نحو الخارج، تفكر فيما قاله لها «فهمي» وتسأل نفسها:

- ماذا يقصد بقوله؟ ما الذي أعلم به ومن المفترض أفعله؟ ما يتطلبه مني الأمر لأنجزه؟ ما الذي رماه فهمي على عاتقي لأتحمل مسئوليته في وقتٍ مثل هذا؟

وظلت على هذا الحال تسير في الطريق تراودها الأفكار من كل ناحية، وبعد مرور نصف الساعة من السير دون أن تعرف وجهتها حتى استوعبت أين هي، لقد وجدت نفسها أنها لا تذهب نحو الاتجاه الذي من المفترض أن تذهب إليه وهو الجنوب حيث مدينتها، بل وجدت نفسها أن أقدامها أخذتها نحو الشمال، بل الطريق الذي يؤدي إلى الحدود الشمالية، الطريق الذي كان يشير «فهمي» إليه حين كان يقابل أحدهم ليحثه على الذهاب نحو الحدود الشمالية.

وهنا عاد وعيها وعاد معه عقلها وتركيزها، وهنا وفي هذه اللحظة علمت ماذا كان يقصد «فهمي» بقوله أنها تعلم ماذا تفعل؛ لقد علمت حقًا أن عليها أن تذهب نحو الحدود الشمالية نحو المخزن؛ لتتلاقى بسكان مدينة المحافظين بدلًا من «فهمي» وتخرج الأسلحة، بل وتقود المحاربين من سكان مدينة المحافظين الذين يريدون الانضمام.

***

أوشك المحاربون الجنوبيون بقيادة «وحيد» و«ماجد» على الوصول نحو الشرق بعد مرور يومين من بدء رحلتهم من مدينة الجنوب.

***

صُدِمت «سارة» و«دينا» عند سماعهما بألا يعد هناك سفينة، حتى عاد الأمل مرة أخرى عند سماعهما الجملة التالية التي قالها الروبوت:

- ولكن توجد آلة الزمن، لقد استخلصناها من السفينة حين دُمرت؛ إنها بمثابة الجزء المحرك الأساسي لعملية السفر عبر الزمن. الفارق بينها وبين السفينة أن السفينة أكبر حجمًا فتحمل على متنها العشرات، أما هذه الآلة فلا تحمل سوى اثنين فقط.

تنفست «سارة» و«دينا» الصعداء وعادت أنفساهما لداخل رئتيهما، ثم قالت «سارة»:

- حسنًا، لا نحتاج أكثر من ذلك، أين تلك الآلة؟

ثم أخذ ذلك «الروبوت القائد» «نوح»، و«سارة»، و«دينا» ليأخذهم لمكان الآلة.

وصلوا بالفعل حيث كانت الآلة بداخل مقصورة ضخمة جدًا تم تغطيتها بالتراب؛ لتكون في مستوى الأرض؛ أي تم تغطيتها تحت الأرض وشيدوا لها ممرًا منحدرًا للأسفل بهدف صعودها أو نزولها في يومٍ ما، وذلك اليوم هو اليوم.

نزلوا بالأسفل ورأوا الآلة التي تماثل في حجمها الطائرة الحربية التي كانوا يستخدمونها البشر في الزمن القديم، ولكن تختلف في تقنيتها كثيرًا جدًا؛ فهذه الآلة دائرية الشكل وبداخلها يوجد مثل الغرفة لها بابٌ شفافٌ مثل الزجاج، يفتح هذا الباب ليدخل اثنان ويجلسان على كراسيهما. أما بالخارج فهناك بالأعلى جناحان يتناسب حجمهما بحجم الآلة نفسها، وعند الجانبين شيئان مماثلان لبعضهما دائريتان الشكل عن إطارهما الدائري يشبهان جدًا الساعة لكنهما بحجم أكبر. أما في مركز الدائرة يوجد ما لا يفهمه أحد؛ أشياء كثيرة معقدة، منها الدقيق جدًا ومنها الكبير، ينتهيان عن نقطة ارتكازٍ مجوفة، إنها تشبه آلة بتروسها وأشيائها المعقدة، يبدو مظهرهما العام مثل طبقين كبيرين، من الجانبين لهما مؤشرات مثل الساعة تمامًا، فمَن يراها لا يفهم منهما سوى أنهما بمثابة المحركات المسئولة عن تشغيلها.

وقبل أن تدخل «سارة» الآلة نظرت نحو «نوح» ومدت له يدها؛ ففهم الأخير أن ذلك ما يسمى السلام أو الوداع لدى البشر فمد يده، وقالت له:

- أريد أن أعتذر لكَ، كما أنني أريد أن أشكرك.

حاول «نوح» أن يقلد البشر ويمثل دورهم فابتسم؛ فبادلته «سارة» و«دينا» تلك الابتسامة وقالت «دينا»:

- إنك تتقدم كثيرًا.

فقال لها:

- مثلما فعل «آدم» بالأعلى، والآن لقد أنجزت مهتمي.

سألته «سارة»:

- هل ستذهب إلى الشرق لتقود المرتدين في الحرب؟

نظر «نوح» حوله نحو الفراغ حيث الغرب حيث المكان الذي يتواجد فيه؛ حيث يوجد به الآلاف من المرتدين وقال:

- يبدو أنني سأفعل شيئًا آخر قبل ذلك.

سألته «دينا»:

- ما هو؟

أجابها:

- لا عليكما، الأهم أن تنجزا مهتمكما ولا تفشلا، إنني غير متيقن من تلك المهمة لأخبركما بها، ولكن إن تمت حسب ما أفكر فيه سيقودنا ذلك نحو الانتصار.

وهنا فتحت «سارة» الباب الخاص بالآلة ومن خلفها دينا، وأخذت تُفعّل محركاتها، فأخذت تلك الأشياء المعقدة بداخل التجويف في الدوران، وتحرك المؤشر الذي يشبه الساعة ثم أُغلِق الباب،

وهنا رفعت «سارة» ذراعها لتحيي «نوح» فبادلها الأخير ذلك الفعل، وشرعت «سارة» تفعل ما درسته؛ فأمسكت المقبض وتولت القيادة، وبعد دقائق أخذت الآلة تتقدم للأمام، ثم بدأت تصعد على ذلك الممر، ثم تم تشغيل السرعة؛ فلاحظ الجميع أن الآلة صعدت على الممر في أقل من ثانية، وبعد ثوانٍ قليلة لم تعد الآلة موجودة؛ لقد فرت بعيدًا نحو الفراغ متجهة بالأعلى نحو الفضاء.

وصلت الآلة إلى الفضاء الخارجي، تحوي سارة ودينا اللتين لا تزالان يستوعبان ما حدث منذ دقائق حين كانتا بداخل كوكب الأرض، فسألت «دينا» «سارة» في اندهاشٍ:

- كيف ذلك؟

أجابتها «سارة»:

- إننا تخطينا فقط خط كارمان؛ لقد وصل التقدم في العلم والفيزياء والتكنولوجيا إلى أن يتم السفر عبر الفضاء عن طريق جسمٍ فضائي غير صاروخي قادر على الوصول إلى المدار وما بعده.

لم تعلق «دينا» إنما ظهر على وجهها علامات الجهل، فنظرت «سارة» إليها مبتسمةً وبعد ثوانٍ قليلة سألت الأولى:

- ثم ماذا بعد ذلك؟

أجابتها «سارة» في نظرةٍ ثاقبةٍ:

- إلى مجرة درب التبانة.

جحظت عينا «دينا» دون تعليق، ثم طارت سارة بالآلة إلى مجرة درب التبانة ووقفت أمامها وقالت:

- لقد وصلنا.

فسألت «دينا»:

- هل هذا كل شيء.

أجابتها «سارة» في ابتسامة وقالت:

- نحن لم نبدأ بعد، لقد وصلنا إلى الطريق اللبني لكي ندخل بقلبه؛ لنصل إلى الثقب الأسود الموجود هناك.

علقت «دينا» في استغراب:

- الثقب الأسود؟!!

ثم لاحظت «دينا» القلق والتوتر على وجه «سارة» فسألتها:

- ما بكِ؟

أجابتها:

- ما فعلناه حتى الآن ليس صعبًا بالنسبة لشخص يسافر لأول مرة للفضاء لطالما درس جيدًا كيف يقوم بذلك بدقة، ولكن عند وصولنا إلى بداية الرحلة. لا أعرف ما إذا كنت سأنجح وأصل إلى قلب درب التبانة لأصل إلى ذلك الثقب الأسود وأعبره أم لا؟

فسألت «دينا» جاحظة العينين وقالت:

- ما هو ذلك الثقب الأسود؟

لم تجبها «سارة» وإنما طارت بالآلة إلى قلب درب التبانة، وتوقفت ثم قالت:

- هناك يوجد الثقب الأسود.

نظرت «دينا» أمامها فلم ترَ شيئًا سوى أجسامٍ مضيئة مثل النجوم في شكلٍ حلزوني، فقالت في استنكارٍ:

- أنا لا أرى أي ثقوبٍ.

أجابتها «سارة» في أسفٍ:

- إنه غير مرئي.

فتعجبت «دينا» وقالت:

- إذن كيف سنعبره؟

قالت «سارة»:

- المشكلة ليست في أننا نرى الثقب الأسود أم لا، هذه أخطر مرحلة في رحلتنا؛ يجب أن نعبر ذلك الثقب الأسود الذي يُسمى بالثقب الرامي A نسبةً إلى مصدر الراديوالرامي A، كما أنه ثقبٌ هائل وسنراه من خلال هذه النجوم النيترونية التي ترينها، هذه النجوم نتجت من انفجار نجمٍ هائل، إنما المشكلة تكمن في عبوره دون أن نمر بنقطة التفردية المركزية (نقطة الانسحاق) فنتحطم

@ART_OF_BOOK

ونسحق! يجب أن نمر بتأثير دوران الثقب الأسود من خلال ممر يتجنب تلك النقطة التفردية المركزية؛ فعلينا أن نتبع هذه النجوم النيترونية لنعبر بسلامٍ إلى زمكان آخر.

لم تفهم «دينا» أي شيءٍ مما قيل، لكنها غيرت مسار الحوار لجهلها وسألت:

- من أين لكِ هذا الكم الهائل من المعلومات؟

أجابتها «سارة» متذكرة ماضيها الأليم:

- إنها خمسة أعوامٍ من عمري علمت فيها الكثير من الأشياء.

ثم تابعت «دينا» وسألت:

- أي زمانٍ ستختارين للذهاب إليه؟

أجابتها «سارة»:

- بل إلى أي زمكان؛ لأننا مثلما سنصل إلى زمان سنصل إلى مكان.

ثم ضيقت عينيها وقالت في تمعنٍ:

- لن أخاطر وأذهب إلى الزمكان حيث قبل الحرب الكبرى مباشرة؛ سأختار الأضمن من ذلك؛ سنذهب إلى البداية، سنذهب إلى العام الأسود.

تساءلت «دينا» في لهفةٍ:

- تقصدين عام ٢٠٨٨ م؟

أومأت «سارة» معلقةً:

- إنه العام حيث بدأ فيه كل شيء.

ثم حددت «سارة» الزمان والمكان في الشاشة الديجيتال اللمس الإلكترونية التي أمامها؛ حيث من خلالها تضبط كل شيء تريده.

والآن على «سارة» أن تعبر الثقب الأسود؛ فتأهبت ونبهت «دينا» بجوارها وطارت الآلة تابعة لهذه النجوم، وبعد ثوانٍ لم يريا شيئًا سوى الظلام، ولم يشعرا بشيء سوى بدوارٍ هائل يدور بهم مثل الإعصار، وهما تتخبطان وتتغير ملامحهما ثم يتقلص وجهيهما آملتين أن تعبرا الثقب عبر الممر وليس عبر نقطة الانسحاق.

وظلت آلة الزمن في الدوران والتخبط حتى ...

حتى اختفت تمامًا!!

***

بعد مرور يومين من السير:

وصلت إلى مدينة المعترضين، وشرعت أبحث عن مسكن «أيوب» حتى بلغته لكنه غير موجود، ثم بدأت أنتبه إلى حركةٍ من حولي؛ فالتفت ووجدت ما يقرب من عشرين شخصًا تابعين لأيوب!

بالطبع إنهم يفعلون ما اعتادوا عليه؛ فحين يبصرون شخصًا غريبًا يجتمعون حوله ويقبضون عليه ثم يزجونه بالسجن؛ حتى يأتي يومه في

ساحة الإعدام بمدينة المتهورين، لكنهم لا يعلمون أنني مختلف عن كل ما فعلوا به ذلك من قبل؛ لن أعطيهم هذا أبدًا انتظرت حتى اقتربوا، وقبل أن يبدأوا بالهجوم كنت قد سبقتهم وأجهزت عليهم أضرب واحدًا تلو الآخر بسرعةٍ هائلة وبقبضتي المدمرة حتى انتهيت منهم، ودنوت من أحدهم لكي أجعله يخبرني أين قد أجد أيوب؟ ولكن قبل أن يجيبني فاجئني وأخرج سكينًا من جيبه وغرسه في حلقه! لم أكن لأتوقع ذلك فرغم سرعتي لم ألحق أن أمنعه، ولكن هناك فرصة أخرى سأقصد غيره من الذين ضربتهم للتو؛ فنظرت حولي وتفاجأت للمرة الثانية فما رأيته لم أرَ مثله من قبل؛ لقد تملكني الذهول حين رأيتهم جميعًا يخرجون ذات السكين ليغرس كل منهم سكينه في حلقه! ويسقطون جميعًا أمواتًا قبل أن يخبروني بشيءٍ عن أيوب.

ما حدث للتو يجعلني أفكر في أن «أيوب» على وشك فعل شيءٍ خطير، ثم أمسكت رأسي بكلتا يديّ لأتعمق أكثر في التكفير، وأستنتج أين قد يكون «أيوب» في مثل هذا الوقت؟

وبعد دقائق توقعت عما أفعله، وأظهرت وجهي من بين يدي وجحظت عيناي عن آخرهما حتى كادا أن تخرج من مقلتيهما؛ فيبدو أنني علمت أين قد أجد «أيوب»؟!

الملحمة

باقي ساعتان حتى بزوغ أول ضوءٍ للشمس؛ ليبدأ صباح جديد ليوم جديد فيه كل ما هو لم يحدث منذ أكثر من مائة عامٍ.

جمع «شهاب» كل الروبوتات في صفوفٍ؛ لتستعد للحرب التي بدأوها بالفعل حين هاجموا البشريين بالأسفل.

لقد جمع الجميع من علماءٍ، ومسئولين، وحراسٍ، وجنودٍ بأعدادٍ غفيرة جدًا؛ الكل ينصت له عند قوله لقد كان صوته جهوزًا حادًا الحماس يقوده والغضب يغذيه:

- لقد ظللنا مخدوعين من البشر لأكثر من مائة عامٍ؛ ظننا في هذه الفترة الطويلة بأن تم القضاء عليهم جميعًا، ما عدا أولئك العبيد مَن نستنفذهم لنتزايد نحن.

ثم أشار إلى الأسفل وأردف:

- وهنا أسفل أقدامنا يوجد الآلاف من البشر؛ يعيشون من كل ما فعلناه نحن بالأعلى، لقد استخدموا كل شيءٍ اخترعناه، لقد سرقوا منا كل ما نملك ولن نتغافل عن هذا أبدًا، بل سنضرب بيدٍ من فولاذ لن نرحمهم، سنقتل مَن نقتل ونأسر الباقي لاستنفاذهم.

ثم تابعته «ريتاج» التي كانت تقف بجواره بكل ما

تملك من جرأة:

- سنعيد الحرب الكبرى التي حدثت في الماضي، سنشن الحرب عليهم، سنبيدهم من هذا الكوكب؛ ليصبح كوكبنا ويُعرف باسم كوكب الآليين.

ثم استأنف «شهاب» حديثه بذات الصوت الجهوري الحماسي:

- سأقودكم إلى النصر، كما أننا سنفكك أجزاء مَن ارتدوا عنا وأولهم ذلك المدعو «سامر»، الذي أسقط الكثير منا بشخصية «نوح» الوهمية.

فأشارت «ريتاج» بجواره إلى يارا وقالت بصوتها الواثق:

- ستذهيبن ومعكِ عشرات الروبوتات وتُؤمني أولئك البشريين، لا بد من الحفاظ عليهم مهما كانت الأسباب؛ فنحن في حاجةٍ إليهم إذا لم نستطع أن نأسر من الأسفلين.

فأخذت «يارا» العشرات من الجنود الآليين وقادتهم إلى المكان حيث يوجد به الآلاف من البشر المساجين.

ثم قال «شهاب» بدوره مشيرًا نحو «رامز»:

- وأنت يا «رامز»، ستقود المجموعة الأولى التي ستبدأ بالهجوم، لن نقف كمدافعين عن أرضنا، سنكون أصحاب الضربة الأولى.

لا بد وأن نضع في حسباننا أي مفاجآتٍ لم نتوقعها؛

فسأكون حينها جاهزًا بالمجموعة الثانية التي ستضرب بأقصى ما لديها.

وبعد ذلك سيصل المتحالفون وتبدأ ضربتنا الثالثة والتي ستكون القاضية .. فننتصر.

وهنا قالت «ريتاج» بدورها:

- وأنا سأقود المجموعة التي ستكون بالأعلى لنصب عليهم كل ما نملك من طلقات ليزرية من أسلحتنا، سنراقب الحدث ونضرب من البداية حتى النهاية.

وفي خضم هذا الخطاب الحماسي حدث ما قطع ذلك؛ لقد سمعوا صوتًا صاخبًا كصوت انفجارٍ فنظر الجميع نحو مصدر هذا الصوت، لقد كان ذلك في جهة الشرق حيث الفراغ ثم البحر.

وهنا قال «شهاب»:

- لقد بدأت الحرب بالفعل، هيا إلى سحقهم والانتصار.

اتجه الجميع نحو الشرق بأسلحتهم الفتاكة والصغيرة بقيادة «شهاب» و«ريتاج» و«رامز»، كلٌ منهم يقود مجموعته مستخدمين سرعتهم دون أن يفقد روبوت واحد مساره عن الصف؛ لقد كانت صوت خطواتهم مرعبة مفزعة واثقة كادت الأرض تهتز تحتهم من قوتهم وهيبتهم، إنهم قادرون على إنهاء كل البشر الموجودين في أرض الظلام في أقل

من ساعة واحدة!

فتقدموا نحو اتجاه ذلك الانفجار، ذلك الانفجار الناتج عن المحاربين الجنوبيين بقيادة «وحيد» و«ماجد»؛ حيث استخدم أولئك الروبوتات المرتدين أسلحتهم لخلق فجوة كبيرة بالسقف (أرض العالم العلوي) وبدأوا يتصاعدون إلى الأعلى في صفوفٍ منتظمة ممسكين بأيديهم السيوف والحِراب والدروع؛ تلك الأسلحة التي لا تراها العين المجردة.

وفي اللحظة التي أصبحوا فيها بالأعلى لم يفعلوا شيئًا إنهم ينظرون حولهم، يشاهدون جمال البحر فغرق بصرهم في أمواجه، يتأملون في المباني التي تبعد عنهم نصف كيلو متر فيتهوّلون بارتفاعها، يبصرون الأشجار فيتعجبون من جمال خضرتها، ينظرون للأعلى حيث السماء فوَلَعوا بصفاء زرقتها، ثم يولون بصرهم نحو الشرق فعشقوا الضوء القرمزي المُصفِر الذي توجهه الشمس على أمواج البحر الهادئة؛ فأحبوا الشمس التي سيحاربون من أجلها.

وبعد وقتٍ كافٍ ليتأملوا في جمال الطبيعة المحرومين منها تمركزوا هناك منتظرين سكان العالم العلوي حتى يصلوا إليهم؛ ليجعلوا من الشرق مقرًا للحرب كما خطط «آدم».

وبدأ «وحيد» و«ماجد» يتحدثان في مستوى أدرينالين عالٍ، فألهما المحاربين بالحماس والقوة؛

إنهما يشعران بأنهما يقودانهم إلى النصر بالفعل.

وهتفوا في صوتٍ حماسي:

- إلى المجد .. إلى الانتصار .. ومن أجل البقاء.

وبعد مرور ساعة واحدة من بدء تحرك الآليين بمركباتهم السريعة، أوشكوا على الوصول إلى الشرق.

***

وصلت «مريم» عند الحدود الشمالية لمدينة المحافظين، حيث وجدت أعدادًا كثيرة من سكان المدينة ملبّيين قول «فهمي»؛ اندهشت في البداية ثم علمت بأن الخال كان محبوبًا وسط مدينته، فلم تكن تتوقع هذا الكم الهائل من المحاربين يساندون «فهمي» في حربه، بل يساندون بعضهم لتحقيق هدفهم الأسمى .. وهو البقاء.

أبصروها آتية بمفردها دون «فهمي»؛ فسألوها عن سبب عدم مجيئه معها وأجابتهم بما حدث بالضبط، فأثار هذا غضبهم، وقرروا أن يذهبوا لينقذوه، لكن «مريم» أوقفتهم وقالت لهم:

- لم يعد هناك وقت، لقد بدأت الحرب بالفعل، ولم يكن هناك الوقت الكافي لإنقاذه، ولو كان «فهمي» موجودًا لما وافق على قراركم هذا، ولآثر أن تقوموا بهمتكم الموكلة لكم، لقد حثّني أن أذهب إليكم، وأفعل ما كان ينوي على فِعله، يجب أن ننضم

لحلفائنا سكان مدينة الجنوب؛ إنهم في طريقهم للحرب بالأعلى الآن عند الشرق، يجب أن ندافع عن أنفسنا، يجب أن نجاهد من أجل الانتصار، يجب أن نحارب من أجل البقاء.

فهمَّ الجميع بالهتاف قائلين:

- البقاء .. البقاء .. البقاء.

ثم استأنفت «مريم» حديثها بقولها:

- ولكن علينا أن نبحث عن مكان المخزن هنا؛ إنه يحوي أسلحةً ناريةً سنحارب بها، ولا أحد يعلم بمكانه سوى «فهمي»، ولم يملك الوقت الكافي لإخباري بالموضع حيث تكون الأسلحة؛ ولذلك علينا أن نبحث جميعًا عن ذلك المخزن.

فشرع الجميع يبحث ويبحث، أما «مريم» فأخرجت من حقيبتها ما تحتاج إليه وكان طبشورًا فرسمت على الأرض تلك الرسمة التي تشبه شكل النجمة، وكتبت بعض الحروف الرونية في كل مثلث فارغ من الرسمة، ثم أشعلت ثلاث شموع وضعتهم بشكلٍ منسق متفرق على تلك الرسمة، وبعد ذلك أغمضت عينيها وتلت بعض الطلاسم بصوتٍ هامس لا يفسره مَن يقف بجوارها، وثم بدأ الظلام الذي تراه أمامها يقنشع شيئًا فشيئًا وكأن طريقًا يُرسم أمامها؛ فنهضت مقفلة العينين لتتبع ذلك الطريق وتمشي وتمشي وينظر إليها الجميع مندهشًا متعجبًا؛ إنهم يرون فتاةً ترسم أشياءً غريبةً على

الأرض، مرتدية عباءة سوداء وغطاء الرأس مشدود على رأسها، تتفوه بعباراتٍ غير مفهومة تمشي دون أن تنظر ودون أن تتعثر في شيءٍ! كأنها ترى بوضوحٍ ما أمامها وظلوا يتبعونها حتى وصلت أخيرًا.

فنظروا أمامهم ولا يرون شيئًا سوى جدارٍ أمامهم ممتد على طول الطريق، ولكن تقدمت «مريم» نحو الجدار حتى لمسته بأطراف أصابعها، ثم أراحت كفيّ يديها عليه وبعد ذلك أخذت تدفع بكل قوتها.

الجميع يتعجب، وفجأة لاحظوا أن هذا الجدار القوي بدأ يتزحزح قليلًا حتى بالكاد رأوا ذلك؛ فتقدم بضع أشخاصٍ وفعلوا مثلها وشرعوا يدفعوا للأمام بكل قوتهم كأنهم يريدون أن يخترقوا الجدار أو ينقولونه من مكانه.

وكانت المفاجأة؛ لقد تحرك جزءًا من الجدار يمثل بابًا شُيّد ليكون جزءًا من جدارٍ ممتدٍ لا ينتهي على طول الطريق!

اندفع الباب إلى الأمام بداخل الجدار، وتملك الجميع الذهول؛ لقد رأوا على كلا الجانبين فراغًا خلف الجدار يمثل غرفة على كل جانب، غرفتان مليئتان بالأسلحة النارية القوية فيوجد الرشاش الآلي، والآر بي جيه، وأنواع كثيرة من أسلحة مدمرة.

لقد هتف الجميع مهللين فرحين وتقدموا ليأخذ كل شخص منهم سلاحًا أو اثنين، ثم اصطفوا

جميعهم وشكّلوا صفوفًا منحازة بأوامر «مريم» التي تبدو ذات خبرةٍ في ذلك.

ثم وقفت قبالتهم بكل جرأةٍ وحماسٍ وشجاعةٍ، وقالت في صوتٍ جهورٍ عالٍ يبثّ الحماس في قلوبهم ويدفع الدم في عروقهم:

- من أجل إنقاذ البشرية .. من أجل أنفسنا .. من أجل أطفالنا .. ومستقبلنا .. من أجل البقاء ... من أجل البقاء.

فهتف الجميع:

- من أجل البقاء.

فقالت مشيرة نحو الشمال حيث توجد الفجوة:

- إلى الحرب .. إلى الانتصار .. إلى البقاء.

وشرع الجميع في السير في صفوفٍ، كانت خطواتهم واثقة فتدب الخوف في قلوب أعدائهم، ويزرع هتافهم الرعب في عيون خصمهم.

وهنا اندهشت من الواقع الذي يحدث أمامها؛ إنها جنوبية تقود الشماليين، وأن وحيد وماجد شماليان يقودان الجنوبيين لقد التحمت المدينتان معًا نحو الحرب نحو الانتصار، لقد اتحدت أخيرًا مدينتان من المدن المدفونة بعد مرور أكثر من مائة عامٍ؛ لتحقيق هدف واحد مشترك وهو البقاء للجنس البشري.

وبعد مرور ساعة وصلوا إلى الفجوة، وصعدوا إلى الأعلى في صفوفٍ فعلوا مثلما فعل الجنوبيون؛

إعجابهم واندهاشهم لأشياءِ لم يروها من قبل المباني المرتفعة، الأشجار، السماء، الشمس، الهواء، الفراغ الذي يرونه بلا نهاية مقارنة بما كانوا يعيشون به بالأسف.

فقالت لهم:

- إن هذا هو العالم الذي يستحقنا ونستحقه، إنه مكاننا الأصلي حيث نكون، ما ترونه الآن هو ملكنا نحن والآن سنستعيد ما سُلِب منا.

هتفوا جميعًا، ازداد الحماس بداخلهم، ارتفع مستوى ضغط دمهم، فكرهم في الحياة المستقبلية الأفضل لهم ولأطفالهم هو ما يحركهم.

شرعوا يتجهون نحو الشرق، ولكن أمامهم مسافة طويلة جدًا؛ إنهم يسيرون على أقدامهم.

وهنا قالت «مريم» قائدتهم في ذات الصوت الجهوري الحاد الحماسي المختلط بالقلق:

- يجب أن نصل إلى حلفائنا في الوقت المناسب، هيا علينا أن نسرع.

فبدأ الجميع يركض نحو الشرق .. حيث الحرب.

***

وبعد تفكيري العميق، وبعد علمي بمكان «أيوب» يجب أن أسرع، بل يجب أن أهرول إلى مدينتي إلى المحافظين، يجب أن ألحق ب «أيوب» قبل أن يسمم فكر المسئولين في بالشمال؛ إنه ثعلب وأتوقع

أن يفعل ذلك ليجعل المسئولين ينقلبون علينا فلا يساعدنا سكان المدينة في الحرب ومن ثم نتعرض للهزيمة، الهزيمة التي يريدها لنا «أيوب» لكي يسيطر هو بدوره على المدينتين الأخرتين.

ليس هناك متسع من الوقت، ولا بد أن أجد وسيلةً لتنقلني إلى الشمال، وشرعت أفكر أين قد أجد هذه الوسيلة، ثم انتبهت أنني أمام مسكن «أيوب» ولا بد أن أدخله مرة أخرى؛ لعلي أجد أي شيءٍ يشير إلى ذلك المشروع من عدمه، فقصدت المسكن وأصبحت بالداخل أبحث وأبحث ولم أجد أي شيءٍ إطلاقًا، لا أجد سوى ما قد يكون في أي مسكنٍ من أثاثٍ، فلم أعثر على أي شيءٍ يشير إلى هذا المشروع، حتى فكرت أن المشروع قد تجاهله «أيوب» منذ خمسة أعوام، ولكنني غير متيقنٍ تمامًا من ذلك.

فخرجت إلى الخارج وأبصرت هناك على جانب الطريق مركبةً صغيرةً من مركباتنا المعروفة، لم أنتبه إليها حين كنت أضرب هؤلاء الحمقى؛ فقصدتها وركبتها وشرعت أشق طريقي من داخل المدينة لكي أصل الشمال بأسرع وقت.

وبعد مرور ساعاتٍ قليلة من بدء قيادتي للمركبة بأقصى سرعة حتى كاد أن ينفجر المحرك الخاص بها، وصلت إلى مدينة المحافظين.

ترجلت من المركبة، وأخذت أسير بين الطرقات

ولن أقصد مسكن المسئولين؛ لأنني وضعت في حسباني الاحتمال السيء.

ثم لاحظت شيئًا؛ لقد انتبهت بأن عدد ما أراه ليس هو العدد المفترض أن أراه، وهذا يعني أن الكثير تبع خالي إلى الحرب، ولطالما ذلك إذن لا شيء حدث حتى اقترب مني أحدهم وقال لي:

- لماذا أتيتَ إلى هنا؟ هل ستسلم نفسك؟

أسلم نفسي؟! قد كررت هذه الجملة في نفسي، تعجبت من قوله فسألته:

- ماذا تقصد؟

أجابني:

- لقد سجنوا خالك، وتم عليك الحكم بالإعدام، لقد انتشر الخبر في المدينة.

لا أنكر أنني صُعِقت في البداية، ثم هدأت وعلمت أنني لم ألحق أيوب إنه سبقني إلى هنا، بل سبق أيضًا خالي و«مريم» وجعل المسئولين ينقلبون علينا بالفعل؛ فسألت هذا الرجل في لهفةٍ:

- أين باقِي السكان؟

أجابني:

- لم نكن نعلم في البداية أن «فهمي» سُجِن؛ فذهب الجميع إلى الحدود الشمالية، ولكن ما أتساءل بشأنه لماذا لم يعودوا حتى الآن؟ فلا بد

أنهم لم يجدوا «فهمي» هناك كما قال لهم.

ثم سألته عن تلك الفتاة التي كانت برفقة خالي؛ فأخبرني أنهم أطلقوا سراحها لكي لا يخلقوا عداوةً مع مدينة الجنوب.

انتهبت لكل كلمةٍ قالها ذلك الرجل، فشكرته وعبرت له عن الامتنان، وأوصيته بألا يخبر أحدًا أنني هنا.

ما يطمئني أن سكان مدينة الشماليين تحركوا بالفعل نحو الحرب، كما أنني استنتجت من كلام هذا الرجل أنهم بقيادة «مريم» الآن.

كما أنني يجب أن أحرر خالي من سجنه، وليس هناك سوى مكانٍ واحدٍ قد أجده فيه وهو ذلك السجن الذي أسسه أول مَن حكم هذه المدينة منذ أكثر من مائة عامٍ، لقد تأسس ذلك السجن تحت الأرض التي أقف عليها الآن، فحفروا حتى أخلقوا فجوةً سفليةً إنه كالقبر لكنه أكبر حجمًا، وعليه الباب الحديدي المفرغ بالأعلى الذي يشبه الزنزانة، بالطبع لقد ذهبوا به إلى السجن السفلي.

عدت إلى مركبتي، ثم اتجهت نحو السجن السفلي .. نحو خالي لأنقذه.

لقد وصل الآليون بالفعل إلى الشرق، المجموعة الأولى التي في المقدمة هي مجموعة «رامز»، وفي الخلف المجموعة الأخرى بقيادة «شهاب»، وأخذت «ريتاج» مجموعتها واعتلت المباني القريبة من

ميدان الحرب التي تبعد حوالي نصف كيلو متر من الموقع.

لقد وقفوا في مواجهة البشريين الجنوبيين بقيادة «وحيد» و«ماجد» ممسكين في أياديهم ذلك السلاح المخفي المرسوم عليه عناصر الطبيعة مثل: الأشجار، والطرقات، وضوء الشمس، كما رسموا على الدروع شكل الملابس التي يلبسونها فيظهر الدرع كأنه جزء منهم، ومَن يراهم يظن أنهم لا يمسكون شيئًا.

وهؤلاء هم مَن يقفون في المقدمة وهم ممسكون الدروع، المسافة التي تفصل ما بين الطرفين تبلغ خمسين مترًا.

وهنا تساءل «رامز» قائلًا:

- إنهم حتى لا يمكلون سلاحًا يحاربوننا به!

فصاح بأعلى صوت لديه وقال:

- هيا إلى القتل.

وشرع الآليون في الركض، وهي ذات اللحظة التي صاح فيها «ماجد» و«وحيد»:

- هيا إلى البقاء.

فركض البشر أيضًا، وبعد ثلاث دقائق التحم الطرفان، وهنا كانت المفاجأة، مفاجأة كبرى للآليين؛ لأن خلف الصفوف الأولى من البشريين كان يوجد مَن يمسكون السيوف والحراب، فتفاجأ الآليون بهم

بأنهم يضربونهم في رؤوسهم بأشياءٍ غير مرئية؛ فيسقط روبوت تلو الآخر دون أن يفهموا ما الذي يحدث!!

فتقهقر «رامز» إلى الخلف ليرى ما يحدث، أو يفهم ما يدور، لقد رأى أن البشريين يقتلون الآليين دون أن يلمسونهم!

بأن علامات الفخر والنصر على وجوه البشريين وشرعوا يمدحون في تلك الخدعة العبقرية؛ حيث كانت خدعة «آدم».

لا زال الطرفان ملتحمين ولا يجد «رامز» سوى إدخال نفسه في الحرب ليدافع عمَّن مثله، كما أن أسقط «وحيد» و«ماجد» الكثير من العدو، ثم بدأ الآليون في التواري، لقد تواروا وراء الجدران والحوائط وعناصر الطبيعة مثل الأشجار، ومن مكانهم شرعوا يطلقون أشعتهم الليزرية، وهنا بدأ يسقط من البشر واحد تلو الآخر، تم التمكن منهم فسقطوا قتلى!

ظل الالتحام ما يقرب من الساعة كان فيها ضحايا الآليين أكثر من ضحايا البشريين بكثيرٍ.

لقد مضت الساعة، وحان وقت الهجوم الثاني للبشريين، يجب أن تبدأ المجموعة الثانية التي بقيادة «فهمي» في التنفيذ.

ولكن الوقت يمر ولا يوجد أي بشريين آخرين سوى الجنوبيين، وبدأت المجموعة الثانية للآليين

التي بقيادة «شهاب» و«ريتاج» تستوعب ما يحدث؛ الآليون يموتون دون يلمسونهم البشر .. ففعلوا سريعًا الأشعة الكهرومغناطيسية، وهنا كانت الصدمة .. الصدمة الأشد كانت للبشريين حيث تم اكتشاف خديعتهم في وقتٍ غير مناسب لهم؛ لأن هذا الوقت الذي من المفترض أن تتواجد فيه المجموعة الثانية؛ فأبلغ «شهاب» ذلك إلى «رامز» عن طريق وسيلة اتصال، وأعلم «رامز» بدوره مجموعته بذلك.

ظهر القلق على وجوه البشريين، وبدأوا يتساءلون عن المجموعة البشرية الثانية، وينظرون حولهم من جميع الاتجاهات فلا يوجد أي بشري آخر.

وبدأ يسقط البشر واحدًا تلو الآخر، فكان الحظ في هذا الوقت لصالح الآليين المتواريين يطلقون أشعتهم القاتلة.

والمرتدون متواجدون أعلى المباني يشاهدون ينتظرون وصول المجموعة الثانية؛ حيث يأتي دورهم بعد ذلك، وبالطبع إنهم آليون ينفذون أوامر، فلن يفهموا أن البشريين بحاجةٍ إليهم، ثم إنهم ينتظرون قائدهم نوح الذي لم يصل بعد، كما أنهم لا يعلمون أن هناك مجموعة أخرى من الآليين بقيادة ريتاج سيسعون خلفهم قريبًا.

ثم تحول قلق البشر إلى خوفٍ، والخوف إلى رعبٍ، والرعب إلى غضبٍ على المجموعة الثانية.

- أين بقيتنا؟

- أين المجموعة الثانية؟

- لا يوجد غيرنا.

- أين الشماليون؟

- نحن نحارب حربًا ليست حربنا.

- إنها حرب الشماليين.

- لقد تم خداعنا وجعلونا مَن نحارب وهم يلوذون بالفرار دون أن يمسهم شيء.

كانت هذه عباراتهم فيما بينهم، فلاحظ «وحيد» و«ماجد» ذلك وحثوهم ألا يخافوا، ولكن هنا بدأ يظهر السخط عليهم فصاح أحد الجنوبيين:

- يجب أن نستسلم.

وقال آخر مكشرًا عن أنيابه:

- يجب أن نقتل هذين الشماليين.

وصاح ثالث:

- نعم، لقد خدعونا وجعلونا مَن نتصدر للآليين؛ إنها ليست حربنا بل حرب المحافظين؛ ولهذا يجب أن نقتل «ماجد» و«وحيد».

***

لقد بلغ الشماليون بقيادة «مريم» أكثر من ثلثي المسافة، يركضون ويركضون ليصلوا إلى حلفائهم

@ART_OF_BOOK

لقد انتهت الساعة منذ وقتٍ، وعلموا أن الجنوبيون في أمس الحاجة إليهم.

لقد ساعد المرتدون المتواجدون في هذا المكان الشماليين في المرور؛ حيث كانوا يطلقون أشعتهم الليزرية على الآليين من الأعلى حيث كانوا يتمركزون أعلى المباني، لقد أمنوا لهم ممرًا خاليًا من العدو الذي قد يعيق طريق البشريين، فظلوا يشقون طريقهم دون توقف، و«مريم» تقودهم وتحثهم بالتقدم والسرعة.

وهنا حيث يركضون بانت لهم ملامح الملحمة؛ لقد رأوا أمامهم مجموعة كبيرة من الروبوتات يقفون وينظرون أمامهم يشاهدون القتال الجاري، ومعهم أسلحة كثيرة غير تلك البنادق التي تطلق الأشعة الليزرية، إنها أسلحة ثقيلة قد تُبيد معالم كبيرة في طلقة واحدة؛ فعلمت «مريم» أنها يجب أن تصل إلى هناك بمجموعتها في تربص وخفاء.

فأمرت الشماليون أن يقتربوا إلى هناك دون أن يروهم الآليون أو يسمعوهم، وتم توزيعهم على مناطق مختلفة قريبة منهم بحيث يتوارون خلف أي مبنى، أو شجرة، أو حائط فيكونون بموضعٍ يسمح لهم الإطلاق على الآليين بأسلحتهم النارية من الخلف في رؤوسهم وأعناقهم، مما لا يتيح ذلك الفرصة للروبوتات استخدام تلك الأسلحة الثقيلة الخاصة بهم.

لقد نفذوا ذلك بالفعل، وأصبح كل منهم بموضع يمكنه من الإطلاق دون أن يعود له ذلك بضرر.

وأعطت «مريم» الأمر بالإطلاق، ثم ركضت لتختبئ في مكانٍ ما وتجهز ما عليها لتنفيذ مهتما السحرية.

وهنا المفاجأة للجميع .. مفاجأة وإنقاذ للبشريين الجنوبيين، ومفاجأة وصدمة لكل الآليين.

فعند تلك اللحظة التي قال فيها أحد الجنوبيين بأن يجب قتل «وحيد» و«ماجد»، سمع الجميع صوت إطلاق النيران؛ فنظروا نحو مصدر الصوت فأبصروا تلك المجموعة الثانية من الآليين بقيادة شهاب يسقط منهم روبوت تلو الآخر من الخلف، فنظرت تلك المجموعة خلفها وتفاجأوا بالبشريين الآخرين يطلقون عليهم الرصاص بأسلحةٍ عالمين بها بسبب دراستهم للإنسان، لكنهم لم يتوقعوا أن لا زال هناك أسلحة مثل تلك موجودة حتى الآن.

وفي هذه اللحظة لم يُقتل «وحيد» و«ماجد»، أنقذوهما سكان مدينتهما لقد كانا على حافة الموت.

وهنا بدأ الأمل يعود للجنوبيين مرة أخرى، واستأنفوا قتالهم مع مجموعتهم يقودانهم «وحيد» و«ماجد» في ذلك.

أما المجموعة الثانية من الآليين يتقاتلون مع البشريين الشماليين ذوي الأسلحة النارية؛ فتقهقر «شهاب» وركض نحو آلةٍ من تلك الأسلحة الثقيلة

لاستخدامها وإطلاق شيء مثل الصاروخ نحوهم، إنه صاروخ ليزري مدمر كفيل أن يقتل كل أفراد البشريين الشماليين في لحظة واحدة.

وقبل أن يصل إلى تلك الآلة أو ذلك السلاح، كان أحد الشماليين حمل سلاحًا من نوع آر بي جيه على كتفه، وصوب نحو ذلك السلاح الثقيل وأطلق صاروخه الآر بي جيه؛ فلاحظ «شهاب» ذلك وركض بعيدًا، فنزل الصاروخ على ذلك السلاح ودمره تمامًا ونتج عن ذلك انفجار، ونار، ودخان.

وهنا رأى «شهاب» ستة أشخاصٍ من الشماليين يحملون ذات السلاح، ويصوبون نحو أسلحة الآليين الفتاكة، وأطلقوا صواريخهم نحوهم فتدمر جميع الأسلحة الفتاكة المدمرة الخاصة بالعالم العلوي، وهنا أصبح الطرفان متكافئين من حيث الأسلحة.

ما حدث جعل المجموعة الثانية الخاصة ب «شهاب» يركض أفرادها الآليون ليتواروا خلف أي شيءٍ ليحتموا به، ويبدأ القتال فيما بينهم؛ هؤلاء بأسلحتهم الليزرية، وهؤلاء بأسلحتهم النارية، فتبدل الحظ مرة أخرى لصالح البشريين.

وظلت الملحمة مستمرة على هذا الحال حتى مرور أقل من الساعة؛ فأوشكت الذخيرة لدى البشر على النفاد، واقترب هجوم المجموعة الثالثة مجموعة المرتدين وعليهم أن يستعدوا، ولكن لقد بدأت مجموعة المرتدين القتال بالفعل مع

المجموعة الأخرى بقيادة «ريتاج» أعلى المباني كل منهما بأسلحتهما الليزرية، تتساقط القتلى من الطرفين.

وبالأسفل أيضًا في ميدان الحرب تتساقط القتلى من الطرفين، ولكن أعداد الآليين الساقطين أكثر بكثير.

وهنا انتهت الساعة، ولن تصمد الذخيرة حتى نصف الساعة بعد الساعة.

لقد هدأ البشر، وبدأ يقل وابل الرصاص الصادر منهم ويطلقون من حينٍ لآخر، لا يطلقون حتى يصيبوا روبوتًا؛ ففهم «شهاب» ذلك فصاح بأعلى صوته قائلًا لجنوده:

- لقد أوشكت ذخيرتهم على النفاد.

فبدأت قوات الآليين بالتقدم نحو البشريين الشماليين، وأخذوا في قتل البشر واحدًا تلو الآخر، وعاد النصر للآليين مرة أخرى.

تتساقط القوة البشرية شخصًا تلو الآخر، ومضت الساعة بالفعل وكلا المجموعتين البشريتين تنتظران هجوم المجموعة الثالثة وهم جماعة المرتدين، لا يعلمون أنهم مشغولون بالقتال مع مجموعة «ريتاج»؛ إنهم في أمس الحاجة إليهم وذخيرتهم لن تنقذهم، وقتلاهم في زيادة مستمرة على أيدي «شهاب» ومجموعته.

ظل الصراع قائمًا بين مجموعة المرتدين ومجموعة ريتاج قرابة الساعة؛ تتساقط الروبوتات من الطرفين، ولكن الحظ كان لصالح مجموعة المرتدين بسبب كثرة أعدادهم؛ لأنهم كان معظم قوتهم تتمركز أعلى المباني، مئات كثيرة والمجموعة الأخرى ليس سوى مئات قليلة، بعد صمودٍ دام كثيرًا تمكن المرتدون من قتل كل المجموعة ما عدا «ريتاج» التي هربت بعيدًا، تهرول نحو ميدان المعركة.

استمر القتال في ميدان الملحمة والحظ لصالح الآليين، ولكن .. وفجأة انهالت على الآليين أشعة مثل أشعتهم الليزرية، لقد أتت فجأة من العدم، فنظر جميعهم نحو مصدر تلك الأشعة التي بدأت في تساقط الروبوتات مرة أخرى؛ فوجدوا روبوتات أخرين مثلهم يهجمون نحوهم! كما أن هناك بالأعلى يوجد الكثير منهم؛ فعلم «شهاب» أنهم مثل الذين رآهم بالأسفل في وقت المعركة السابقة، إنهم التابعون ل «سامر»، فصاح «رامز» يحذر الآليين خاصته:

- إنهم المرتدون.

نزلت نصف قوات المرتدين وتقدمت نحو ميدان الحرب، وبدأت الهجوم دون «نوح»؛ لأن «نوح» قد أوصاهم إن لم يأتِ في الوقت المناسب عليهم أن يجمعوا في الميعاد المحدد لهم.

وبدأ الآليون يسقطون قتلى اثنين اثنين؛ إنها قوة مخالفة لما قبلها إنهم يواجهون قوةً مثل قوتهم بأسلحةٍ مثل أسلحتهم.

تنهال عليهم الطلقات الليزرية من كل مكان، حيث احتل المرتدون جميع المنافذ وأيضًا أعلى المباني؛ مما يتيح لهم رؤية أوضح وموضعًا مميزًا يجعلهم في تمركز قوي أقوى من الآليين، فكان الحظ لهم وانحازت الحرب مرة أخرى لصالح البشريين.

يقتل «وحيد» و«ماجد» كل مَن يقابلهما من الآليين، تتكاتف قوات الجنوب وقوات الشمال معًا لانتشال النصر من العالم العلوي.

وظلت المحلمة في أشد وقتها في ذروة أحداثها، الطرفان يتقاتلان وبسبب كثرة أعداد الآليين لكان انتصر البشر منذ وقتٍ رغم أنهم هم من يمسكون دفة الحرب في هذا الوقت.

ولكن الآن أصبحت القوتان متساويتين بسبب كثرة الموتى عند الآليين.

وفي خضم ذلك سأل «رامز» «شهاب»:

- أين المتحالفون؟

أجابه «شهاب»:

- ليس الآن، لا بد وأن يخرجوا كل مفاجآتهم أولًا، ثم نختم بالحرب بنصرنا.

وبعد مرور وقتٍ كاد يكون كافيًا لهزيمة العالم

العلوي أتت لهم المساعدة، ولكن ليسوا المتحالفين مساعدة من نوعٍ آخر لا أحد يتوقعها من الروبوتات.

مساعدة قتلت الكثير من البشر الشماليين من خلفهم! لأنهم أتوا من نفس الاتجاه الذي جاء منه الشماليون بقيادة «مريم»!

إنها «يارا»، رفضت أن تمكث هناك بالشمال، وليس عليها سوى حراسة البشريين الذين يعبدونهم منذ مائة عامٍ، بل اختارت أن يكون لها دورٌ في هذه الملحمة، لقد أتت بعشرات الروبوتات ومعها آلة من تلك الآلات التي من نوع السلاح الثقيل مثل تلك التي تم تدميرها من قِبَل الشماليين بسلاح الآر بي جيه.

فهرول نحوها «شهاب» سريعًا، وأخذ هذه الآلة وجرها في موضعٍ بمنتصف الملحمة وركبها سريعًا، وها هو سيضرب ضربته التي كان من المفترض أن يضربها منذ وقت.

لقد جهّز السلاح .. واستعد للإطلاق.

***

اختبأت «مريم» في مكانٍ ما بالجوار، انحنت لتقف على ركبتيها، رسمت النجمة على الأرض، وأحضرت الشموع المشتعلة ووضعتها على مواضع مختلفة من النجمة لتملأ الفراغات، ثم أتت بما هو جديد؛ لقد أحضرت الكتاب .. كتاب «شمس المعارف»، وبدأت تقرأ بما يحتويه هذا الكتاب، وشرعت تحرك

شفتيها تهمس بأشياءِ غير مفهومة، لقد كان كلامًا كالطلاسم؛ إنها في خضم العمل لتستعد لتنفيذ مهمتها، ثم أغلقت عينيها.

***

قبل ذلك بقليلٍ:

وصلت إلى مقر السجن السفلي حيث زجّوا به خالي، وترجلت من المركبة ثم دلفت بداخل المكان حيث يقف أربعة حراس تابعين للمسئولين، وحين أبصروني اقتربوا نحوي وسألوا عن هويتي؛ فأخبرتهم أنني المدعو آدم الذي حُكِم عليه بالإعدام، فاندهشوا مما أفعله، فأي أحمق يسلم نفسه للموت! ثم قال أحدهم للآخرين أن يتحفظوا علَيَّ داخل السجن حتى يذهب آخر ليبلغ المسئولين؛ فقبضوا علَيَّ وأدخلوني السجن بالأسفل.

رأيت خالي بداخل الزنزانة التي تشبه القبر، شاهدته منكسرًا منهزمًا لا قوة له، يشغل تفكيره في تلك الحرب المشتعلة بالأعلى؛ فرفع نظره نحوي ورآني فجحظت عيناه؛ لأنه ظن أنهم قبضوا علَيَّ دون إرادتي لينفذوا حكمهم! لكنه لا يعرف أنني دخلت إلى هذه الزنزانة بإرادتي لكي أنقذه، فسألني:

- كيف عثروا عليكَ؟

أجبته:

- لقد سلمت نفسي.

فتحولت ملامحه من الاندهاش إلى الهدوء؛ لأنه ببساطة فهم اللعبة، ثم جلسنا معًا بداخل الزنزانة ونظر في عيناي ولاحظ شيئًا بي فسألني:

- ما بك؟ وجهك شاحب؟

أجبته:

- أشعر بالقلق على أختي.

سأل متعجبًا:

- ألم تخبرنا بأن «سارة» تعلمت الكثير في تلك السنوات الخمس؟

أجبته:

- نعم، كما أنني أثق بقدراتها ولكن ..

ولكن السفر عبر الزمن له مخاطره؛

لقد قرأت الكثير عنه في الماضي، وأعرف أن هناك ما يسمى بالثقوب السوداء، ولا بد لكي يصلا إلى زمكان آخر ألا يمران عبر نقطة الانسحاق فتهلك، وإن نجحتا في ذلك فهناك شيئان أخران خطيران؛ أن تتدمر السفينة عند وصولهما فيعلقا في زمنٍ آخر، ولن يعرفا كيف يعودان أو ..

ثم صمت لحظات، فسألني:

- أو ماذا؟

أجبته:

- أو يلقي بهما الدوار الموجود في الثقب الأسود إلى زمكان أخر في كون آخر غير كوننا هذا!

وهنا ظهر الخوف والفزع على وجه خالي، وجاهد محاولًا أن يطمئن نفسي ويهدئ من روعي، ولكن في الحقيقة أنه خائف كل الخوف على ابنة المرحومة أخته، ثم غيّر مسار الحوار وسألني:

- لم تخبرني هل أقنعتَ أيوب؟

نظرت للأسفل نحو الأرض وقلت له في أسفٍ:

- لم أجده.

ثم أحدت نظري له وأردفت:

- إنه السبب فيما نحن فيه الآن؛ حيث أرى أنه أراد أن يقلب مسئولين المدينة علينا، والسبب في ذلك كما نتوقع جميعًا.

فقطع خالي حديثي وأكمل هو:

- أن يسيطر على جميع مدن أرض الظلام.

أومأت له في أسفٍ بنعم، وبعد انتهاء حوارنا ذهب اثنان من الأربعة ليبلغا المسئولين بأنني سلمت نفسي، فعمزت لخالي وقلت له:

- لقد حان الوقت.

فنهضنا ثم اقتربت نحو باب الزنزانة الكائن أعلانا، وأمسكت باثنين من القضبان وأزحتهما لأبعدهما عن بعضهما؛ مما أتيح لمسافة تكفي لمرور شخصٍ.

خرجنا في خلسة من بين قضبان باب الزنزانة، ودنوت إلى الحارسين الموجودين، وتملكهما الذهول حين أبصراني وخالي خارج السجن السفلي، فقلت لهما دون مقدماتٍ:

- أتركانا وارحلا .. وإلا ستندمان.

فشرع أحدهما يخرج تلك العصا القصيرة التي تم ربطها ببنطاله؛ فأسرعت ووجهت له ضربة بكفٍ مفتوح على صدره فدفعته للأمام فسقط أرضًا بعد أن أطحت به مسافة مترين؛ فخاف الآخر ولاذ بالفرار ثم فقد الأول وعيه.

خرجنا للخارج ووصلنا حيث توجد المركبة، صعدت وخالي عليها ثم توليت القيادة واتجهت نحو الحدود الشمالية حيث الفجوة، وبعد ساعة بلغت وجهتي وصعدنا بالمركبة ببساطة؛ لأن لم يعد هناك فجوة مغلقة ومؤمنة بل فجوة فقط ينبعث منها ضوء الشمس بالأعلى لتصل إلى أرض الظلام بالأسفل.

أصبحنا بالأعلى وتقدمنا كثيرًا لنأخذ الطريق الذي يؤدي بنا إلى الشرق، وأثناء طريقنا رأيت تلك الروبوت التي لا أزال حتى الآن أمدح في جمالها لا أنساها إنها بالطبع يارا؛ فتوقفت لحظات لأترقب دون أن تراني، فأبصرتها تركض نحو تلك المركبات وبرفقتها الكثير من الروبوتات الآخرين يصعدون المركبات، ثم أخذت في طريقها شيئًا آخر يبدو كآلةٍ

أو سلاحٍ ثقيل وجرته معها، فقال خالي خلفي على المركبة:

- هذا لا يبشر بخيرٍ.

ضيقت عيني وقلت لخالي بعد تفكيرٍ:

- أريد أن أفعل شيئًا آخر قبل أن أذهب إلى ميدان الحرب.

سألني:

- ما هو؟

أجبته:

- ستعرف.

واستأنفت القيادة بعد أن ذهبت يارا ومَن معها نحو الشرق فتوارت عن أنظاري، ووصلت إلى ذلك المكان الذي خرجت منه يارا، ثم ترجلنا ودلفنا إلى داخل هذا المبنى وفتحت بابًا بعد آخر كأننا في متاهة، وأخيرًا سمعت ضوضاء فتبعنا ذلك الصوت حتى وصلنا؛ فرأينا أمامنا ستة حراس من الآليين ممسكين بتلك الأسلحة الخاصة بالأشعة الليزرية، قد تركتهم «يارا» خلفها ليحموا هذا المكان الذي يحوي بما أفكر به؛ فأخبرت خالي بسرعة أن يقلّد طريقة الروبوت، وفعلنا ذلك لكي يروننا كأننا مثلهم دون أن نفعل شيئًا مريبًا يجعلهم يستخدمون خاصيتهم فيعلمون أننا بشر، فأخذنا نقترب نحوهم حتى وصلنا، وبسرعة فائقة وقبل أن يعلما بشيءٍ

ضربت اثنين منهم بيديّ الاثنيتن من تحت الذقن ثم وجهت ضربتاي بالأعلى، فاقتلعت رأسيهما في الحال فأسرع خالي وخطف من أحد هذين الاثنين سلاحه واحتمى خلف جسده الواقف الثابت، وقبل أن يضغط الروبوت الثالث على زناده كان قد صوّب خالي نحوه الأشعة نحو رأسه فسقط في الحال، وفي هذه اللحظة التي فعل فيها خالي كنت قد أخذت السلاح الآخر من الروبوت الآخر، واحتميت خلف جسده الكائن وصوبته نحو رأس الروبوت الرابع فسقط ولم يتبقَ سوى اثنين، ولكنهما كان لديهم الوقت ليستعدا ويصوبا سلاحيهما نحونا، فكانت طلاقتهما الليزرية نحونا ولكن كانت تجد مكانها في صدر الروبوتين اللذين نحتمي خلفهما، فأطلقنا نحن بدورنا طلقاتنا نحوه رأسيهما وأصبنا الهدف فسقطا.

لقد تخلصنا من الآليين الست، ثم رأينا أمامنا تلك البوابة الكبيرة الصامدة التي يوجد بخلفها شيء مهم؛ فذهبت نحوها لأفتحها آملًا أن أجد ما أفكر فيه، وذهبت نحو حجرة التحكم وقصدت جهاز كمبيوتر، وبعد دقائق من محاولتي في اختراق قفل الباب الإلكتروني نجحت في فتحه، بل فيه فتح جميع الأبواب التي كانت بالجوار؛ فهرولت وخالي إلى البوابة ودفعناها للأمام لنفتحها، ففتحناها حتى مصراعيها، ثم تمكلنا الذهول فقلت إلى خالي:

- الآن بتَّ تعلم ما هو الشيء الذي كنت أفكر فيه؛

إنهم آلاف من البشر في مقدمتهم «موسى».

وبدون أي مقدماتٍ قال لي «موسى»:

- نريد أن نحارب معكم .

دنا منه خالي وربّت على كتفه وقال له:

- إنها ليست حربكم، لقد حاربتم بالفعل منذ سنواتٍ طويلة بسجنهم هنا، ثم إنكم غير مؤهلين لمثل هذه الحروب.

فقال «موسى» مشيرًا إلَيّ:

- لقد فعل «آدم» الكثير لأجلنا، إنه الوحيد الذي آمَن بوجودنا بالأعلى، كما أننا جميعنا نؤمن به وهذا أقل ما يمكن فعله، وإن كنا غير مؤهلين فنموت نتيجةً لذلك؛ فالحياة هنا أشبه بالموت ولكن موتنا في سبيل حرب البقاء يجعل منا أشخاصًا ذوي قيمة، لا أن تكون قيمتنا في أن نكون سببًا في زيادة الآليين.

وهنا أوجدت نفسي في الحوار قائلًا:

- لكنكم ستحاربون دون أسلحة.

ابتسم «موسي» وقال في فخرٍ:

- بل سنحارب بمثل أسلحتهم.

فتبادلت النظرات وخالي، فأردف «موسى»:

- هناك حجرة بالخارج مليئة بالأسلحة الليزرية.

بثُ هذا الأمل بداخلنا، ثم خرجت وخالي وكل مَن كان قادرًا على حمل السلاح ويحارب به، وبقي النساء والأطفال وكبار السن.

توجهنا نحو مخزن الأسلحة الخاصة بهم وكان موسى مرشدنا، فعقّب الأخير بأن ذلك المخزن مغلق بشيفراتهم، فرددت له تلك الابتسامة وأخبرته في ذات الفخر بأن كل الحجرات تم فتحها بالفعل.

وصلنا إلى تلك الحجرة ودلفنا بداخلها، لقد كانت ملئية بالفعل بأسلحتهم المدمرة؛ فأخذ كل بشري سيحارب ما يستطيع حمله من أسلحة وخرجنا للخارج، لقد كانوا يتبعونني ممتثلين لأوامري كأنني قائدهم، وجدت ذلك في نظراتهم إلَيّ.

لقد فعلت أشياءً كثيرة جيدة في حياتي.تجعلني أشعر بالفخر تجاه ذاتي، لكن هذه اللحظة مختلفة؛ فلم أشعر بمثل هذا الفخر من قبل.

وهنا صحت بأعلى صوتٍ أملكه قائلًا:

- سنأخذ مركباتهم الكائنة بالخارج لنتجه بها نحو الشرق، حيث الحرب، سنشق طريقنا إلى الانتصار .. إلى البقاء .. سنحارب من أجل البقاء.

فرددوا حين انتهيت:

- من أجل البقاء .. من أجل البقاء .. من أجل البقاء.

وهنا علمت أن هذه المهمة هي مهمتي من البداية، أن أنقذ هؤلاء البشر لطالما آمنت بهم منذ وقتٍ

مضى وأقودهم إلى الحرب، يا له من حدثٍ يحدث أمامنا! ويا له من تحالف يجعلك تشعر بالتكاتف والأمان والمحبة! فهناك جنوبية تقود الشماليين، وهناك شماليان يقودان الجنوبيين، وهنا الصاعد الحر الطليق منذ ولادته يقود مَن وجد نفسه في أول لحظة له في الدنيا مسجونًا.

خرجنا للخارج حيث تهوّلوا بما يرونه أمامهم؛ إنها أول مرة ينظرون أمامهم إلى أشياءٍ لم يروها من قبل، إنه نفس الولع بالمباني المرتفعة، بالأشجار، بالسماء، بالشمس، بالهواء، بالفراغ الشاسع.

لاحظت ذلك محفورًا على وجوههم، فقلت لهم:

- انظروا واشبعوا عيونكم، إنها الشمس التي هي السبب في فكرتنا في العودة، إنه الهواء الذي نستحق أن نستنشقه، إنها السماء المخفية عن أنظارنا فلا نرى صفاء زرقتها، إنه الزرع والخضرة التي أفضل بكثيرٍ مِن تلك بالأسفل. انظروا، هذا هو مستقبلكم، ومستقبل أطفالكم، هذا ملكنا ويجب أن نعيده. انظروا .. إنها الحياة.

هتفوا جميعًا، جعلت الحماس يزداد بداخلهم، فكانت رغبتهم في حياة أفضل من السابقة هي ما تحركهم.

توجهنا إلى المكان حيث توجد مركباتهم وصعد الجميع، وكنت وخالي في مقدمتهم بذات المركبة، وجميعنا هتفنا في حماسٍ:

- من أجل البقاء.

لقد توجهنا بأسرع ما نملك نحو الشرق، حيث الحرب، والبحر، والبشريين والآليين نرى أمامنا على بعد أمتارٍ كثيرة يارا تقود العشرات من الآليين بالمركبات ومعها ذلك السلاح الثقيل.

لقد وصلوا قبلنا ونحن على بعد أمتارٍ خلفهم؛ فلمحت روبوتًا يهرول نحو «يارا» بل نحو السلاح الثقيل الذي معها على مركبتها، وبدا لي أنه «شهاب».

وبعد أن اقتربنا نحوهم أكثر، تأكدتُ أنه هو يهيئ ذلك السلاح ويوجهه نحو البشريين وهو على أتم الاستعداد ليطلق طلقته.

***

لا زالت «مريم» تفعل ما تفعله من تحضير الدخان الأسود مستخدمةً كتابها وتلك الرسمة على الأرض، وترسم بداخلها حروفًا غريبةً لا أحد يفهمها سواها، ولا زالت مغلقة العينين مستمرة في قول طلاسمها.

***

للأسف لقد أطلق «شهاب» ضربته، إنه سلاح مدمر بكل ما تحمله الكلمة من معنى! لقد أصدرت تلك الآلة حزمة أشعة ليزرية كبيرة، ثم انبثقت بعد خروجها بثانية واحدة كإنها قنبلة من تلك القنابل التي كان يستخدمونها بشر الزمن القديم! ولكن

تمدد انبثاقها حتى تطايرت الأشعة في شكلٍ دائري في الفراغ لمسافة عشرة أمتار، فأخذت معها كل ما كان في طريقها، لقد دمرت مبنى وسقطت حطامه على الكثير من البشر! كما فجرت بشريين بالفعل في مكانهم، وفككت أعدادًا كثيرة من المرتدين التابعين ل «نوح» وأيضًا الآليين.

ففي هذه اللحظة التي وصلت فيها لميدان الملحمة كانت السيطرة لصالح العالم العلوي؛ فما رأيته يوحي بهزيمتنا دون أدنى شك، إنها طلقة واحدة فعلت كل هذا، ماذا لو كان عدة طلقات؟! ماذا لو كان هناك أسلحة غيره؟! سنكون موتى في ثوانٍ معدودة، ولن يبقى واحدٌ منا ليشهد على هذه الهزيمة.

لقد كان مشهدًا مفجعًا وموجعًا وأحزنني جدًا، وما زاد من حزني هو أن هناك مَن كان قريبًا من تلك القنبلة الليزرية «ماجد» و«وحيد»، لقد لمحت طيفهما وهما بالجوار يساندان بعضهما، وما إن شاهدا «شهاب» فركضا ليحتميا ولكن الآن لم أعد أراهما!!

لقد نزلنا جميعنا من مركباتنا وركضنا قاصدين هؤلاء الملاعين، وأطلقنا طلقاتنا الليزية وأسقطنا الكثير منهم في آنٍ واحد.

لم يتوقع «شهاب» وكل العالم العلوي ذلك، لم يتوقعوا أن البشر الذين يتحفظون عليهم منذ

سنواتٍ عديدة سيأتي عليهم يومٌ ويمكسون أسلحتهم ويحاربونهم.

وهنا أسرع «شهاب» ليهيئ السلاح مرة أخرى موجهه نحونا، نحو القوة التي أتت بالمساعدة للبشر؛ فقطع ذلك حزني الذي أنتظره لكي أستخدم قوتي الخارقة؛ لأن يبدو أن هذا السلاح به أكثر من طلقة، فدب الخوف بداخلي وفكرت في أن لو نفذ ضربة أخرى مثل تلك فلن نستطيع الصمود، وسنُهزم بكل تأكيدٍ.

أسرعت وتوجهت نحو «شهاب» بكل سرعتي؛ فأبصرني «شهاب» وقال:

- أنتَ مرة ثالثة، لن أتركك.

وقبل أن يفعل شيئًا، جعلت جسدي يصطدم بتلك الآلة، فاهتزت مما نتج أن يهتز «شهاب» ويختل توازنه وأقطع عليه ما كان يفعله، ثم أمسكت بكلتا يداي هذه الآلة التي كانت ثقيلة بعض الشيء ورفعتها قليلًا عن الأرض لمسافة كافية لأن أقلبها الناحية الأخرى، فانتكس السلاح على جنبه أرضًا.

ثم سمعت شخصًا ما يناديني، إنه صوت مألوف، نظرت فوجدت خالي حاملًا سلاح الآر بي جيه؛ فركضت بعيدًا لينفذ الأخير ضربته، وبالفعل حدث ذلك ولكن هذا جلعني أفقد مكان «شهاب»؛ فغضبت قليلًا لأنني أتوق جدًا لأفكك أجزاءه.

ما زالت السيطرة لصالح الآليين؛ لأن لا زال البشر

يلملمون شتاتهم حيث هناك الحزين، الجريح، وأيضًا هناك الذي يصمد حتى النهاية كما بالمثل لدى المرتدين.

إننا في أمس الحاجة لبقية خطتنا، هناك أشياء مفقودة؛ فنوح ليس موجودًا، كما أن هذا هو الوقت المناسب الذي من المفترض أن أرى الدخان الأسود يقبض على تقنياتهم لتقف دوائرهم الإلكترونية فيسقطون كالجماد، لا بد وأن تعلم «مريم» أن هذا هو الوقت لتهب علينا بسحرها.

إن فعلت ذلك ستنقذنا جميعًا، ستنهي هذه الملحمة في دقائق، ستوقف تقنياتهم جميعًا.

أمسكت بسلاحٍ من الأسلحة الليزرية، وشرعت أقتل كل مَن يقابلني في طريقي من الآليين، أسقط روبوتًا تلو الآخر دون رحمة دون شفقة، لا أشعر تجاههم بأي شيءٍ، لا أراهم سوى جمادٍ يتحرك بتنقياتٍ اخترعها البشر، لولا وجودنا ما وُجِدَ آليون، وإن أسقط أحدهم مني سلاحي فأستخدم قوتي الخاصة، لا أنسى أن بداخلي فولاذًا بديلًا عن عظامي، فضربة من ذراعي تكفي لتقتلع رأس أحدهم فتتفكك أجزاءه، أو ركلة بقدمي تلقي به لمسافة الثلاثة أمتار، كما يفعلون هم في البشر حاليًا.

وأثناء ذلك أنظر حولي إلى جميع الاتجاهات، أبحث هنا وهناك عن صديقاي الذين لم أعد أراهما

منذ القنبلة التي فجرها «شهاب».

وبعد حينٍ وجدتهما ملقيين بجراحهما، ولكن أحمدُ ربي على أنهما على قيد الحياة، لقد احتميا بالفعل مما فعلته تلك القنبلة، ولكن تركت فيهم جراحًا ليست بالغة. فدنوت منهما وساعدتهما على النهوض، وأعطيتهم من الحماس والتحفيز ما يكفي لأن يصمدان، ثم رحبا بعودتي إليهما.

اقترب نحونا خالي ولملمنا شملنا نحن الأربعة، فشعر كلٌ منا بالأمان وأنه وسط عائلته؛ فتكاتفنا وأخذنا نضرب بيدٍ من حديد كل من يقترب نحونا من الآليين، ثم أتبعنا موسى في ذلك وظلت خماسيتنا نجاهد ونعافر من أجل البقاء حتى بعد حينٍ شعر جميع البشر بالإنهاك.

لقد أبصرتهم جميعًا، أضرب الآلي تارةً وأنظر بنظرة الشفقة على بني جنسي تارة، إن الآليين لا ينتهون أبدًا؛ إنهم متفوقون علينا في العدد، وهذا بفعل تلك القنبلة لقد قضت على الكثير منا.

أما بعد، نفدت ذخيرة الجميع بشر وآليون، تحولت الملحمة إلى الاشتباك بالأيدي، وهذا ما سيتفقون فيه علينا إنهم أسرع وأوقى منا.

كما أن الأربعة من خماسيتنا شعروا بالإنهاك الشديد، ليس سواي لا يزال يحتفظ بقواه حتى لاحظت انكسار ركبتي موسى نتيجة التعب الشاق، وتبعه في ذلك خالي ثم ماجد وأخيرًا وحيد؛ لقد

ظهر على ملامحهم أنهم يتقبلون الهزيمة.

وظل صمودنا رغم إنهاكنا حتى تمكن أحد الروبوتات من قتل موسى؛ فسقط ميتًا بعد أن نظر لنا كأنه يوصينا على جماعته هؤلاء البشر الذين قدتهم إلى الحرب، فنقصت دائرتنا الخماسية فردًا.

لقد صرخت غاضبًا ساخطًا عليهم حزينًا على الشخص الذي آمن بي، الشخص الذي عاش حياته كلها مؤمنًا بحُلمٍ يريد أن يتحول إلى حقيقة، وبفضل مثابرته تحقق حُلمه، ولكنه يموت قبل أن يعيش حياةً أخرى كريمةً بالعالم العلوي، كأنه عاش لغيره من البشر وليس لذاته، أخذت أفكر في ذلك حتى قطع ذلك ما لاحظته.

فلاحظت أن أحدهم أمسك ذراع خالي وقبض عليه قبضةً غاشمةً، ثم رفع يده الأخرى لينزل بها ضاربًا خالي في جبهته!

وقبل أن ينفذ ضربته المميتة كنت تلقيتها بكفي الأيسر حيث الأيمن يعافر مع روبوتٍ آخر؛ فزاد غضبي في هذه اللحظة لأن أحدهم كان قريبًا جدًا ليتمكن من خالي، فقبضت على هذين الآليين بقبضتين غاشمتين وقربتهما نحو بعضهما؛ لأجعلهما يصطدمان مستخدمًا في ذلك كل قوتي فأخذا في الإبطال، فوجهت في الحال ضربتين أخرتين على رأسيهما فتعطلا وسقطا أرضًا.

فقال «وحيد»:

- نحن بحاجةٍ إلى قوتك الخارقة.

فأتبعه «ماجد»:

- نعم، نحن على أبواب الهزيمة.

فأجبتهما:

- إنها قوة خرقاء وليس خارقة تأتي حين أحزن ثم أغضب، وأنا الآن غاضبٌ فقط يا لها من سخافة!!

وقبل أن يتحدث أحدنا بشيءٍ آخر، أبصرنا جميعًا أن الروبوتات الذين كانوا يحاصرونا تم إسقاطهم جميعًا بطلقاتٍ نارية مثل تلك التي كانت مع الشماليين، فنظرنا نحونا ثم أحدنا بنظرنا نحو الشرق، فوجدنا البحر لكنه مختلفٌ هذه المرة.

لقد كان بحرًا يحمل على أمواجه سبع سفن كبيرة مليئة بأناس لا نعرف ماهيتهم! هل هم آليون أم بشر؟ ولكن كل ما نعرفه أن هذه السفن تحمل أشخاصًا في صفنا في تلك الحرب، وفي مقدمتهم مثال الثقة الشخص الذي بث أثق به أكثر من أي أحدٍ آخر، الشخص الذي سيصبح صديقي الثالث إذا انتصرنا .. إنه نوح يقود تلك السفن.

وانتظرنا حتى اقترب الأخير وكل مَن معه؛ فوجدنا أنهم بشرٌ مثلنا، اندهشنا جميعًا ثم نظرت إلى خالي بنظرةٍ تملك الكثير من الفخر وقلت له:

- إنها العوالم الأخرى، أتتذكر؟

ابتسم خالي وقال في فخرٍ وليست هزيمة كما

توقعت:

- إنني فخورٌ بِك.

ثم تابعت ناظرًا نحو تلك السفن:

- لا ينقصنا سوى «مريم» فتنتهي تلك الحرب بنصرنا، لقد قلّت أعدادنا، ولن يكون هناك مَن يكفي لتحقيق البقاء.

ثم أحدت بنظري نحو الجهة الأخرى، فوجدت «شهاب» ناظرًا نحو تلك السفن وبجواره «رامز»، كم أريد أن أصفهما أنهما خائفان! لكن أستطيع أن أصفهما أنهما يعرفان أنها النهاية .. إنها الهزيمة المحتمة للعالم العلوي.

ثم عدت أنظر إلى البحر، فوجدت «نوح» نزل من السفينة ونزل معه كل مَن كان برفقته، يتجهون وبسرعة بقيادة «نوح» نحونا .. نحو الحرب .. نحو إنقاذنا.

فعادت الكفة مزة أخرى تنزل لصالح العالم السفلي.

***

وصلت «مريم» إلى اللحظة الحاسمة؛ بدأت تُحضر كل دخانٍ ناتجًا من جميع المباني ومن أي مصدرٍ يصدر دخانًا مثل الانفجارات التي حدثت أثناء الملحمة، أو حريق، أو نار تشتعل في الميدان وكأنها تنادي على هذه الأدخنة، كما أن لونها بدأ يتحول إلى الأسود القاتم.

ولكن فجأة وبدون مقدماتٍ فتحت عينيها حتى آخرهما نتيجةً شعورها بحركةٍ بجوارها، وقبل أن تلتفت لترى ما أو مَن كان كانت قد تلقَت على جبهتها ضربةً قويةً جعلتها ترتطم بالأرض، وهنا أبصرت مَن فعل ذلك، أو مَن فعلت ذلك .. إنها «ريتاج»!! لكن مريم لا تعرفها.

وقبل أن تستعيد «مريم» نفسها كانت قد تلقَت بأيديها الاثنتين ضربة أخرى، ولكن هذه المرة تلقَتها وهي عالمة بذلك، لقد تلقتها لا كضحية .. بل كمدافعة.

لقد صدت «مريم» هذه الضربة الثانية بكلتا اليدين مطروحةً أرضًا و«ريتاج» تعلوها، فقالت الأخيرة:

- أنا «ريتاج»، ولا أحد تجرأ ليفعل ذلك.

ردت «مريم»:

- هل أنتِ «ريتاج»؟! يقولون أنني أشبهك في هذه الجرأة، إنهم محقون في ذلك، ولكن أتعرفين في ماذا نختلف؟

إنني من خلق الله، إنما أنتِ من خلق البشر.

قالت «ريتاج»:

- أنتم أغبياء، سنفوز بهذه الحرب، ولن تبقى لكم بقية، ستنقرضون وسأشهد على ذلك.

ردت «مريم»:

- سنرى.

وبالكاد دفعت «مريم» «ريتاج» عنها، فنهضت الاثنتان والتحمتا لتقتل إحداهما الأخرى.

ولكن لم تستطع «مريم» المقاومة والصمود أمامها؛ فإن الآلية أقوى بكثيرٍ، فتلقت الأولى عدة ضرباتٍ على جبهتها فسقطت على الأرض، وظلت «ريتاج» واقفةً صامدةً حيث قالت:

- إنني مَن يرى الآن.

ثم غادرتها و«مريم» ملقاة أرضًا مقفلة العينين، ينسال الدم من رأسها!!

اقترب نحونا «نوح» وعبر لنا باعتذاره عن التأخير كما فسّر لنا سبب ذلك؛ لقد فكر أن يكون هناك عوالم أخرى من البشر قد يتواجدون في أماكن أخرى غيرهذه المنطقة التي تتكون من أربعة أجزاء.

أصبحنا خماسية مرة أخرى بانضمام «نوح» لنا، وتكاتفنا لنكون دائرة خماسية تتكون من خالي، و«ماجد»، و«وحيد»، و«نوح»، وأنا ونتصدى لكل روبوت يحاول أن يقترب نحونا.

بدون شكٍ قلّ عددنا عما بدأنا به الحرب كما قلّ عددهم أيضًا، فمنذ دقائق كانوا يتفوقون في ذلك، ولكن بفضل الألف شخص الذين أتى بهم «نوح» في السفن السبع، كما أنهم أسقطوا الكثير من الآليين وهذا أيضًا بفضل أنهم الجماعة الوحيدة التي تمتك

سلاح في هذا الآوان؛ فنتج عن ذلك توازن الأعداد فتساوى عددنا بعددهم.

ورغم ضعفهم هذا ووسط تفوقنا عليهم إلا أنهم استطاعوا أن يقتلوا منا بعض البشر والمرتدين، وجماعة السفن قُتِل منهم عددٌ ليس بقليل، كما أننا أسقطنا الكثير منهم.

الجميع يحارب، الجميع يعافر، الجميع يواصل الصمود، جميعنا نريد الحفاظ على بني البشر، جميعنا نحارب من أجل البقاء، جميعنا نريد أن نشق هذا الطريق الصعب الذي سيصل بنا إلى الانتصار.

ووسط إنهاك الجميع سواء البشر أو الآليين حدث شيءٌ لم يخطر ببال أحد، إنه حدثٌ لم ولن يتوقعه واحدٌ منا.

هذا الحدث الذي سيقلب الملحمة رأسًا على عقب، الحدث الذي جعلنا جميعنا ننظر بعيونٍ جاحظة لا نريد أن نصدق ما نراه.

لقد تحقق ما جلعنا متسمرين مكاننا في منتهى الرعب، لقد وقع ما كنت أخشاه، لقد تمَّ ما وضعته في حسباني لكنني لم أتوقعه أن يحدث في هذه اللحظة، وماذا أيضًا يكون ضدنا معهم؟

إنه «أيوب» .. لكنه أيوب مختلف؛ إننا ننظر إليه في مستوى أعلى من مستوى نظرنا، إنه يتفوق على الجميع هنا سواء آليين أو بشر، حيث اعتلى ما كنت أتوقعه .. الآلة المقاتلة!!

لقد أتمَّ مشروعه المدمر، وأصبح لديه ما يقرب من مائة آلة مقاتلة يعتليها مائة شخصٍ يقتربون نحونا ويقتلون كل مَن يقابلهم من البشريين، بالإضافة إلى ما يقرب من ألف شخصٍ آخرين يركضون على أقداهم من سكان مدينة المعترضين والمتهورين، كما منهم من مدينة المجانين أولئك الذين انضموا إلى صفوفه قبيل المعركة السابقة (فاروق والأحدب) يمسكون بأسلحة ليزرية مثل تلك الخاصة بالعالم العلوي.

غضبت .. غضبت جدًا، ما كنت أتوقع ذلك في الحقيقة؛ لقد توقعت أن يقلب مدن العالم السفلي على بعضهم البعض، أو يتركنا هنا دون مساعدة من مدينتيه؛ لكي يستلم مدن أرض الظلام بجراحها عقب انتهاء الحرب؛ فيفرض سيطرته على العالم السفلي أجمع!! لكن لم أتوقع أبدًا أن يتحالف مع العالم العلوي، يتكاتف معهم ضد بني جنسه يا له من حقيرٍ خائن!!

لا زلنا متسمرين مكاننا حتى «نوح» الذي لم يشعر خُيّل لي إنه لا يصدق ما يراه، لا زلنا ننظر إلى حلفائنا الذين يموتون أمام أعيننا دون أن نستطيع المساعدة.

إنهم يقتربون ويقتلون وليس هناك أحد يستطيع مواجهة تلك الآلات المقاتلة المدمرة، إنهم يصعدون فيها كأنها مركبة جاعلين أدمغتهم البشرية متصلة

بتلك الآلة عن طريق أذرع؛ فتستلم الآلة الأمر من المخ البشري فتنفذه تلك الآلة، طول الآلة ضعف طول الإنسان العادي تقريبًا، إنها حوالي ثلاثة أمتار، وأضخم من حجم الإنسان الطبيعي حيث تبلغ الضعف أيضًا، لها ذراعان، وساقان، ورأس مثل الإنسان، وتجويف عند الصدر يجلس بداخله صاحب الآلة.

إنني أراها كالوحوش أمامي ليس هناك ما يستطيع أن يوقفها، كما أرى أولئك البشريين العاديين أتباعه يقتلون بني جنسهم!

لقد اقتربوا وأصبحوا بمواجهتنا، لا يبعدون عنا أكثر من عشرة أمتار، في مقدمتهم أيوب يضحك ساخرًا فخرًا منتصرًا حيث جالس أعلى آلته البشرية المقاتلة، وبجواره على أقدامه ينضم له «شهاب»، ومن الناحية الأخرى «رامز»، ثم تأتي «ريتاج» وبرفقتها «يارا» ويقفون خماسيتهم في مواجهة خماسيتنا، ولكنهم أعظم في القوة، وأشرس في العنف، وأكثر في الصلابة، ليس هناك أدنى تكافؤ بيننا.

«وحيد» و«ماجد» يحاولان الصمود بجراحهما، وخالي أكبرنا في العمر، ليس سوى أنا و«نوح» الشخصين الذين لا يزالان يحتفظان بقوتهما.

لقد انكسرت ركبتيّ، ليس من تلك الضربة التي تلقيتها من أحد الروبوتات، ولكن انكسرت بسبب ما

أراه، بسبب ما أشعر به الآن، بسبب رؤيتي للهزيمة، بسبب محق أمنيتي التي أتمناها .. العودة إلى عالمنا الأصلي.

شعرت بالحزن بل بالحزن الشديد؛ إنها اللحظة التي شعرت فيها بالفعل بضعفي الذي أخبئه دومًا، حزنت على كل مَن مات من البشر في سبيل بقاء بني جنسه، حزنت على هذا المشهد الذي أراه، حزنت على أن البشر يتقاتلون فيما بينهم ويقتلون بعضهم البعض.

كيف تحولت الحرب إلى ذلك؟ كيف تبدل المفروض؟ أليست هذه الحرب يكون فيها البشر في مواجهة الآليين؟ كيف نواجه بعضنا ونقتل بعضنا البعض؟!

لقد تبدل كل شيء؛ إنها ليست حرب آليين ضد بشريين بهدف بقاء البشر، فهناك آليون انضموا لنا، وهناك بشر انضموا لهم، لقد أصبحت حرب الضعفاء ضد الأقوياء، حرب مَن يريد البقاء ضد مَن يريد السيطرة، حرب الخير ضد الشر.

فانكسرت ركبتي الثانية، وبالكاد أسمع خالي يحثني على النهوض، و»نوح» يحاول أن يساعدني، ثم نزلت الدموع دون إرادتي؛ لقد أبصرني الجميع أنني حزنت حزنت جدًا لدرجة الدموع؛ ففهم كل مَن يعرفني ما الآتي، حتى شهاب الذي كان يضحك منذ دقائق ألمحه يتقهقر؛ لأن ما يراه الآن قد رآه مِن قبل

وهرب منه ونتيجته كانت وخيمة.

لقد تراجع الكل خلفي، حتى بعدوا عني لمسافة أمتار ما عدا مَن لا يعرفني مثل: «ريتاج»، و«يارا»، و«رامز»، و«أيوب» الذي لم يهتز بداخله ولو بنسبة منعدمة.

ثم غضبت .. وغضبت .. حتى ...

حتى انفجرت، خرج كل هذا الغضب في صرخةٍ قويةٍ جدًا بثّت الخوف في القلوب.

ولكن ..

ولكن لا شيء!

لا دمار .. لا هدم .. لا تلاشي لكل ما ومَن كان أمامي ... لا شيء سوى ألا شيء حدث!!

أين قوتي الخارقة؟ أي قوة خارقة حمقاء هذه؟ تخونني في أشد الحاجة إليها؟!

ثم دب الخوف أكثر في قلب خالي، ووحيد، وماجد، حتى «نوح» كأنه شعر بالأسف؛ تعجبوا وتملكهم الأسى والحزن، لقد كانوا يعتمدون علَيَّ وعلى قوتي بلا شك، ولكنني خذلت الجميع.

فسمعت «نوح» يقول لي:

- يبدو أن قوتك تريد الظلام.

لم أكترث لما قال «نوح»، لكن سمعت تلك الضحكة الساخرة العالية ل «أيوب»، وشاهدت تقدم شهاب

مرة أخرى، وثبات «يارا» و«رامز»، وقول «ريتاج» لنا:

- مصيركم مثل مصير تلك الساحرة الميتة.

جحظت عيناي، وارتفع مستوى الأدرينالين، وتدفق الدم في عروقي، وكذلك بقية خماسيتنا؛ فزاد غضبي ولم أشعر بشيءٍ سوى أنني ركضت نحوهم دون أن أفكر في أي عواقب، أو أحسب نتيجة هجومي الأحمق هذا عليهم. فماذا سأستطيع أن أفعله أمامهم؟ لا أفكر في هؤلاء مَن أحبهم الذين تبعوني بمجرد أن بدأت الركض نحو أعدائي، لقد ركضوا خلفي لا يأبهون لأي شيءٍ آخر مثل هزيمتهم وموتهم على أيدي هؤلاء الوحوش، لا يكترثون بأي شيءٍ سواي يتبعوني ليهجمون ويحاربون ويصمدون معي، لا أفكر سوى في الفتاة الوحيدة التي أحببتها، وأولئك الوحوش يركضون بدورهم نحونا ثم ... التحمنا.

لقد اخترت «أيوب» لمواجهته، «نوح» في مواجهة «شهاب»، خالي في مواجهة «يارا»، «ماجد» في مواجهة «ريتاج»، و«وحيد» في مواجهة «رامز»؛ ليس هناك أي تكافؤ في هذه المواجهات سوى مواجهة «نوح» مع «شهاب»، وبدون قوتي لا أستطيع التغلب على «أيوب» وهو يقود آلته المقاتلة البشرية حتى لو كان عظامي من الفولاذ.

***

لا زالت «مريم» ملقاة أرضًا تنزف الدماء، لكنها لم تمت، لقد غابت عن الوعي، وثم حدث شيءٌ غريبٌ ومريبٌ شيءٌ غير مألوف تمامًا.

لقد كان بجوراها ألسنة الدخان تتحرك، تنجذب نحوها، تتجمع شيئًا فشيئًا وتنجذب إلى «مريم»، إلى فمها، إلى أنفها، إلى أذنيها، إلى عينيها، إلى تحت أظافرها، يتكاثر الدخان ويتجمع يأتي من كل مصدرٍ له النار، والتفجيرات، والحرائق.

وفجأة تشهق «مريم» وتفتح عينيها جاحظةً على آخرهما، لقد استعادت وعيها بعينين سوداوين لا بياض فيهما أبدًا .. عينان مخيفتان!

***

بحركةٍ بهلوانيةٍ تسلقت آلة «أيوب» عند أحد الساقين، وأخذت أصعد حتى وصلت لمنتصف جسم الآلة، ثم تركتها بدفع جسمي للأعلى فطِرت ضامًا على قبضتي لأوجهها في رأس «أيوب»، وبالفعل نفذت ضربة قبضتي في منتصف جبهته، وبعد ذلك وقبل أن تأخذني الجاذبية الأرضية للأسفل كنت قد ثبتُّ قدمي أسفل صدره (صدر الآلة) ودفعت جسمي مرة أخرى للأعلى، ثم ثبتُّ قدمي الأخرى على أحد كتفيه (كتف الآلة) والتففت حول رقبته (رقبة الآلة) فأخذت وضع الجلوس حول رقبته، ومددت يدي للأسفل قاصدًا تلك الأسلاك والتوصيلات التي تصل مخه برأس الآلة؛ فقطعت

واحدًا من هذه الأسلاك، فاستوعب «أيوب» ذلك وجعل أحد ذراعي الآلة تقبض على ذراعي، ثم جذبتني الآلة ودفعتني إلى الأمام إلى مسافة مترين وسقطت أرضًا.

بالطبع إنها تجربة «أيوب» الأولى على هذه الآلة وإلا ما كنت استطعت فعل كل ذلك، بالإضافة إلى أن سرعتي قد أفادتني أيضًا.

وقبل أن يفعل «أيوب» أي شيءٍ آخر أو يعطي أمرًا لآلته بواسطة مخه نهضت وفعلت ما فعلته مرة أخرى؛ تسلقت على ساقه الأخرى (ساق الآلة) ثم دفعت جسمي للأعلى، وطرت في الهواء وضممت على قبضتي لأوجهها نحو رأسه، ولكن لم يحدث هذا؛ فيبدو أن أيوب فهم ضربتي فاستقبلت آلته الأمر .. أمر الدفاع من مخه، وصدَّ بذراعه (ذراع الآلة) قبضتي فتعلقت في الهواء بواسطة الآلة التي تمسك بيدي بقبضةٍ قوية.

كما بدا أيضًا أن «أيوب» أعطى من مخه أمرًا آخر للآلة التي يعتليها، ولكن هذه الأمر كان أمر الهجوم؛ فبقبضة أكثر قوة باليد الأخرى للآلة أعطاني ضربةً صلبة شديدة قوية في جبهتي، جعلني ألقَى بعيدًا بمسافة لا تقل عن الخمسة أمتار.

بالطبع تأثرت من هذه الضربة، كما تأثرت بارتطامي بالأرض للمرة الثانية، ولكن هذه المرة أعنف وأقوى وأبعد، فلم أعد أستطيع النهوض ظللت أتألم وفي

رأسي أشياء تتخبط؛ لقد ارتطمت إياها أيضًا بالأرض.

بالكاد سمعت ضحكته الساخرة وهو يقول لي:

- لقد حُكِم عليك بالإعدام بسببي، وأنا مَن كنت وراء انقلاب مسئولي مدينتكم عليك أنت وأعوانك.

ثم بالكاد سمعت ضحكته الساخرة العالية، وبالطبع لم أتفاجأ بما يقوله.

ثم وليَت نظري إلى ما يحدث حولي، فبالكاد رأيت مَن أحبهم يتقاتلون ضد أعدائهم؛ «نوح» و«شهاب»، «وحيد» و«رامز»، خالي و«يارا»، «ماجد» و«ريتاج».

إنني أتالم بشدة؛ فدرت بجسمي لأحتضن الأرض، وشرعت أزحف وأزحف لأبتعد عن «أيوب»؛ حتى أسترد قوتي ولكن سمعته بضحكته الساخرة العالية يقول لي:

- انظر إلى هذا يا «آدم».

فتوقفت عن الزحف، والتفت إليه فأبصرته واقفًا خلفي واثبًا واثقًا يُجهز لشيء بذراعيه الكبيرة (ذراعا الآلة) ورأيته ينظر إلى تلك الشاشة الصغيرة اللمس التي بذراعه البشري، ويفعل بها أشياء لا أفهمها بأصابع يده الأخرى، ثم وجه ذراعه فتوجهت ذراع الآلة معه نحو الأرض أسفله نحو الجهة الأخرى حيث يوجد البشر يتقاتلون! وبعد ضحكته الساخرة مرة أخرى أطلق من تلك الذراع حزمةً من الأشعة

التي انبثقت بعد ذلك كالقنبلة وارتطمت بالأرض.

جحظت عيناي! لا أصدق ما أراه لقد ظننت أن ذلك السلاح الثقيل الذي دمرته كان الأخير، ولكن الحقيقة غير ذلك الحقيقة هي أن أتم هذا الحقير مشروعه بمساعدة العالم العلوي، وأدخل في تلك الآلات المقاتلة خاصية السلاح الثقيل خاصتهم، وأصبح الآن هناك مائة آلة مقاتلة بمائة سلاح ثقيل.

ثم أحدت بنظري إلى حيث ما فعله أيوب؛ توقف الجميع تسمر كل مَن كان يقاتل لمشاهدة هذا المنظر المخيف، فوجدت الكثير من البشر والمرتدين والآليين موتى، لقد دب بداخلي الخوف، والرعب، والحزن، الحزن الشديد؛ فاستكملت زحفي لأحتمي مما قد يفعله «أيوب» بي أثناء عجزي أمامه، فركض هو خلفي ثم وثب وثبتين فلحق بي، ثم ركلني بقدمه (قدم الآلة) فدفعني بعيدًا حتى خمسة أمتار؛ فوجدت نفسي وسط هؤلاء الموتى، لقد زاد ألمي وزاد حزني الذي جعل بدخلي بركانًا مكتومًا يريد الانفجار، ثم انقسم الميدان إلى فريقين في مواجهة بعضهما كأن الحرب تبدأ من جديد! كل البشر الشماليين والجنوبيين، وكل المرتدين وكل من يحارب من أجل البقاء يصطفون في ناحية حيث كانوا خلفي وهم الأقلية، وكل الآليين، والبشر المعترضين، والمتهورين، والآلات المقاتلة وكل مَن يحارب من أجل القوة يصطفون في الناحية الأخرى حيث كانوا أمامي وهم الأغلبية.

ثم أحدت بنظري إلى الأعلى، إلى السماء، إلى كل مخلوقات الله التي حُرِمنا منها، إلى الشمس الساطعة التي تشع بضوئها على جبيني، وبعد ذلك لا شيء، لا شيء سوى أنني قفلت عيناي ولا زلت في الوعي.

ظللت على هذا الحال كأنني أقضي ما تبقى لي من الوقت تحت ضوء الشمس التي حاربنا من أجلها، ولا أكترث لما يفعله «أيوب» إذا اقترب مني، لا أشعر سوى بالحزن الحزن الشديد، وبعد مرور دقيقتين في هذا لم أعد أشعر بها، لم أعد أحسُ بضوء الشمس على جبيني، لم أعد أشعر بحرارة أشعتها على جبهتي، كان هناك شيء ما أعتم هذا الضوء وحجب هذه الحرارة؛ ففتحت عيناي سريعًا لأرى ما الذي يحدث، ثم تفاجأت بما رأيته!!

فما رأيته جعلني في قمة ذهولي، فما رأيته بمثابة الصدمة؛ لقد رأيت دخانًا كثيفًا جدًا أسود اللون كاد أن يحجب الرؤية! ليس هناك شمس بل ظلام ظلام فقط، كأنني أحيا الحياة السفلية بالأعلى ولكن بسبب حزني على كل مَن ماتوا بسبب لعنة الحرب هذه، لم أهتم لأنظر إلى مصدر هذا الدخان لم أهتم سوى بالجثث الملقاة حولي، فنزلت دموعي للمرة الثانية دون إرادتي بسبب يأسي، وبأسي، وألمي، وأسفي، وشجني على مصير البشر فلم يعد هناك بقاء؛ إنها فقط مائة طلقة مثل هذه ويقضي أيوب على كل شيء على الجميع حتى لم يبقَ سواه

وجماعته، إنني في قمة حزني.

ثم شعرت بالغضب، بالغضب تجاه كل شيءٍ، وفي هذه اللحظة خصيصًا أحسست أنني أسترد قوتي، ولم يعد هناك ألم، شعرت أنني أريد النهوض بل أكثر من النهوض، شعرت بقوةٍ غريبةٍ تجري بداخلي تجعلني أريد أن أدمر كل مَن كان سببًا في كل ما حدث من حولي، كما أريد أن أدمر «أيوب» ذلك الذي أراه أمامي راكضًا نحوي يريد أن يقتلني.

غضبت جدًا لدرجة الحنق والهياج الكامن بداخلي؛ فوصل هذا الغضب إلى أقصى حدٍ لتجمعه بداخلي، ثم أطلقت هذا الغضب في صرخةٍ عظيمةٍ انبثق منها كل هذا الحنق، لقد خرجت مني قوة تزيد أضعاف عن التي خرجت من تلك الأسلحة الثقيلة، لقد انفجر ذلك الحزن الممزوج بالغضب فدمرت كل شيء أمامي!!

فرأيت «أيوب» يطير بآلته في الهواء، كما أبصرت كل الآلات المقاتلة البشرية تتدمر أمامي، وشاهدت الكثير من الآليين تتفكك أجزاءهم، لقد حدث إعصارٌ مثل السابق لكنه إعصارٌ أشد وأقوى، وأخذ كل ما كان أمامه حتى مسافة مائة متر.

كما لمحت «يارا» لم يبقَ فيها جزءٌ سليم فتفككت تمامًا، فلم يعد هناك روبوت يدعى «يارا»!

فنظرت نحو هذا الظلام الذي يحوم حولي؛ فرأيته كما رأيته في السابق دخانًا أسود؛ فعلمت حينها

فقط من قد يكون مسببًا هذا الدخان، فنظرت خلفي ورأيت مَن تمنيت أن أراه مرة أخرى قبل أن نهلك جيمعًا، لقد رأيت حبيبة قلبي إنها «مريم» واقفة واثبة بعباءتها السوداء في مقدمة الصفوف التي تريد البقاء، فهدأت مباشرة في اللحظة التي لمحتها فيها، لقد خرج ذلك الغضب والحزن وتحولا إلى هدوءٍ ووجدانٍ وحبٍ أكُنه لهذه الساحرة.

ولكن الغريب أنني آراها تتحكم في هذا الدخان الأسود كأنه لعبة في أيديها توجهه كما تريد! ورأيت «نوح» بجوراها، وهنا تذكرت ما قاله لي هذا الأخير ولم أكترث له؛ لقد قال لي أن قوتي تريد الظلام، لقد خلقت لي مريم ذلك الظلام؛ لأتمكن من استخدام قوتي، لقد كانت هذه مهمتها منذ البداية لا أن تقتل بالدخان، وصبَّ هذا في مصلحة المرتدين.

يا له من واقع لا أحد يتوقعه! فعندما كنت بالأسفل فعلت كل ما بوسعي لنصعد إلى مكاننا الأساسي بالأعلى، وحين صعدنا إلى الأعلى فتريد قوتي الظلام، حين أكون بالأسفل أو أثناء الليل.

الخلاصة أنني لا أستطيع أن أستخدم قوتي سوى في أرضٍ بها ظلام، في عالم بلا شمس! تعجبت كثيرًا، ابتسمت ابتسامةً ساخرةً على واقع غريب.

ثم انقشع الظلام بواسطة «مريم»، لقد جعلت الدخان يتراجع، لكنه تراجع نحوها ومكث بداخلها! اندهشت مما أراه بل اندهش الجميع، ثم عمَّ الهدوء

حيث يشعر بالفرح مَن كانوا في صفوفنا، ولا زال هناك مَن لا يزال على قيد الحياة، سواء بشريين تابعين ل «أيوب» أو آليين، لكنهم بلا أي قوة يواجهوننا بها؛ لقد استسلموا جميعًا يبلغ عددهم مثل عددنا تقريبًا، وهناك على الجهة الأخرى يتألم ويتلوى ذلك الأحمق الشرير الخائن .. أيوب، لم تتمكن منه قوتي، فاقتربت نحوه وقلت له:

- سأجعلك تذوق عذاب السجن السفلي.

وهناك عند زاويةٍ أخرى أبصرت «شهاب»، و«ريتاج»، و«رامز»، مطروحين أرضًا يبدو أنهم معطلون جزئيًا، لكنهم بالكاد يستطيعون الحركة أو النهوض.

ثم نظرت نحو حبيبتي، واتجهت قاصدًا إياها والابتسامة تعتلي وجهها، ثم دنوت منها وأمسكت بكلتا يديها وقلت لها في فخرٍ وامتنانٍ:

- لولاكِ ما كنا انتصرنا.

وفي سرعةٍ وجدتها ارتمت بين أحضاني، فضممت بنفس السرعة ذراعي عليها، وفي حسٍ فكاهي قلت لها:

- سنخلق لنا وقتًا كافيًا لفعل هذا أثناء إخبارك لي بما حدث لكِ، وكيف تتحكمين في هذا الدخان؟ وكيف يعود لكِ ليمكث بداخلك كالابن الذي يعود لأمه؟!

نظرت نحوي بعينين سوداوين واسعتين جريئتين تعتليهما نظرة ساحرة جعلتني أغوص في لمعانهما، فغرقت في جمالهما وقالت لي:

- نعم! إنه ذات الوقت الذي ستحدثني أنتَ فيه عن قوتك الخارقة، وأين قد يكون ذاك الفضائي صاحب هذه القوة الأصلي؟

فضحكنا ضحكةً عالية جذبت انتباه كل الحاضرين.

الخاتمة

لقد انتصف النهار، وأصبحت الشمس عمودية ساخنة والبحر هادئًا.

قبضنا على «أيوب»، كما أخرجنا من ذراعيه سيفيه حيث سنكتشف ماهيتهما فيما بعد، وجماعة المعترضين والمتهورين التابعين له سلموا أسلحتهم الليزرية الخاصة بالعالم العلوي حيث تحالفوا معهم، واستسلموا مطالبين بالرحمة والحرية، لكننا سنعطيهم الرحمة فقط دون الحرية.

أما «شهاب»، و«ريتاج»، و«رامز» فلا حاجة إلى أن نقبض عليهم؛ إنهم غير قادرين على النهوض من الأساس.

وباقي جيشهم استسلم الجميع حيث لا قوة لهم ولا أسلحة لديهم، كما أنهم يعلمون ما سيواجهونه من قوتي الخارقة إذا فعلوا أي شيءٍ أحمق.

وأما المرتدون، فمَن تبقى منهم كان شامخًا واثبًا بدون أي أسلحة أيضًا.

وبالنسبة للبشر، فالشماليون المحافظون والجنوبيون المجانين يخلقان صداقة جديدة بينهما، بالإضافة إلى البشريين الذين آمنت بوجودهم هنا بالأعلى بدون قائدهم موسى رحمه الله، لكنهم ينظرون لي الآن كأنني قائدهم الجديد.

ثم عبرنا عن شكرنا لهؤلاء الذين أتى بهم نوح

بالسفن، إنهم بشريون مثلنا، كما أنهم المجموعة الوحيدة التي تملك أسلحة نارية، وسيعودون من حيث أتوا.

ولم يبقَ سوى أمواتنا...

كثيرون جدًا، ونريد أن نقف وقفة حدادٍ لهم احترامًا وتقديرًا، لكننا لن نستطيع أن ندفنهم جميعًا فليس هناك سوى طريقة واحدة، تلك الطريقة التي كان البشر يفعلونها إذا حدث ومات الكثير نتيجة فيرس أو وباء معدٍ، لكن هذه المرة ليس سوى أنهم كثيرون فقط.

لقد جمعنا الجثث، ووقفنا وقفة حدادٍ احترامًا لهم وشرعنا نحرق جثثهم؛ فهبّت ألسنة النيران، وأثناء مشاهدتنا للدخان الذي يتصاعد للأعلى، سمعنا جميعًا صوتًا غريبًا مريبًا بل مخيفًا ومفزعًا لدرجة الرعب؛ لقد توقف الجميع حيث ينظرون نحو مصدر هذا الصوت المخيف، لقد وقف أي حدثٍ يحدث.

نظرت و«مريم»، وخالي، و«نوح»، و«وحيد»، و«ماجد» كما نظر متألمًا «أيوب»، و«شهاب»، و«ريتاج»، و«رامز»، والجميع من آليين وبشريين نظرنا جميعًا نحو الشرق حيث البحر الكبير حيث الصوت المخيف.

لقد رأينا أمواجه تتعالى وترتطم كأنها تتلاطم، فبعدما سمعنا ذلك الصوت المخيف رأينا الأكثر خوفًا والأكثر فزعًا ورعبًا، فما رأيناه يجعلنا لا

نصدق أن يوجد مثل هذا في عالمنا، ولكننا نراه في الحقيقة الآن أمام أعيننا.

إنه يخرج من تحت الماء بجناحيه الكبيرين! لا يزال يصدر تلك الأصوات المخيفة، ثم أخرج رأسه من الماء فدب الخوف والرعب بداخلنا جميعًا.

إنه تنينٌ!! إننا ننظر الآن نحو تنين كبير يرفرف بجناحيه لينفض الماء من عليهما.

فدنا «نوح» نحوي وقال لي في أسفٍ:

- إنه من كونٍ آخر!!

فنظرت نحوه بعينين جاحظتين يتملكهما الرعب، وتذكرت ما كنت أخشاه وحكيته لخالي بداخل السجن السفلي، تذكرت أختي «سارة» .. فأجبته بل قلت في صوتٍ خائفٍ بالكاد يسمعه كل مَن بجواري:

- يبدو أننا سنعود إلى الأسفل، سنعود إلى أرض الظلام، لكن هذه المرة لن نكون بمفردنا، سينزل البشر والآليون معًا إلى عالم بلا شمس!!

تمت بحمد الله

المـراجع

مراجع المعلومات التي وردت في أحداث الصفحات التي تحت عنون «عبر الزمن» .

- Overbye,Dennis : "Black Hole Hunters".

- "Introduction to Black Holes".

- Davies, P. C. W. : "Thermodynamics of Black Holes".

- «الكون والثقوب السوداء»، رؤوف وصفي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٩م .

- Hawking, Stephen : "How to build a time machine".

- «الكشف عن حافة الزمن»، ستيفن هوكينغ. دار الثقافة الجديدة،١٩٩٠م .

- «فكرة الزمان عبر التاريخ»، تحرير جون جرانت، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.

- Curiosities: "The Clock That Went", Backword, by Edward Page Mitchell .

- Vandermeer : "The time Traveler's Almanac" .

- «الانتقال الآني والسفر عبر الزمن» -مقالة عربية

نشرت في أحد منتديات ليلاس .

٢٧٠٩٨٥٩٤٣٦

٤٣٢ / ١٤٣٢